إنجريدوا

دار دريم بن للطباعة والنشر

العنوان : مدينة العبور - الحي السادس فيلا ٨ مدخل ١

هاتف : 010003288596

بريد إلكتروني : Dream.pen92@gmail.com

إنجريدوا

هيام عرفة

الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠١٩م

غلاف: عمار جمال العبد

التصميم الفني: الديوان للتصميم وخدمات النشر

رقم الإيداع : ؟؟؟؟ / 2019

I.S.B.N: 978-977-488-???-4

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًا نسخًا أو تسجيلًا أو تخزينًا، دون إذن خطي من الدار

إنجريدوا

رواية

هيام عرفة

DREAM PEN
FOR TRANSLATION & PUBLISHING
AND DISTRIBUTION

الإهداء

إليك أنت يا من تقرأ كلماتي أهدي إليك تلك الرواية، أدعوك إلى رحلة مثيرة لتسافر معها في بحار الأحاسيس ذات المشاعر المتلاطمة الثائرة، ولكن فلتحذر عليك أن تكون ذا عزيمة ولتتأكد من متانة سفينتك وقوة شراعك فالريح عاتية لن ينجو منها إلا ربان ماهر لأنه لن ينقذك أحد سوى نفسك .

الفصل الأول

«صدفة»

يمكنك المغادرة الآن؛ إنها السادسة، لقد انتهى دوامك يا ابنتي.

تنبهت «ليالي» على صوت السيدة العجوز مالكة المطعم الذي تعمل فيه، فالتفتت إليها وقالت باسمة:

- معذرة جدتي، لم أنتبه على الوقت.

ضحكت السيدة العجوز وهي تقول:

- أنتِ دائمًا ما تدهشيني، زميلتك تراقب الوقت دائمًا.

وضعت «ليالي» الأغراض التي بيديها في الخزانة ثم أغلقت الباب وهي تقول وقد ظهر على وجهها لمحة حزن:

- لأنها لديها من تعود إليه، أما أنا فأنتِ تعلمين، لا أحد ينتظرني عند عودتي للبيت يا جدة.

قالت لها بحنان جارف:

- رحم الله والديكِ يا ابنتي؛ لقد طلبتُ منكِ أن تأتى للعيش معي، ولكنكِ تغابيت ورفضتي، أم يعجبكِ العيش مع تلك المرأة وابنتيها الحقودتين.

طبعت قبلة على وجنة العجوز وهي تقول بامتنان:

- لا تدرين كم كنت سعيدة لعرضك هذا، ولكن أبناءك لن يوافقوا على هذا الأمر، ولا تنسى حفيدك أحمد، فهو يعيش معك بالبيت؛ كيف سنمكث معًا، وحتى وإن وافقت، أخي زياد لن يوافق.

ردت العجوز غاضبة:

- حين علم أحمد بما عزمت عليه اغتبط لرأيي، وقال لي إنه

سيترك البيت حتى لا تشعرين بالإحراج.

احتضنتها وقالت:

- أشكر له تلك المشاعر الطيبة جدتي، ولكن لن أوافق أن يترك بيته لأجلي، أنا وأنتِ نعلم أنه لا مكان له ليذهب إليه، وهو لا يزال طالبًا بالجامعة، لن يمكنه تحمل تكاليف الانتقال، والآن على الرحيل لأن نقاشنا هذا لن ينتهي.

قبلتها ثانية وتأكدت من هندامها في المرآة وعدلت حجابها، ثم خرجت وهي تلوح للجدة التي شيعتها ببصرها آسفة على تلك الفتاة التي تحمل هموم فوق أكتافها أكبر من عمرها الذي لا يتجاوز الواحد والعشرين ربيعًا؛ رحيل والديها في حادث أليم، وهي لا تزال صغيرة، واحتيال عمها والهروب بميراثها.رفعت يديها إلى السماء، وأخذت تدعو الله لها أن يغمرها برحمته ويخلف عليها خيرًا، ويسعد قلبها، فهي قد تحملت الكثير، وعرفت طعم الهم قبل أوانها.

كان بيت ليالي لا يبعد كثيرًا عن مكان عملها، لذا كانت تعود إلى بيتها سيرًا على الأقدام حيث كانت تعرج على شاطئ مهجور قريب، وتلك الليلة ذهبت إليه كعادتها كل مساء لتتنسم هواء البحر العليل، وتغمر قدميها في مياهه المنعشة، وتلقى بهموم الحياة بين أمواجه المتلاحقة. خلعت حذاءها واقتربت من المياه، سرت رعدة بسيطة حين لمست المياه الباردة قدميها، لكن سرعان ما شعرت بالانتعاش. جلست على الرمال وأرخت حجابها على كتفيها لتشعر بالهواء وهو يحرك شعرها الأسود الحريري؛ مرت عدة دقائق وليالي غارقة في خيالها وأفكارها، ولم تنتبه على وجود ذلك الظل الأسود الرابض خلفها.

ارتعبت وصرخ قلبها رعبًا قبل شفتيها حين سمعت صوتًا يأتي من خلفها بلغة لم تفهمها، وارتجفت حين رأته يتقدم نحوها وهو لايزال يتحدث بتلك اللغة الغريبة؛ كان الصوت دافئًا وعميقًا، ولكن منظر

ذلك الظل كان مفزعًا ، فاستجمعت شجاعتها وفرت هاربة ،وهي تدعو الله ألا يلحق بها ، لم تلتفت إلى تلك الصخور والحصى التي كانت تمزق قدميها ، فجل تفكيرها كان منصبًا على الهروب من ذلك الشيء. توقفت ليالي عن الركض حين تأكدت من أنه لا أحد يلاحقها. وقفت وأخذت تلهث محاولةً التقاط أنفاسها المتقطعة. تنبهت لأمر حجابها ، فعدلته على عَجل،وحين وصلت إلى بيتها كان التعب والإرهاق قد أخذ منها مبلغه. استندت إلى باب المسكن المكون من ثلاثة طوابق، وبينما تستجمع شتاتِها سمعت صيحة مكتومة ، وصوت يقول بجزع:

- ليالي حبيبتي، ما بك؟

رفعت عينيها الدامعتين فوجدت شقيقها زياد؛ كان زياد أخيها من الأم. تذكرت كيف أتى إليها بعد يومين من حادث والديها ليخبرها أنهما أشقاء من الأم، وأنه يريدها أن تأتي لتعيش معه بالإسكندرية؛لم تكن والدتها قد أخبرتها أن لها أشقاء، ولكنها أحبته من أول وهلة وتبعته، وهي تشعر بالأمان،وظنت أن والده وزوجته سيعاملنها جيدًا مثل أخيها ، ولكن زوجة والد زيادوابنتيها لم يرحبن بليالي منذ أول لقاء؛ فقد أجلستها المرأة في العلية ، فلم تسمح لها بالعيش معهم بشقتهم. اعترض زياد ، ولكن والده رضخ لزوجته ، وكاد زياد أن يتشاجر معهم، ولكن ليالي منعته وأخبرته أنها ستكون مرتاحة أكثر هكذا ، ومن يومها وزياد هو حصن الأمان لها.أقبلت عليه وقالت وهي تغالب دموعها :

- اطمئن، أنا بخير.

لاحظ ارتجاف جسدها فاحتواها بين ذراعيه وهويقول بغضب:

- بخير؟ هل تمزحين معي، أخبريني من فعل بك هذا؟

صعقت لإدراكه ما يجول بخاطره، فبعدت عنه وقالت على الفور:

- الأمر ليس كما تظن؛ كنت على الشاطئ ،وفجأة سمعت

أصواتًا ، ولغط انتابني الفزع، فهرولت مبتعدة وأنا وجلة.

لانت أساريره وزفر بارتياح وهو يقول:

- كدتِ تتسببين في فقدان عقلي.

ثم نظر إلى قدميها المدماة وأكمل قائلًا:

- مازلتِ خرقاء كعادتك، وأظن أنكِ لن تكبري أبدًا ، هيا لنصعد إلى شقتك لأعالج جروحك تلك، ونطهرها قبل أن تتلوث.

صاحت به مستنكرة:

- زياد توقف عن معاملتي كطفلة ،أنا في الحادية والعشرين من العمر، يمكنني الاعتناء بنفسي.

أمسكها من أنفها برفق وقال مازحًا:

- مهما تقدم بك العمر، ستزالين قطتي الصغيرة ،أفهمتِ؟

ابتسمت لحديثه وقالت بامتنان:

- شكرا لك أخي، فأنت سندي بكل تأكيد ، لا أدري كيف كنت سأحيا بهذا العالم من دونك.

احتضنها بحنان وهو يقول:

- أيتها البلهاء ،أيشكر الأخ على اعتنائه بأخته! أنتِ لا تعلمين مقدارك عندي ليالي؛ أتمنى من الله أن يكتب لكِ سعادةتأتيكِ من حيث لا تدري.

وقبل أن تتفوه ليالي بكلمة، سمعا صوتًاغاضبًا يقول:

- يا له من منظر شاعري، ما هذا يا سيد زياد؟

التفت الاثنان إلى مصدر الصوت وأجاب زياد ضاحكًا:

- كما ترين يا عائشة ،أحتضن بين يدي فتاة جميلة ، ألديكِ مانع يا عزيزتي؟

ضربت عائشة الأرض بقدميها وقالت بسخط:

- ابتعد عنها ، وإلا أقسم أن أفسخ خطبتنا ،أفهمت!

تنهدت ليالي وأبعدت أخيها عنها وهي تقول:

- سأصعدأنا يا زياد ، أشعر بالإرهاق، وتمنى لأبي وأمي والباقين ليلة سعيدة.

ثم التفتت إلى عائشة وقالت بضجر:

- عائشة ، ألا تملين؟ أنا مللت لأجلك!

قالت عائشة وقد شعرت بالإحراج لتهورها:

- أأنتِ تعلمين أنني أحبه بشدة، وأغار عليه من الهواء الذي يتنفسه يا ليالي، اعذريني.

أجابتها بحزم:

- أعلم يا عائشة، ولكن نحن إخوة من الأم، وليس لأننا لم ننشأ معًا فهذا يعني أننا غرباء؛ فلا تقولي ما قلتِ منذ قليل، لأنني لن أتساهل معكِ بعد الآن.

وما إن وضعت قدميها على الدرج حتى أكملت محذرة:

- وأحذرك أن غيرتك تلك ستتسبب في تعاستك يومًا ما، فعليكِ أن تحذري، وأتمنى أن تكون هذه هي آخر حماقاتك معي، عمتم مساءً.

صعدت إلى شقتها، وما إن أغلقت الباب، حتى بدأ جسدها بالصراخ من الألم، وكأنه كان ينتظر تلك اللحظة. جرت قدميها إلى حجرتها، وأخرجت بعض الثياب، لتأخذ حمامًا لتنعش به نفسها، وتزيل ما علق بها من متاعب وأوساخ اليوم، وما انتهت حتى عالجت جروح قدميها. عملها في عيادة طبيب أكسبها خبرة جيدة. شعرت بالراحة بعد تضميد قدميها، فاستلقت على سريرها، وسحبت الغطاء عليها، وأطفأت الأنوار لتحظى بالراحة بعد عناء يوم طويل.

في الصباح التالي استيقظت متأخرة، فنهضت سريعًا وأبدلت ملابسها على عَجل، وهرعت إلى جامعتها وهي غضبى، فقد كانت تريد أن تستيقظ باكرًا قليلًا قبل موعد دوامها لتعرج على ذلك الشاطئ لتأخذ حذائها الذي تركته خلفها بالأمس، والآن سيتوجب

عليهـا أن تعـود إلى هناك في المسـاء ثانية، وصلت إلـى الجامعةوهي منهكـة مـن طول الطريـق. صعدت إلـى قاعة المحاضـرات الخاصة بها، كان الأستاذ قد بدأ المحاضرة، طرقت الباب بإحراج واعتذرت بخجـل عـن تأخرها، فابتسـم لها الأسـتاذ بوقار، وأذن لهـا بالدخول على ألا تعيدها مرة أخرى، وما إن جلست في مقعدها، حتى صاحت إحدى الفتيات لتقول بحقد:

- لـمَ لم تعاقبها مثلما فعلت معـي، لقد حضرت أبكر منها، ومع ذلك عاقبتني، ولم تعاقبها هي، أم أن الآنسـة ليالي لها معاملة خاصة ونحن لا ندري؟

تصاعـدت صيحـات الطلبة بيـن التأييد والاعتـراض على حديث جاسـمين. ضرب الأسـتاذ على سـطح مكتبه، وقـال بصرامة بعدما هدأت الضجة:

- ليالـي طالبـة مجتهـدة، الأولى علـى دفعتها منذ سـنتها الأولى؛ ملتزمـة بمواعيـد الحضور للجامعـة، ولم تتأخر عـن محاضراتها من قبل إلا نادرًا، ويكون لديها عذرًا قويًا؛ أما أنتِ أخبريني كم ترتيبك بين أقرانك؟

تغيـر وجههـا وازداد احمـرارًا مـن الإحـراج، ولكـن الأسـتاذ لم يمهلها، بل أكمل مخاطبًا إياها:

- أنـتِ لـم تأتى مرة واحـدة منذ وطـأت قدماكِ تلـك الجامعة في موعـدك، دائمًـا تأتيـنِ متأخرة، وأقصـد بذلك المـرات القليلة التي تحضريـن فيهـا؛ لا تلتزمين بأي من فروضك؛ هـل قمتي بعمل البحث الأخير الذي طلبته منك؟ وقبل أن تجيبي أنا واثق أن إجابتك ستكون بالنفي، فـي حين لو سـألت ليالي سـتكون قد قامت بـه على أكمل وجه.

خلع الأستاذ منظاره الطبي، وقد لانت ملامحه، وقال بهدوء:

- أنتـم جميعًاهنـا مثـل أبنائـي، لا أفضـل واحد علـى الآخر، بل

أعطي كل واحد حقه في المعاملة. هل أعامل شخصًا يتعب ويجد، كشخص لا يهتم ولا يعير دراسته أي اهتمام! جاسمين يا ابنتي، اتمنى أن تحذي حذو ليالي، وأنتم جميعًا فلتكونوا مثلها لأجلكم ولأجل أنفسكم، ففي الأخير أنا هنا أستاذ، من نجح أو من رسب لن يزيدني شيء، بل أنتم المتضررون والمستفيدون، فهمتموني يا أحبائي؟

هز الجميع رأسه بالإيجاب.أعاد الأستاذ نظارته الطبية على عينيه، واستدار ليكمل شرح ما بدأه. مالت إحدى زميلاتها تُدعى سلوى، وقالت ضاحكة:

- انظري إليها كيف ترمقك بنظرة قاتلة، يا إلهي! أظنها تريد أن تشويك حية.

همست لها ليالي بلا اكتراث:

- دعكِ منها ولا تلقي لها بالًا، أدعوا الله أن يهديها.

تساءلت سلوى بفضول:

- لطالما أردت سؤالك لم جاسمين تكرهك هكذا؟ هل فعلتِ لها شيئًا في السابق؟

هزت ليالي كتفيها وهي تقول:

- حقًا لا أعلم لم، منذ السنة الأولى وأنا أشعر بحقدها هذا تجاهي بدون أن أعلم السبب، قبل حتى أن أتحدث معها أو تعلم شيئًا عني.

ثم لكزت سلوى برفق وهي تقول:

- والآن انتبهى على المحاضرة، فهي أهم من تلك الترهات.

انتهت المحاضرة وخرج الجميع من القاعة. تعلقت سلوى بذراع ليالي وهي تقول بلهفة:

- والآن لننزل إلى الكافيتريا، أريد أن أشرب فنجانًا من القهوة، أشعر بأن رأسي سينفجر.

أجابتها ليالي مازحة:

- رأسك سينفجر من السهر على تلك الروايات التي ستفسد عقلك يا فتاة.

قطبت سلوى حاجبيها وهي تقول:

- أنت فتاة غريبة، لقد أخبرتني من قبل أنكِ كنت من تعشقين تلك الروايات، فكيف تقولين الأن أنها لصغار العقول؛ أنتِ لست لطيفة على الإطلاق.

أجبتها بهدوء قائلة:

- علمتني الحياة ألا أعتمد على الخيال، فالأحلام والرومانسية تلك لامكان لها بعالمي، فارس على حصانه الأبيض أو الثرى الوسيم؛ تلك الأشياء ببساطة لا تحقق بعالمنا يا صديقتي.

أتاهما صوت جاسمين تقول ساخرة:

- أكثر ما يعجبني بكِ يا ليالي أنكِ دائمًا واقعية وتطلعاتك تناسب مكانتك بالضبط.

اغتاظت سلوى فردت بحدة وقالت:

- وما بها مكانتها يا جاسمين؟انتبهي على حديثك.

ضحكت جاسمين بدلال وقالت وهي ترجع شعرها المصبوغ بالأشقر إلى الخلف، وقالت وهي تلوح بمفاتيح سيارتها وتقول بشماتة:

- عزيزتي لا تدفعيني لأن أجرح شعور الفتاة، فكلتانا تعلم أنها دخلت إلى هنا بمنحة مجانية، وإلا من أين لها أن تدفع آلاف الجنيهات تلك.

احمر وجه سلوى غضبًا وكادت أن ترد عليها، ولكن قاطعهما صوت رجولي يقول بهدوء:

- هذا يحسب لها لا عليها يا عزيزتي جاسمين، ولذا لا أتمنى أن أسمع منكِ مثل تلك الكلمات التي لا تليق بأن تخرج من فتاة جميلة مثلك.

التفت الجميع إلى الصوت فتهلل وجه جاسمين وهي تقول بغنج:

- هيثم متى أتيت؟ بحثت عنك كثيرًا.

اقترب منهم فتعلقت بعنقه وعانقته بحرارة؛احمر وجه ليالي خجلًا من فعل جاسمين، فيبدو أن نشأتها خارج البلاد جعلتها تنسى عادتنا وتقاليدنا. انتبهت على صوته وهو يصافح صديقتها سلوى؛ ثم التفت إليها قائلًا بدون أن يمد يديه لها:

- وأنتِ كيف حالك يا ليالي، وكيف أبليت في امتحان الأمس.

ردت عليه بخجل وهي تقول:

- أنا بخير شكرًا لك لسؤلك يا أستاذ هيثم، ولقد أبليت حسنًا بفضل الله، وكيف حالك أنت، وماذا فعلت أنت أيضًا في الامتحان؟

ابتسم وقال وهو لا يزال ينظر إليها بطريقة جعلتها ترتبك:

- أنا بخير والامتحان كذلك بخير، وأظن أنكِ ستكونين الأولى كعادتك.

هيثم كان شابًا وسيمًا وأنيقًا؛ كان محط أنظار جميع الفتيات لأنه ثري للغاية ووسيم، لهذا كانت جاسمين تنسج شباكها حوله، ولكن مجيء ليالي أفسد لها خطتها؛ فلقد لاحظت اهتمام هيثم بليالي، لذا لم تدخر وسعًا في إحراجها دائمًا أمامه وتذكريها بفقرها كلما سنحت لها الفرصة. عبس وجه ليالي فتساءل هيثم بقلق وقال:

- ليالي هل أنتِ بخير؟ لا تستائي من حديث تلك البلهاء؟

صاحت جاسمين باستنكار وقالت:

- هيثم، كيف تجرؤ؟! لا أدري لما تهتم بتلك الفتاة، إنها لا شيء تذكر هذا، ولا تقارنني بها أبدًا، فأنا جاسمين!

آلمتها كلمات جاسمين، لا لأنها سبتها، ولكن لأنها الحقيقة. رفعت نظرها إليه وحاولت الابتسام وهي تقول:

- أنا بخير يا أستاذ هيثم لا تقلق.

ثم التفتت إلى جاسمين وقالت:

- إنني حقًا أشعر بالأسف عليكِ جاسمين.

قالتها ثم تركت المكان وذهبت بدون أن تنتظر ردها، تابعها هيثم ببصره حتى اختفت عن الأنظار. استقلت الحافلة المتجة إلى العجمي، صلت فرضها، ثم فتحت كتبها لتستذكر شيئًا علها تطرد ما بقلبها من هموم، ولكنها لم تفلح على الإطلاق؛وصلت إلي نهاية الخط، كان عليها أن تركب وسيلة مواصلات أخرى لتصل إلى حيث تقطن هناك.

كانت عقارب الساعة تشير إلى الرابعة عصرًا. نزلت من السيارة وهي تتنفس الصعداء؛ فقد كان السائق متهورًا؛ أيقظ بداخلها ذكريات حاولت أن تنساها. دعت الله أن ينعم عليها بإنهاء دراستها على خير. كان مزاجها معكرًا، ولم يكن باستطاعتها أن تذهب إلى العمل وهي على تلك الحالة، فاتصلت بالجدة وأبلغتها بأنها لن تتمكن من الذهاب إلى العمل اليوم، واعتذرت منها ثم أقفلت الخط. أثناء ذهابها إلى البيت عرجت على ذاك الشاطئ المهجور لتستعيد حذائها إن كان لا يزال موجودًا. انبهرت بالشاطئ فلأول مرة منذ زمن تأتى إليه في وضح النهار، لأنها دائمًا ما كانت تعود من عملها ليلًا. كان نظيفًا ومرتبًا للغاية، وتمت إزالة الأعشاب والصخور التي كانت على رماله. جلست على الرمال تتطلع إلى المياه، ثم ما لبثت أن أغرتها المياه كعادتها، فخلعت الحذاء وأمسكته تلك المرة في يديها، وأخذت تتمشى على الشاطئ إلى حيث تركت حذائها الآخر. فوجئت بأن الفيلا المهجورة هي الأخرى قد استعادت رونقها من جديد وتم ترميميها وأصبحت جميلة وجديدة؛ اقتربت منها أكثر لتتمعن في عماراتها الهندسية الرائعة أعجبت بشدة بمهارة المهندس الذي قام بإعادة إعمارها؛ لابد وأنه نابغة إذ جعلها على النظام الحديث، وفي الوقت ذاته لم يتضرر تصميمها الأثري، وبينما هي في تأملاتها تناهى إلى مسامعها فجأة صوت ارتطام وتأوه مكتوم قادم من داخل

الفيـلا؛ اقتربت بحذر من النافذة التي أمامها فهالها ما رأت، فأمامها مباشرة سيدة كانت تترنح يمنة ويسرة؛ نادت عليها ليالي بقلق قائلةً:

- سيدتي هل أنتِ بخير؟

التفتـت إليهـا السـيدة وهي تمسـك صدرها بألم ثم سـقطت على الأرض؛أسـرعت ليالـي إلى القفـز من الشـرفة. ألقـت بحقيبتها على المكتـب الموجـود ثـم انكبت فوق السـيدة. أراحتها علـى ظهرها، لاحظت صعوبة تنفسها وتعرقها الشديد وإمساكها بصدرها، والألم ظاهرعلى وجهها. أخذت ليالي تهدئ من نوبة السيدة وهي تقول لها:

- اطمئني ستكونين بخير سيدتي إن شاء الله.

ثم أجلسـتها وأسـندت ظهرهـا إلى الحائـط وثنيـت ركبتيها إلى قلبهـا وقفصهـا الصدري؛ ثم أخـذت تبحث بعينها عـن أي دواء وحين فشلت نادت بأعلى صوتها على من بالمنزل قائلة:

- النجدة، هل من أحد هنا؟ ليسعفني أحدكم النجدة.

سمعت أصوات أقدام قادمة وفتح الباب لتجد ثلاثة أشخاص رجلين وامرأة تملكهم الفزع لرؤيتها ولرؤية سيدتهم، وقبل أن يهاجمها أحد صاحت بهم آمرة:

- أين دواء السيدة، أسرع واجلبه على الفور.

بسـبب صرامتهـا انصاع الجميع لهـا، وخرجت المـرأة على الفور لتعـود ومعهـا الدواء وكوب مـن المياه، ولكن ليالـي رفضت المياه وقالت بحزم:

- شرب المياه خطأ الآن.

راقبوها وهي تضع قرص الدواء تحت لسان سيدتهم التي بدأ اللون يعود إلى وجهها تدريجًا وبدأت أنفاسها تنتظم، فتحت السيدة عينيها ببطء، فطالعها وجه ليالي الباسم وقالت لها بحنان:

- لا عليكِ لقد مرت الأزمة على خير سيدتي بفضل الله.

ابتسـمت السـيدة بوهن، ولكنها لم تسـتطع الحديث، بعد فترة

وجيزة طلبت ليالي من الرجلين أن يحملانها إلى فراشها لترتاح قليلًا. ساعدتهما في حملها إلى الأعلى، وما إن اطمئنت على استقرار حالتها رفعت بصرها إلى الرجلين وقالت معتذرة:

- أعتذر عن إلقائي الأوامر عليكم بتلك الطريقة الفجة، ولكن الأمر كان لا يحتمل التأخير.

لانت ملامح وجهيهما على الفور، فهي قد أنقذت سيدتهم للتو، وأيقنا أنها ليست شخصًا سيئًا، فرد أحدهما وما يبدو على ملابسه أنه يعمل خادمًا بالبيت وقال:

- لا عليك يا آنستي، وأنا أتوجه بالشكر لكِ لإنقاذ حياة سيدتي.

قالت ليالي بحرج:

- لم أفعل شيء، إنها بخير بفضل الله فقط.

هنا رد الرجل الآخر وقال بامتنان:

- أجل يا ابنتي الفضل لله، ولكنه من يسبب الأسباب، وقد جعلكِ سببًا في إنقاذها.

هنا استعادت السيدة شيء من عافيتها وقالت بوهن:

- لا أعلم كيف أكافئكِ يا ابنتي.

ابتسمت ليالي وقالت:

- معافاتك هي خير مكافأة سيدتي.

نظرت ليالي إلى ساعة يديها حتى نهضت على الفور واستأذنت في الرحيل لأن الوقت تأخر كثيرًا. وافقت السيدة على أن تعدها ليالي بزيارتها مرة ثانية، وعدتها بذلك ثم عادت إلى حجرة المكتب لتستعيد حقيبتها. حيت الموجودين ورحلت. دخلت بيتها وهي سعيدة لمساعدتها لتلك السيدة، فتحت حقيبتها لتلتقط هاتفها لتقوم بالاتصال بأخيها وتروي له ما حدث معها، ولكنها فوجئت بمظروف لم تدرِ كيف وصل إلى حقيبتها، وما إن فتحته حتى علمت مصدره؛ لقد كان مليئًا بالأوراق المالية التي تصل إلى عدة آلاف. أعادت

الأمـوال إلـى حقيبتهـا وعزمـت علـى أن تعود فـي الصبـاح لتعيد إلى السيدة ذلك المظروف.

فـي صباح اليوم التالي توجهت إلـى الفيلا وطرقت الباب. انتظرت قليلًا قبل أن يُفتح الباب. فتح لها رجل من الاثنين اللذان رأتهما بالأمس، حياها بأدب وردت عليه التحية ثم قالت وهي تناوله المظروف:

- أعتـذر علـى الإزعـاج، ولكـن أرجو أن تعيـد هذا إلى السـيدة وتشكرها بالنيابة عني.

وقبل أن يجيب الرجل سمعت صوت رجولي عميق يقول بسخرية:

- أخبرتها أنكِ تعودين لأجل المال، فلا أحد يرفض المال في هذا العالم.

الفصل الثاني

«أدونيس يحتاج إلى صفعة»

التفتت بحدة إلى صاحب الصوت، ولكنها صدمت لرؤيته. كان يبدو كتمثال إغريقي متجسد أمامها؛ كان طويل القامة، إذا وجب عليها أن ترفع نظرها للأعلى مع أنها لم تكن قصيرة، وسيم الملامح، عريض المنكبين، كان شعره يتوهج تحت شعاع الشمس المتسلل من شروق الشمس، ذا أهداب كثيفة، بشرته السمراء التي لوحتها أشعة الشمس قد زادت من جمال طلته؛ تذكرت ليالي زوجة العزيز مع نبي الله يوسف عليه السلام، فابتسمت على الرغم منها وقالت لنفسها:

- إذا كان هذا الذي يقف أمامي يتفجر بتلك الرجولة والحيوية والوسامة؛بدأت أعذركِ يا زوجة العزيز الآن.

لم تستطع أن تمنع الضحكة أن تظهر على شفتيها، فقطب الغريب حاجبيه وقال بغضب:

- أنتِ لم تنظرين إليّ وتضحكين بتلك الطريقة؟!

تمعنت ليالي بوجهه، فملامحه لم تكن عربية على الإطلاق، ولكن لهجته مصرية لا تشوبها شائبة، وقبل أن تجيبه أكمل قائلًا بسخرية:

- يبدو أنكِ تتخيلين أشياء بذيئة أيتها الفتاة؛ رأيتك وأنتِ تتفحصيني بشدة.

أغضبتها لهجته ووقاحته في الحديث معها، فوضعت يديها بوسطها وقالت بكبرياء:

- أنت واثق من نفسك للغاية يا فتى، ولكن اعذر وقاحتي، فأنت

لست من نوعي المفضل كما يقولون.

اشتعل وجهه غضبًا ، فلأول مرة تتعامل معه فتاة بتلك الوقاحة والبرود ، وهو من تلقي النساء بنفسها عليه وتنتظر منه إشارة فقط؛أن تقلل من شأنه وتنعته بالفتى وكأنه مراهق ، وهو في الثالثة والثلاثين. فتح فمه لينهال عليها بحديث يوجعها ويلزمها حدها ، ولكن السيدة من الأمس قد ظهرت على الباب بعدما أخبرها الخادم بمجيئ ليالي. ابتسمت السيدة وقالت بترحاب:

- ابنتي كيف حالك؟ أنا سعيدة بحضورك تفضلي.

ابتلعت ليالي وقاحة ذلك الغريب والتفتت إلى السيدة وقالت بمودة:

- شكرًا لكِ سيدتي، أسعدتني رؤيتك بعافية ، وأريد أن أجالسك حقًا ، ولكني سأتأخر هكذا على عملي.

أخذت نفسًا ثم رمقته باحتقار وأكملت:

- جئت إليكِ لأعيد تلك الأموال ، أنا لم أفعل شيئًا لاستحقها ؛ لذا أرجو أن تستعيدينها ثانية.

اعترضت السيدة وقالت:

- أنا لا أكافئك على صنيعكِ يا ابنتي ، إنها فقط هدية مني إليكِ.

تقدمت منها ليالي ثم وضعت المظروف في يديها وقالت برضى:

- حتى وإن كانت هدية ، فلا يمكنني أن أتقبلها.

ثم ابتسمت وقالت مازحةً:

- لا أحب الأموال أنا.

فقاطعها ذلك الوسيم وقال متهكمًا:

- ما هي أمنيتك إذن؟ عقد لؤلؤ أم أساور ذهبية؟

لم تعجبها نبرته التهكمية وتعجبت ، لما يريد دائمًا إثبات أنها تريد أخذ مقابل لما فعلته! فرفعت حاجبيها باستهزاء وقالت ساخرة:

- أمنيتي كانت دائمًا ألا أرى غبيًا يعكر صفو يومي ، ويبدو أني نسيت أن أدعوا اليوم بتلك الدعوة للأسف.

ارتفع حاجبا الخادم وسيدته من الدهشة، ولمعت عيني السيدة بالإعجاب، فلأول مرة ترى فتاة ترد على ابنها، وتكون له الند بالند، بل وتظهر امتعاضها منه على الملأ، فدائمًا ما كان جميع الفتيات يحاولن جذب انتباهه إليهن. سألتها السيدة وقالت ببشاشة:

- لم أتمكن أن أعرفك على نفسي في الأمس. أنا السيدة هويدا، وأنتِ ما اسمك يا ابنتي؟

استدارت إليها وقالت بابتسامة ودودة:

- أدعى ليالي سيدتي.

راق الاسم للسيدة وقالت مادحة:

- يا له من اسم جميل لفتاة أجمل.

وهنا صاح بها ذاك الوسيم بسخرية لاذعة:

- أمي أنا سأذهب؛ اشعر بالاشمئزاز، ولم يعد يمكنني التحمل.

مر من جانبها ثم رمقها بنظرة حارقة وذهب. رفعت يديها من خلفه كأنها تريد صفعه، ثم انتبهت أن السيدة تنظر إليها، فأخفضت يديها في سرعة وهي خجلى من تصرفها الطفولي. ابتسمت السيدة ثم قالت لها:

- سأوافق على أخذ المظروف، ولكن عليكِ أن تعديني أنكِ ستتناولين الغداء معي؛ ما قولك؟

لم تجد ليالي مفر من الموافقة، فالسيدة تريد أن تكافئها بأي طريقة، فوجدت أن تناول وجبة لن يضر بشيء؛ لذا أومأت برأسها موافقة وقالت:

- حسنًا سيدتي، سأكون عندك في تمام السابعة؛ أعتذر لكِ، ولكن هذا هو وقت انتهاء عملي.

شعرت السيدة بالشفقة تجاه تلك الصغيرة، فربتت على كتفيها وهي تقول:

- حسنًا يا ابنتي سأكون في انتظارك بالتأكيد.

صافحتها ليالي ثم قبلتها من وجنتيها ورحلت. تابعتها السيدة وهي ترحل وهمست لنفسها قائلة بزهو:

- وأخيرًا وجدت ما أريد، كنت أعلم أنها ستكون مصرية.

وصلت ليالي إلى المطعم حيث تعمل؛ حيت الجدة قائلةً:

- صباح الخير جدتي كيف حالك؟

أجابتها الجدة متسائلة:

- بخير، أخبريني لمَ تأخرت اليوم على غير العادة؛ هل حدث شيء ما؟

طمأنتها قائلة:

- لا شيء، فقط اصطدمت بعمود غبي.

دهشت الجدة وقالت باستغراب:

- كيف؟

ثم استطردت متهكمة:

- أظن أن من يصطدم بالعمود هو الغبي وليس العمود!

اغتاظت ليالي وقالت بغضب:

- بل هو الغبي، إنه أغبى من رأيت بحياتي كلها.

ضحكت الجدة وقالت بخبث:

- حسنًا أخبريني عن هذا العمود الغبي أين التقيته، وهل هو من اصطدم بكِ أم أنتِ من اصطدم به من البداية، كيف تعرفتي عليه؟

انطلقت ليالي في الضحك من ذكاء العجوز وقالت لها:

- سأروي لكِ كل ما حدث.

بعدما انتهت ليالي من سرد قصتها قالت الجدة بتفكير:

- أظن أن هذا الفتى لديه عقدة ما؛ أقصد أن أحدًا استغله من قبل بسبب ثروته، وأصبح يظن ويشك بالجميع، وعلى الأرجح هي امرأة.

قالت ليالي ساخرة:

- فتى! إنه في الثالثة والثلاثين أو الخامسة والثلاثين؛ لقد رأيت

الغيظ في عينيه حين نعته بالفتى، وكأنه مراهق.

قالت الجدة بغموض:

- لأول مرة أراكِ تتحدثين بالسوء عن شخصٍ ما، يبدو أنه يشغل تفكيرك كثيرًا لتري كل تلك الصفات السيئةً فيه يا ابنتي.

صاحت ليالي مستنكرة:

- أنا! لا، محال أن أشغل تفكيري بهذا المتعجرف.

سألتها الجدة بغتة:

- هل هو وسيم؟

أجابت ليالي بدون إدراك:

- من النوع الذي يطرب قلبك طربًا لرؤيته، وتأسرك جمال طلته.

ثم استدرجت بخجل وأكملت:

- و...ولكن هذا لا يعنيني بشيء؛ سأذهب لأتفقد المطبخ الآن.

تابعتها الجدة بنظرها وهي تقول بسرها:

- سأدعو الله أن يكون هو من يحرك مياهك الراكدة يا ابنتي.

كان يومًا شاقًا في العمل، وحين حل المساء كانت تعبة ومرهقة للغاية، فخطر ببالها أن تعتذر للسيدة، ولكنها لم تكن تعلم رقم هاتفها؛ لذا لم تجد مفرًا من الذهاب؛ وصلت إلى المكان، قرعت الجرس، ففتح لها الخادم الباب بابتسامة ترحيبية ودودة، وهو يقول باحترام:

- تفضلي، السيدة في انتظارك.

حيته بإماءة من رأسها ثم تبعته إلى حيث السيدة؛أخذها إلى حجرة الانتظار، ووجدت السيدة جالسة على أحد المقاعد، كادت أن تنهض لتصافح ليالي، ولكن ليالي أسرعت إليها واستوقفتها وهي تنحى إليها وتقول باهتمام:

- لا تنهضي سيدتي، أنا آتى إليكِ؛ كيف حالكِ الآن؟

احتضنت السيدة يد ليالي بين كفيها بحنان وقالت:

- إننـي بأفضـل حال، الحمد لله يا ابنتـي، والآن هيا إلى الطعام؛ لقد أجلت موعد الغداء إلى أن تأتي.

شعرت ليالي بالإحراج والامتنان في الوقت نفسه من معاملة السيدة الحسـنة معها، وفكـرت أنها علـى الرغم من مكانتهـا الاجتماعية الرفيعـة الشـأن، إلا أنهـا متواضعة للغاية. جلسـت السـيدة على رأس الطاولـة، وأجلسـت ليالـي على يمينها؛ شـعرت ليالـي بالارتياح لعدم وجـوده، فهـي لا تتناول الطعام مع رجال غرباء عنها. سـمعت السـيدة هويدا تتأفف وهي تسأل الخادم قائلةً:

- أين هو؟ لِم لَم يأتِ بعد؟

أتاها صوت ابنها وهو يقول معتذرًا:

- أعتذر أمي لقد استغرقت في النوم، ولم أنتبه على الوق.....

ثم بتر عبارته وقال باقتضاب حين رأى ليالي:

- ماذا تفعل تلك هنا؟

ثـم ما لبث أن ندم على قولته حيـن رآها تفرك يديها من الإحراج، وسمع والدته تقول بغضب:

- لا أظن أنى ربيتك لتكون عديم الذوق والأخلاق هكذا!

تنهد ثم جلس أمام ليالي وقال معتذرًا:

- أعتذر أمي لم أقصد ،تفاجأت فقط لوجود شخص غريب.

ضغـط على حـروف كلمة غريـب وهو ينظـر إليها شـزرًا. أرادت ليالي أن تصفع وجهه، ما هذا الاعتذار؟ فهو لم يوجهه لها بل لوالدته. صاحت به والدته وقالت آمرة:

- عليك أن تعتذر منها هي وليس أنا؛ ثم أنها ليست شخصًا غريبًا.

أسرعت ليالي بخجل وقالت:

- لا داعي لذلك سيدتي، لم يحدث شيء.

التقط الشوكة وهو يقول بلا مبالاة:

- أرأيتِ هي لم تغضب، والآن لنأكل، فأنا أتضور جوعًا.

صاحت به والدته وقالت:

- عليك أن تقدم نفسك قبل تناول الطعام، هيا.

وضع الشوكة جانبًا ثم شبك أصابعه أمام وجهه وقال بضجر:

- اسمي إبراهيم خوسيه آنستي.

أيقنت أن شعورها بأنه ليس مصريًا كان صحيحًا، هنا أكملت السيدة وهي تشرح لها:

- والد إبراهيم إسباني، تعرفت عليه حين كان يزور مصر.

صاح بوالدته بنفاد صبر:

- لا داعي لأن تروي تفاصيل حياتنا لأحد.

نظرت إليه أمه معاتبه، فلم يهتم وشرع في تناول الطعام؛ التفتت السيدة هويدا إلى ليالي وقالت لها:

- هيا يا ابنتي تناولي طعامك، اثقلتُ عليكِ بالحديث.

أرادت ليالي أن تنهض، ولكن حياءها منعها من ذلك، والأدهى أنها لاحظت أنهم يتناولون طعامهم بالشوكة والسكين، فاضطربت وشعرت بثقل فوق صدرها، فهي لا تعلم كيفية استخدامهم؛ المطعم الذي تعمل فيه بدويًا، لا وجود لأدوات المائدة فيه سوى الملعقة، وكثير من الزبائن يستغني عنها. أخذت تنظر إلى أدوات المائدة أمامها، لا تدري أيهم تستخدم؛ لاحظ إبراهيم حيرتها، زوى ما بين شفتيه ساخرًا، وفتح فمه ليهزأ بها، ولكنه انتبه على صعوبة تنفسها؛ تنهد بملل ثم ركلها بخفة من أسفل الطاولة. تعجبت ورفعت رأسها إليه متسائلة؛ فأومأ لها أن تحذو حذوه، فأمسكت بالشوكة التي أشار إليها، وبدأت في تناول الطعام. انتبهت السيدة على تلك الهمزات، ولكنها لم تظهر ذلك؛ بعدما انتهوا من الطعام طلبت من ابنها أن يصطحب ليالي إلى غرفة الانتظار لتناول القهوة. أشار لها بالنهوض فتبعته. أرادت أن تشكره على مساعدته لها، فقالت بخفوت:

- شكرًا لك على مساعدتي.

فاجأها برده الساخر، وقال متهكمًا:

- لقد ساعدتك مرغمًا لأني لم أرد أن أشاهد منظرًا مقززًا، وطعامًا يتساقط على الطاولة أمامي.

صاحت به وقد بلغ عضبها الذروة بسبب تهكمه عليها وقالت:

- أنت أكثر شخص كريه رأيته في حياتي؛ أشعر بالغضب من نفسي لأنني فكرت في شكرك؛ حقًا أنا أشعر بالشفقة على سيئة الحظ التي ستكون من نصيبها، ليكن الله في عونها.

فالتمعت عينيه غضبًا واقترب منها ببطء وهو يقول بهدوء قاتل:

- وما أدراكِ أنها ستكون سيئة الحظ!

تراجعت قليلًا لاقترابه منها، وتلعثمت وهي تقول بتوتر:

- لأنك بغيض، ولا تفتح فمك إلا ويقطر سمًا.

ازداد اقترابه منها وهو يقول بتسلية:

- لا تدرين؛ ربما يقطر فمي شيئًا آخر ستجده هي حلو المذاق.

تحول وجهها إلى اللون القرمزي بسبب حديثه؛ أخذت تتراجع حتى اصطدمت بالمقعد وكادت تسقط، لولا أن أمسكها إبراهيم، ولكنه لم يطلقها بل ظلت حبيسة بين ساعديه القويين؛انتبه على نحول خصرها، فبسبب ملابسها الفضفاضة لا يعرف منها إن كانت نحيفة أم سمينة؛ حاولت أن تبعده عنها بقوة فلم تفلح؛رفعت رأسها وقالت بغضب:

- أبعد يديك عني الآن، لا أدري كيف الوضع ببلادك، ولكن هنا لا تسمح الفتيات للشباب بأن يفعلوا ما تفعله أنت الآن؛ ابتعد عني وإلا صفعتك.

دار ببصره على وجهها ثم قال هامسًا بصوت جعل دقات قلبها تزداد:

- لم أنتبه على جمال عينيكِ من قبل، لونهما كالليل البهيم أيتها

الصغيرة.

استجمعت شتات نفسها بصعوبة، فلم يتحدث أحد معها بتلك الطريقة من قبل، وتعجبت لجراءته تلك وصاحت به متوسلة بعدما علمت أنها لن تنتصر بمعركة القوة، فهو بلا شك أقوى منها بكثير:

- أرجوك أفلتني، أنا لا أحب مثل تلك التصرفات، ولا يجوز لك هذا أبدًا، ووالدتك قد تأتي في أي لحظة؛ ماذا ستقول لو رأتنا على هذا الحال؟!!

تعجب من تحفظها وتمسكها بالأخلاق والقيم في وقت قد اندثرت فيه مثل تلك المفاهيم، فابتسم وقال لها بلامبالاة:

- سيعجبها الأمر بلا شك يا صغيرتي.

صاحت مستنكرة:

- ولكنه لا يعجبني أنا؛أفلتني الآن، هذه التصرفات لا تليق بشخص محترم أبدًا.

تركها ورفع يديه لأعلى وقال متهكمًا:

- ها قد أفلتك أيتها الحمل الصغير، لا تغضبي هكذا.

كادت أن تسقط أرضًا، جرأته في إمساكها والتصاقه بها بتلك القوة لم يكن بحسبانها على الإطلاق، فهمساته كانت دافئة في أذنيها، لازالت تشعر بقشعريرة جسدها؛رفعت رأسها إليه فوجدته يتلذذ بالنظر إليها وهي تكاد تسقط من الانفعال وقال:

- تبدين بريئة للغاية، فوجهكِ ينبئني بأنها مرتك الأولى التي يقترب منك أحد لتلك الدرجة؛ لا تنكري، وجهك يفضح ما يجول بصدرك.

أخذت تبحث عن رد، ولم ينقذها سوى دخول السيدة معتمدة على عصاتها؛أسرع إليها ليعاونها على الجلوس، تعجبت ليالي منه كثيرًا، فمنذ برهه كان ساخرًا متهكمًا، والآن رؤوفًا رحيمًا! وتساءلت أيهما شخصيته الحقيقة؟! بعدما أجلس والدته استأذن منها وقال:

- على الرحيل الآن يا أمي، فلدي عمل عليّ أن أنهيه.

أومأت له بالإيجاب، ثم التفتت إلى ليالي بعدما رحل، وأشارت لها أن تجلس بجانبها، وأخذت تتحدث معها عن عائلتها، وعلمت منها أنها يتيمة، ولا يوجد لديها أحد من عائلتها سوى شقيقها زياد، وسألتها عن جامعتها وتعليمها، فحدثتها أنها طالبة بإحدى الجامعات المرموقة، وتسعى لتكون مهندسة ديكور من الدرجة الأولى. أعجبت بها السيدة بشدة، وانبهرت بها لتمكنها من دخول تلك الجامعة المرموقة، وحتى إن كان بمنحة، فهذا لا يغير من كونها فتاة مدهشة. جاءت المرأة التي رأتها ليالي بالأمس تسوق أمامها القهوة، وضعت فنجان أمام السيدة ثم وضعت فنجان أمام ليالي؛ شكرتها ليالي بإماءة من رأسها، وهنا التفتت السيدة هويدا إلى ليالي، وقالت لها:

- ابنتي هل يمكنني أن أطلب منكِ أن تعملي هنا وتعتنى بيوب مرضي حتى أمر من الانتكاسةالتي أنا بها.

لم تكن دهشة ليالي بأقل من دهشة المرأة، فتنحنحت ليالي قبل أن تقول:

- لقد فاجأتني حقًا سيدتي؛أنا أعتذر منكِ، فأنا لا أملك أي وقت، فعملي وجامعتي يأخذان كل وقتي.

تنهدت السيدة بأسف وقالت لها:

- أنتِ رأيتِ معاملة ابني إبراهيم الفظة، أكثر فترة جلستها معي ممرضة كانت خمسة أيام فقط، أنا كما ترين لا حول لي ولا قوة، ولا يوجد من يعتنى بي، وهو خارج البيت طوال الوقت، فوقته كله يقضيه في عمله، ولا أراه إلا على فترات بعيدة لأنه دائم السفر.

ثم مسحت السيدة دمعة على خدها وهي تكمل:

- إنني وحيدة، وأخشى أن تأتيني الأزمة وأنا وحدي فأموت لا أجد حتى شخص يلقنني الشهادة عند احتضاري.

شعرت ليالي بالشفقة على السيدة، ولم تحتمل رؤيتها وهي تبكي، فقامت من مجلسها على الفور واحتضنت رأسها بحنان وقالت بدون تفكير:

- أطال الله عمرك أمي، لا تحملي أي هم، أنا سأترك عملي وسأتفرغ لكِ، لا تتحدثين عن الموت بسهولة هكذا، ولا تقلقي أبدًا، لن أسمح له بأن يتسبب في تركي لك أبدًا، فاطمئني.

لاحت ابتسامة ظفر على شفتي السيدة، ولكنها أخفتها سريعًا حين ابتعدت ليالي عنها، فقالت السيدة هويدا:

- شكرًا لكِ يا ابنتي، ولا تقلقي سأعطيك راتب أفضل مما كنتِ تأخذينه من عملك السابق.

أرادت ليالي أن تعترض، ولكن السيدة منعتها وقالت:

- هذا عمل يا ابنتي، فكيف ستنفقين على دراستك ومعيشتك لو لم تأخذي راتب؟

ابتسمت ليالي بخجل وهزت رأسها متفهمة، وهنا دبّ النشاط في السيدة، والتفتت إلى المرآة وقالت بحبور:

- والآن يا نعيمة أريدك أن تجهزي الغرفة المطلة على الشاطئ في الدور الثاني لتكون غرفة ليالي.

دهشت ليالي من نشاط السيدة هويدا المفاجئ، ومن قرارها الصادم، فقالت لها متعجبة:

- سيدتي، لم عليّ المكوث هنا؟فبيتي ليس ببعيد عنكِ، يمكنني الذهاب مساء والعودة في الصباح!

التفتت لها وقالت بعدم اهتمام:

- لالا، لن ينفع هذا، ماذا سأفعل لو حدث لي شيء في الليل؟ يجب أن تنتقلي إلى العيش هنا معي لا مجال للمناقشة، والآن اذهبي إلى بيتكِ واحملي أغراضك وتعالي على الفور.

نظرت ليالي إلى الساعة، فوجدتها تقترب من العاشرة فقالت لها:

- سيدتي، لقد تأخر الوقت كثيرًا ،سآتي إليكِ في صباح الغد.

وافقت السيدة على مضض، وطلبت من السائق أن يوصل ليالي إلى بيتها؛ لم تعترض ليالي، فالوقت قد تأخر، ولا يزال جسدها يشعر بالرعب الذي عانته في الأمس؛ بعدما غادرت ليالي التفتت السيدة نعيمة وهي تكتم ضحكة وقالت:

- سيدتي، أنا أشعر بالدهشة لقدرتك على التمثيل، لقد كدت أصدقك حقًا، وأمر الممرضات هذا وحده شيء آخر، لم تطأ البيت أي ممرضة، باللّه عليكِ من أين ألفتي كل تلك الرواية؟

ابتسمت السيدة هويدا وقالت بمكر:

- أنا أشعر بالدهشة من نفسي، ولكن كان عليّ أن أستثير عطفها، فتلك الفتاة من النوع الذي يضع مصالح الآخرين قبل مصلحته.

فتساءلت نعيمة:

- وهل تعتقدين أن حيلتك تلك ستفلح ويقع السيد إبراهيم في المصيدة؟

قالت السيدة هويدا بزهو:

- نظرتي في الآخرين لم تخب من قبل أبدًا نعيمة، وليالي هي الفتاة التي ستعلم ابني معنى الحب، وأن تكون امرأة واحدة هي كل حياته، تمامًا كما علمت أنا والده رحمه اللّه؛إن ليالي تشبهني كثيرًا في صغري يا عزيزتي.

أوصل السائق ليالي إلى بيتها، وما إن فتحت باب السكن حتى أتى شقيقها على الفور وصاح بها غاضبًا:

- أيتها الحمقاء لم هاتفك مغلقًا؟لمَ تتسببين بقلقي دائمًا عليك.

أجابت معتذرة:

- عذرًا أخي لقد فرغت البطارية.

زفر ثم قال مستفهمًا:

- وما أمر تلك السيارة الآن؟

أشارت له بالدخول وحضرت له كوبًا من الشاي ووضعته أمامه، ثم روت له الأمر، وتجنبت الحديث عن إبراهيم، لأنه لن يوافق، وهي تشعر بالشفقة تجاه السيدة. أخذ زياد يفكر بالأمر ثم حك ذقنه وهو يقول:

- أراه عملًا مناسبًا لكِ، وهو أيضًا ليس ببعيد، يمكنني الاطمئنان عليكِ في أي وقت، لا تقلقي سأتحدث أنا نيابة عنكِ مع أبى.

ثم ابتسم وقال:

- لقد كنتِ تعشقين هذا الشاطئ منذ أتيتِ إلى هنا، والآن تتحقق أمنيتك وتعيشين فيه.

همست لنفسها قائلة:

- لا أشعر بالتفاؤل مثلك يا أخي، فهناك ذئب رابض.

في الصباح حضرت حقيبتها في وقت قصير، فهي لا تملك الكثير من الملابس، وما إن انتهت حتى ذهبت إلى شقة والديها وسلمت عليهم. كان سلامهم فاترًا كعادتهم. توجهت إلى الفيلا وهي تفكر بمستقبلها كيف سيكون، ولكن ما عزمت عليه هو ألا تمنح ذلك الإبراهيم أية فرصة لإرغامها على الرحيل.طرقت باب الفيلا، فتح لها الخادم ثم حمل عنها الحقيبة، وما إن خطت قدماها حتى اصطدمت بنظرات إبراهيم المتسائلة، وقلب بصره بينها وبين الحقيبة، ثم قال أخيرًا:

- ما الأمر؟ وما خطب تلك الحقيبة؟ هل هربتِ من بيتكِ أم ماذا!

ابتسمت وهي تجيبه بتحدٍ:

- بل هنا كمرافقة للسيدة والدتك يا سيد إبراهيم.

شعرت بالسعادة وهي ترى وجهه يكاد ينفجر من الغيظ، تركته وغادرت وهي تقول لنفسها:

- حسنًا، سنرى من المنتصر بيننا أيها الإسباني.

❖ ❖ ❖

الفصل الثالث

«الخطة تأتي بثمارها»

تململت ليالي بمجلسها، فقد مر على وجودها بالفيلا خمسة أيام، لم تكن تفعل شيء سوى الجلوس والنوم فقد صادف فقد صادف فقد صادف ايضا إجازتها من الجامعة؛ نعم كانت تعتنى بالسيدة وتعطيها أدويتها ولكن هذا لم يكن يأخذ دقائق، وكانت تظل طوال اليوم لا تفعل شيء، وحتى إبراهيم لم يسافر كما أخبرتها والدته؛بل يذهب إلى عمله ثم يعود بالمساء، ومما فهمته من نعيمة أنه يدير إحدى أكبر الشركات في إنشاء وتطوير الفنادق والقرى السياحية، وأن الشركة الأم موجودة في إسبانيا، كان غالبًا ما يأتي متأخرًا، وفي إحدى الليالي شعرت بالعطش، فنزلت لتشرب، وأثناء وجودها بالمطبخ رأته يدخل عليها، كان التعب يبدو باديًا على وجهه، ومع ذلك كان يبدو أنيقًا وسيمًا كعادته. شعرت أنه دخل إلى المطبخ ليتناول شيء، فعالجته قائلة بأدبٍ دون النظر إليه:

- هل أحضر لك شيئًا لتتناوله؟

فرفع حاجبه وقال متهكمًا:

- هل تطبقين المثل الشعبي القائل «أسرع طريق إلى قلب الرجل معدته يا صغيرتي!».

كان الغضب قد بلغ منها مبلغه، فقالت وهي ترحل:

- لا تنادني بالصغيرة ثانية، أنا في الحادية والعشرون من عمري، ورأيت في حياتي ما لن تراه أنت طوال عمرك، وأريد أن أطمئنك لو اختفى كل الرجال في العالم ولم يبقَ سواك، فلن أسعى

أبدًا إليك، فعلى ما يبدو أنك معتاد على سعي النساء خلفك، ولكن أحذرك، فهنا لا تسعى النساء خلف أحد.

تذكرت جاسمين في تلك اللحظة، فأكملت قائلةً:

- على الأقل من نشأن على التمسك بالدين والأخلاق، وأحمد ربي أن والداي قد ربياني على تلك الصفات أيها المغرور.

ثم صعدت إلى غرفتها وأغلقت الباب خلفها وهي تلعن نفسها لأنها شعرت بالشفقة عليه. في الصباح التالي تفقدت ليالي السيدة هويدا وأعطتها الدواء؛ أثناء جلوسهم على مائدة الغداء لاحظت عدم وجوده، فسئلت السيدة هويدا، فأجابتها قائلة:

- لديه عمل، وسيأتي بعد ثلاثة أيام.

انتهزت ليالي الفرصة ودخلت إلى المكتبة، وهالها حجم الكتب الموجودة، فقد كانت كبيرة بحق. أخذت تتنقل بين الكتب كالفراشة، فقد كانت القراءة هي عشقها الذي لا ينتهي؛ لاحظت أن المكتبة مهملة للغاية وتحتاج إلى ترتيب وتنظيف؛فطلبت من السيدة أن تأذن لها في تنظيفها وترتيبها قبل أن يعود ابنها، لأنه دائم الوجود بها. أمام حماسها لم تستطع السيدة هويدا أن ترفض طلبها، فنزلت بسرعة إلى الأسفل وهي فرحة، وبدأت في العمل على الفور. تنبهت على صوت طرقات على الباب، فرفعت رأسها من بين الكتب لترى نعيمة قادمة ومعها صينية عليها العشاء وقالت:

- لم تأتِ للعشاء، فقلت آتي به أنا إليكِ.

شكرتها ليالي وانقضت على السندويتشات، والتهمتها وهي تقول بامتنان:

- مر الوقت سريعًا ولم أنتبه، اعذريني، لم أشعر بالجوع إلا حينما شاهدت طعامك.

ربتت نعيمة على كتفها وطلبت منها ألا تجهد نفسها أكثر من اللازم، وتركتها ورحلت، توقفت ليالي عن العمل عند سماع صوت

أذان الفجـر؛ مطت سـاعديها بتكاسـل، وتركت مـا بيديها وقامت لتصلي، ثم نامت على الفور.

استيقظت في العاشرة، فقامت وأخذت حمامًا منعشًا، ثم نزلت إلى المطبخ. طلبت من نعيمة أن تجلب لها الفطور إلى المكتبة، واندسّت ثانية بين أكوام الكتب؛ مر اليوم كسابقه، وفي مساء اليوم الثالث كان الجميع قد خلد إلى النوم، وهي لازالت في المكتبة. انتهت من ترتيب جميع الكتب؛ نظرت إلى عملها بفخر، وحين شـعرت بالرضا عن عملها اسـتدارت لتطفئ الأنوار، ثم تركـت ضوءًا خافتًا؛ لاح لها كتـاب سـاقطًا على أرضية المكتـب فالتقطته لتجد أنه سـقط من الأعلـى؛ تنهـدت بيـأس، فقد أتعبتهـا الرفـوف العلوية للغايـة. أدارت الكرسـي ووضعته فوق إحدى الطـاولات لتقف عليه، وحين لم تصل جلبت وسـائد لتضعها عليـه ليرفعها قليـلًا. كان المقعد غير متزن، ولكنها خاطرت، فلم ترد أن توقظ أحدًا لتسـأله عن مكان السلم، وما إن حاولت أن تصعد حتى تعثرت وكادت تسـقطت، فقد كانت عباءتهـا طويلـة. أرادت أن ترفعها قليـلًا. أخذت تتلفـت حولها قبل أن ترفعها، ثم ابتسمت لفعلتها وقالت لنفسها:

- أنتِ وحدك هنا يا حمقاء، تبحثين عن من!

رفعت العباءة إلى منتصف ساقها، ثم حملت الكتاب معها لتضعه فـي مكانه المخصـص، وفجأة فتح الباب لتجـد إبراهيم يقف عنده وهو يتطلع إليها، جفلت لرؤيته في مثل تلك السـاعة المتأخرة. تنبهت على تمعنه بها، ولاحظت عينيه التي انخفضت إلى ساقيها، فصعقت ومـدت يديها لتنزل العبـاءة، فاختل توازنها لتسـقط من أعلى المقعد أطلقـت صرخـة مكتومـة، وأغلقت عينيها بشـدة وهي تهيئ نفسـها لارتطام قوي، ولكن أيًا من هذا لم يحدث، فقد أسرع إبراهيم إليها كالبـرق، ولحـق بها قبـل أن ترتطم. سـمعت صوته يلهـث وهو يقول بسخريته المعهودة:

- افتحي عينيكِ أيتها الحمقاء، أرى بأنني سأعتاد سقوطك الدائم بين ذراعي.

فتحت عينها لتجد وجهه قريبٌ منها للغاية، وهو يحملها بين ذراعيه بلا أدنى جهد. طلبت منه أن ينزلها أرضاً؛ وضعها على الأرض، وما إن لامست قدميها الأرض حتى أسرعت في إنزال عباءتها وهي تشعر بالخجل الشديد؛ قطع هو الصمت وقال ينهرها:

- من سمح لكِ بالدخول إلى هنا، وماذا كنتِ تفعلين في الأعلى.

أجابت بارتباك:

- لقد أخذت الإذن من السيدة هويدا لكي أعيد ترتيب المكتبة؛ لقد انتهيت منها على كل حال، عمت مساءً.

وخرجت مسرعة، أشعل الضوء وانبهر برؤية المكتبة؛ فقد كانت نظيفة ومرتبة بذوق وأناقة. خجل من نفسه لطريقة حديثها معها وقرر أن يشكرها في الصباح؛ لم تستطع أن تخلد إلى النوم فنظرة عينيه لها حين كانت بين ذراعيه لم تفارق مخيلتها. رأت في عينيه رغبة لم تفهمها قط، كانت ليالي فتاة محتشمة، لم تسمح لأحد أبدًا أن يغازلها أو يفكر حتى بالنظر إليها، ولأنها كان دائمًا مثالاً للفتاة المحترمة، لذلك لم يتجاوز أي شخص حدوده معها، لكن إبراهيم هذا كان نوع من الرجال لم تقابل مثله من قبل. صاحت بنفسها مؤنبة:

- ليالي! ما بك يا فتاة؟أنتِ لا تطيقينه، وهو الآخر لا يستسيغك، فلم الارتباك! لاتضيعي في بحار عينيه.

تنهدت ثم قالت بغضب:

- لم عليه أن يكون بتلك الجاذبية؟ لو كانت خرافة أدونيس حقيقة لكان هو خير دليل عليها. سأخلد النوم لعلي أريح عقلي الذي يكاد أن ينفجر.

استيقظت مع خيوط الفجر، صلت فرضها وجلست لتراجع بعض النقاط الهامة، ثم قامت وبدلت ثيابها لتنطلق إلى جامعتها، وما إن

أغلقت باب الفيلا حتى وجدت شقيقها زياد في انتظارها؛ أقبلت عليه وهي قلقة قائلة:

- زياد ما الأمر؟ هل حدث شيء؟ هل الجميع بخير؟

قاطعها مطمئنا إياها قائلًا:

- اطمئني الجميع بخير، أنا أعلم أنكِ ستذهبين إلى جامعتك الآن، فأتيت لتفقد أحوالك؛ هيا تعالي لنتمشى سويًا، فأنا لدي خبر سعيد أريد أن أخبركِ به.

جفل إبراهيم على صوت إغلاق الباب، ونظر من النافذة ليستطلع الأمر، ففوجئ بليالي وهي خارجة وشعر بالضيق منها، فها هي تخرج قبل أن يستيقظ الجميع لتقابل شابًا؛أخذ يحدث نفسه قائلًا:

- من هذا؟وإلى أين هي ذاهبة؟ ولم هي متأنقة على غير العادة؟ كيف تتركه يمسك يديها هكذا؟ لقد كادت تصفعني حين فعلتها! تبًا لهذا الحجاب؛ لم يزيدها جمالًا هكذا!

كانت ليالي قد أمسكت بيديه لتديره إليها ليخبرها بهذا الخبر السعيد، فابتسم وقال بإحراج:

- لقد تحدثت مع والد عائشة على تقديم موعد الزفاف.

لم تصدق ليالي نفسها وتعلقت بعنق شقيقها، وصاحت بابتهاج:

- مبارك لك أخي، أخيرًا، أنا سعيدة لأجلك، مبارك.

كان إبراهيم يتابعهما من خلف النافذة، وعندما رآها تعانق الشاب، اندفع كالصاروخ خارجًا وهو يصيح بها بانفعال:

- ماذا تفعلين؟ ومن هذا الشاب؟

أبعد زياد ذراعي شقيقته ودفعها لتقف خلفه، وقال بحدة لإبراهيم:

- وما دخلك أنت؟ كيف تجرؤ على الحديث معها بتلك الطريقة؟

اغتاظ إبراهيم لرؤيته وهو يقف بينهما ليحميها منه، قال بغروره المعهود:

- بل لا دخل لك أنت، ابتعد عنها وارحل قبل أن أهشم أنفك،

وأنتِ آمركِ بأن تعودي إلى الداخل، ولي حديث طويل معك، مثل تلك الأشياء لن أسمح بها هنا.

تعجبت ليالي من رؤيته غاضبًا هكذا، وشعرت بالغضب لتلميحاته، وسمعت شقيقها يقول وقد اشتد غضبه:

- تهشم أنف مَن أيها الأحمق؟أبتعد عنها؟ هل أنت مجنون!

شعرت ليالي بأن الوضع سيتحول لساحة حرب، فتعلقت بذراع شقيقها وهي تترجاه قائلة:

- زياد توقف، إنه ابن السيدة التي أعمل لديها، لابد وأنه فهم الأمر خطأ، هيا بنا الآن.

ثم التفتت إلى إبراهيم وقالت بتحدٍ غاضب:

- ليس لك سلطة عليّ لتأمرني، وما أفعله لا دخل لك به، أفهمتني يا سيد إبراهيم؟

كانت أول مرة تنطق اسمه بها، وبالرغم من تهكمه الواضح، إلا أنه شعر بضربات قلبه تزاد لنطقها لاسمه، ثم ما لبث أن تحول إلى بركان ثائر حين رآها تستدير وهي تتأبط ذراع ذلك الشاب الذي لا يدري من هو، وتتركه خلفها بلا اهتمام. عاد أدراجه إلى البيت وهو يشعر بالسخط، وحدث نفسه بحدة قائلًا:

- إبراهيم ما بك؟ من تلك الفتاة التي تجعلك ثائرًا هكذا؟أنسيت أن جميلات العالم يركعن تحت قدميك لأجل أن تنظر لهن فقط! دع تلك الفقيرة ولا تشغل عقلك بها، إنها ليست من مستواك يا رجل.

قالها لكي يوقظ نفسه، ولكن هيهات؛ليالي تسللت إلى تفكيره على غير إرادة منه، فهي نوع مختلف لم يصادفه قط، لذا ليس من السهل أن تخرج، ولو كان ذلك بإرادته.

بعد فترة من سيرهما باغت زياد ليالي قائلًا:

- والآن ما قصة هذا الإبراهيم الذي كاد أن يفتك بي؟

زفرت بضيق وقالت:

- لا شـيء، هو إنسان متسـلط، غليظ، دائم السخرية، لا يستمع سـوى لنفسـه فقـط، لا يأبه لشـيء، مغـرور، يتحكم فـي الآخرين كيفمـا يشـاء، ويظن أنني سـأرضخ له، ولكن هيهـات، لن يحدث حتى، يرى شحمة أذنه هذا الأحمق.

ابتسم زياد بخبث وقال:

- وماذا أيضًا؟ أراكِ قد حللت شخصيته بدقة، يبدو أنه يشغل حيز كبير من تفكيرك يا عزيزتي.

أنكرت على الفور:

- أتمزح معي! محال أن أشغل عقلي بهذا المغرور.

اختفت ملامح المزح من وجهه، وحل مكانها الجدية ثم قال:

- ليالـي، سـتتوقفين عن الذهـاب إلى هنـاك، لا يمكنك العيش ببيت يحيا فيه رجل غريب.

تذكـرت ليالـي دمـوع السـيدة هويـدا ورجائهـا لها بـأن توافق، فأسرعت قائلة:

- يا أخي هو لا يأتي إلى البيت إلا نادرًا، هذا ما أخبرتني به السيدة هويدا، ثم إنني أعيش بجناحٍ منفصل عن مكان غرفته تمامًا؛ أخي، لـو كان بالأمر شـيئًا خاطئًا هل كنت تظن أنني كنت سـأوافق به! بالطبع لا؛ أم أنك لا تثق بي؟

كانا قد وصلا إلي محطة الحافلة فودعها وهو يقول مفكرًا:

- سـأحاول أن أصدقكِ أيتها الشقية الصغيرة، ولكن مما تعلمته مـن تجـارب الحياة أن أكثر شـيء ننكره ونرفضه بشـدة هو أكثر شيء نريده؛أراكِ فيما بعد، انتبهي على نفسك، وداعًا.

وصلـت إلـى جامعتهـا مبكـرًا قليـلًا، فاتجهت إلـى الكافيتريا لتحتسـي فنجانًـا مـن القهوة لعله ينهي ما برأسـها من صـداع. أخذت ترتشف منه وهي تتفحص إحدى المراجع، ولم تنتبه على وقوف هيثم بجـوار طاولتهـا، وعندما لـم تنتبه عليه أصـدر صوتًـا خافتًا ليجذب

انتباهها ، فانتبهت لوجوده وقالت متعجبة :

- أستاذ هيثم! منذ متى وأنت هنا؟

ابتسم برقة وقال:

- منـذ أكثر من عشـرة دقائق ، ولكن يبـدو أنكِ كنتِ مندمجة بما تقرأين.

ثم أردف قائلًا :

- أتساءل متى ستتوقفين عن أستاذ تلك؟

اعتدلت في مجلسها وقالت بأدب :

- لا أظـن أنـي سأتركها ، أشـعر بالإحراج لنطقي لاسـمك مجرد هكذا.

قال بمكر :

- وهل هذا شيء خاص بي وحدي يا ترى؟

قالت ببراءة :

- لم أفهم ماذا تعني؟

قهقه وقد أعجبه براءتها وقال:

- لا داعي لأن تفهمي ، على الأقل لم يحن الوقت بعد يا..ليالي.

لم تفهم مغزى كلماته وهمت أن تسأله ، ولكنه عالجها قائلًا :

- حفل زفاف أختي سهام قد اقترب أنتِ أول من أخبره ، ولن تقبل هـي بأي اعتذار كما كنتِ تفعلين بحفلات أعياد ميلادي أنا وهي ، فها أنا أخبرك قبلها بشهر ونصف على الأقل ، أي أنه لا حجة لديك.

قالت له بسرور :

- مبارك لها ، لم أرها منذ تخرجها من الجامعة سوى مرات قليلة و..

وهنا قاطعها صوت جاسمين تقول بغيرة لم تستطع إخفاؤها :

- الجميع يعامل ليالي معاملة خاصة ، الأستاذ ثم أنت يا هيثم؛ يبدو أنكِ تملكين شيئًا خاصًا لا نعرفه يا عزيزتي.

لـم تعجـب ليالي طريقـة حديث جاسـمين ، ولكنها لـم تظهر لها

الأمـر، وفضّلـت تجاهلهـا تمامًا، فقامت من مجلسـها وقالـت لهيثم بامتنان:

- أشكر لك تقديرك لي يا أستاذ هيثم، وأعدك سأفكر بالأمر، أستمحيك عذرًا الآن.

ابتعدت عنهم خطوتين، فقالت لها جاسمين ساخرة:

- لا داعي لتجلبي لها هدية، فهم يقدرون ظروفك يا عزيزتي.

أرادت أن تصفعها لإهانتها تلك، ولكنها قالت لها ببرود أغاظها:

- ومع ذلك سأجلب لها واحدة يا جاسمين.

وغـادرت وهي تكتم انهمـار دموعها، ومـا إن ابتعدت، حتى قال هيثم لجاسمين باشمئزاز:

- كلماتك كانت سـخيفة للغاية يا جاسـمين، أتمنى أن تتوقفي عن تلك الحماقات لأنني بدأت أشعر بالضجر حقًا.

ثم مضى وتركها وحيدة تأكلها نيران الغيرة.

بعدمـا انتهـت ليالـي مـن جامعتها، ودعـت صديقتها سـلوى، ثم توجهـت إلـى محطـة الحافلة كالعـادة، وأثنـاء انتظارهـا رن هاتفها فأجابت بفرحة قائلة:

- مرحبا جدتي، كيف حالك؟

أتاها صوت السيدة العجوز وهي تقول معاتبة:

- لو كنتِ تهتمين لمعرفة أحوالي كنتِ أتيتي لزيارتي.

ضحكت ليالي وقالت:

- لقـد كنـت لديك من يومين فقط، يبدو أنكِ حقًا تحبيني، لهذا تشعرين بالحنين إليّ.

أجابتها العجوز بغضب:

- باليـوم يعنـى ثلاثة أيـام؛ كنت أراكِ يوميًا، عليـكِ أن تأتي الآن لزيارتي.

اغتبطت ليالي وقالت بسعادة لرؤية مدى حب الجدة لها:

- أنا الأنفي الجامعة جدتي، وأنتظر الحافلة للعودة إلى البيت، هل يمكنني تأجيل الزيارة لوقت آخر جدتي؟

وافقت العجوز على مضض وقالت:

- حسنًا، ولكن لا تتأخري يا ابنتي، لقد اشتقت إليكِ، وأيضًا الفتاة التي تعمل هنا أصيبت في قدميها ستأخذين مكانها حتى تشفي.

ردت ليالي مداعبة إياها:

- إذن لهذا تريدينني أن آتي، ليس لشوقك إليّ كما قلتي؛ أمزح لا تغضبي، لن يمكنني المجيء إلا في الأسبوع القادم، والآن عليّ أن أغلق فالحافلة قد أتت قد جاء، وداعًا جدتي.

بعدما انتهت من المكالمة ركبت على متن الحافلة الذي انطلق ينهب الأرض نهبًا. عندما اقتربت من البيت كان الوقت قد تأخر قليلًا، لم تدخل ليالي إلى البيت على الفور، بل توجهت إلى الشاطئ، كعادتها كلما حملت بداخلها هموم، جلست على الرمال وأغلقت عينيها لتشعر بالهواء يتلمس وجهها وشعرها وتستمع إلى أنغام البحر الهادئة التي تبعث السكينة والهدوء إلى النفس، مرت نصف الساعة على جلوسها، ثم تذكرت أنها لم تتناول شيء منذ الصباح ومعدتها تتذمر منها الآن، فقامت لتعود إلى البيت. نفضت الرمال من على ثيابها ثم عدلت من حجابها وتوجهت إلى الفيلا، وحين ابتعدت تحرك تمثال في الظلام وهو يهمس قائلًا:

- إذن لقد كان أنتِ تلك الفتاة من تلك الليلة يا ليالي.

أخذ إبراهيم ينظر إلى الساعة كل خمس دقائق، فها هي الساعة قد اقتربت من الثامنة وليالي لم تأتِ، كان قلقه عليها يشغل الحيز الأكبر من تفكيره، وأخذ يفكر ربما حدث لها شيء، أو ذلك الفتى الذي كان معها في الصباح قد أذاها! عند تلك النقطة ثار كالبركان وخرج ليستنشق هواء لعله يهدأ قليلًا. أخذ يتمشى على

الشاطئ إلى أن وصل إلى مكانه المفضل بين نخلتين، ولم يمر عشرة دقائق حتى لمح طيفًا أسودًا يقترب؛ شعر بالراحة تجتاحه، فلم يحتَج إلى التخمين، لأنه علم أنها ليالي على الفور. لم يحرك ساكنًا وظل يراقبها؛ جلست أمامه، شاهدها وهي تخلع حجابها، كان الضوء خافتًا بعض الشيء، لذا لم تنتبه على وجوده، وما أن ابتعدت حتى خاطب نفسه قائلًا:

- إذن لقد كان أنتِ تلك الفتاة من تلك الليلة يا ليالي.

في الصباح استيقظت ليالي متأخرةً قليلًا، بدلت ثيابها وأسرعت إلى غرفة السيدة هويدا لترى إن كانت تناولت دوائها أم لا. طرقت الباب ودخلت، وقالت بابتسامة:

- صباح الخير يا.....

بترت عبارتها حين رأت إبراهيم يجلس بجانب والدته، خفضت بصرها وهي تحييه بأدب، ثم قالت للسيدة:

- أعتذر عن تأخري اليوم، لقد خلدت إلى النوم متأخرًا، وكان يومي بالأمس متعبًا للغاية.

رفع حاجبيه بتهكم وقال:

- ترى وماذا فعلتي لتكوني بذلك الإرهاق يا صغيرتي؟

كانت كلمة صغيرتي تلك تجعلها تثور، فأجابته بحدة:

- لا أعتقد أنه يجب عليّ أن أشغلك بأمور حياتي يا سيد إبراهيم.

زوى ما بين حاجبيه، وقال وصاح بها متهمًا:

- لا أريد أن أتدخل بأي شيء يخصك يا فتاة، فأنتِ لا تعنيني، ولكن حين تستيقظي في الخامسة فجرًا لتذهبي إلى مكان لا ندري عنه، وتعودي في الحادية عشرة هنا يجب عليّ أن أسألك أين كنتِ ومع من؟ أنتِ تعملين لدينا، وأي تصرف غير لائق سيؤثر على بيتنا أفهمتِ؟!

كانت والدته تشعر بالبهجة في داخلها، فحديث ابنها يدل

علـى أنه يراقب تحركات ليالي بكل دقـة ليعرف متى غادرت ومتى عـادت، وهـذا يـدل على أن خطتها تسـير في الاتجـاه الصحيح، وأن ليالي هي الفتاة التي سـتحرك المياه الراكدة؛ كانت تتابع الحديث فـي صمت، والتفتت لترى رد فعل ليالي على اتهام ابنها. شـعرت ليالي بغصـة في حلقها بسـبب اتهاماته، وتسـاءلت أهذا رأيه بهـا! أنها فتاة مسـتهترة! أرادت أن تبكي، ولكنها لن تسـمح له برؤية ضعفها أبدًا فاقتربت من السيدة هويدا بهدوء وسألتها:

- سيدتي، هل تناولتِ دوائك أم أعطيكِ إياه؟

أجابتها قائلة:

- تناولته يا ابنتي لا تقلقي.

حيتها ليالي بإماءة من رأسـها، واسـتدارت لتغـادر الغرفة، فوقف إبراهيم وقال غاضبًا:

- أنا أتحدث إليكِ..

كيف تجرئين على تجاهلي!

نظرت إليه من خلف كتفها باحتقار وقالت:

- كان يمكنـك أن تسـألني بصورة أفضـل، ولكني أتجاوز عن كلماتـك تلـك لأجل السـيدة فقـط، وإذا أردت أن تعـرف أين كنت يمكنك أن تسأل والدتك، فهي تعلم جيدًا أين كنت أنا.

ثـم خرجـت وأغلقـت البـاب خلفها بهـدوء، ومـن داخلهـا ودت لو كسـرته فـوق رأسـه الصلـف هذا. التفـت إلى أمـه بعينين متسـائلة. كتمت والدته الضحك لرؤيته

غاضبًا على هذا النحو، وتصنعت البراءة وهي تقول:

- ما بك يا بني لم أرك تعامل فتاة بمثل تلك القسـوة! هل فعلت لك شيء سيئًا!

كاد يسب ولكن تمالك نفسه وهو يقول بحدة:

- إنهـا فتـاة غريبـة، لم أرَ أحـد يتحداني مثلها مـن قبل، من تظن

نفسها! إنها عاملة لدي، كيف تجرؤ على تجاهلي هكذا، ألا تعلم من أنا؟!

انفرجت شفتاها عن ضحكة ماكرة وهي تقول:

- ولمَ أنت شاغل تفكيرك بها! إنها كما قلت، لا شيء، فلما تضعها نصب عينيك هكذا بني!

فتح فمه ليجيب والدته، ولكنه عجز عن إيجاد رد، وسأل نفسه مفكرًا:

- عجبًا! هذا صحيح، لم أنا شاغل عقلي بها؟ فلتذهب حيثما تشاء ما دخلي أنا!

لاحظت والدته الحيرة بادية على ملامحه فأسرعت لتبرر له خروجها خوفًا من أن يحدث نفسه بأن يتجاهلها وعالجته قائلة:

- إنها تدرس في الجامعة يا بني، في السنة الرابعة، وجامعتها بعيدة، لذا تخرج مبكراً لتلحق بالحافلة، ومن الطبيعي أن تعود متأخرة نظرًا لبعد المسافة.

تفاجأ إبراهيم بالأمر، فلم يكن يعلم أنها تدرس بالجامعة، وتعجب حين علم مجال دراستها، وقال لها بدهشة:

- ظننتها تعمل ممرضة بسبب خبرتها في التعامل معك ومع مرضك.

شعر بشيء من الإعجاب نحوها، فهي رغم ظروفها القاسية تكافح لأجل أن تتعلم. حين رأت والدته أن ملامحه قد لانت وانفرجت أساريره وجدتها فرصة لتحدثه عن خصال ليالي فقالت:

- إنها فتاة مدهشة، تعمل في ثلاث وظائف؛ معرفتها للتمريض ترجع لعملها بعيادة طبيب للقلب، اختارت هذا التخصص لأجل أن تتمكن من إسعاف المرضى بسبب والدتها رحمها الله، حين كانت تهاجمها النوبة القلبية كانت تفزع ولا تدري ماذا تفعل، فأخبرتني أنها عملت بعيادة طبيب للقلب لعلها يومًا ما تنقذ أحد، وتعمل أيضًا كسكرتيرة بأحد مكاتب المحاسبة، وفي المساء نادلة، وأحيانا

طاهية بمطعم صغير.

صاح بدهشة لم يستطع أن يكتمها:

- أتمزحين؟ الوظائف الثلاث لا تمت لبعضها بصلة تمامًا، إنها حقًا مدهشة.

زاد حبور والدته، فهو نادرًا ما يمدح أحد، وراحت تأكد على كلامه قائلة:

- أجل يا بني معك حق، لقد أدهشتني أنا أيضًا، قلما ما تجد فتاة تشبها بتلك الأيام، فمع كل ما مرت به مازالت محتفظة بحشمتها وأخلاقها.

شعر بالندم على إساءة معاملتها بتلك الطريقة، وجال بخاطره أن يعتذر لها، ولكن كبريائه منعه من ذلك. استأذن من والدته وخرج وعقله يفكر تلك الفتاة العاصية كانت كالفرس الجامح الذي يحتاج لمن يروضه، وهنا ابتسم بخبث وقال لنفسه:

- يبدو أن وجودي بمصر لم يكن مملًا كما كنت أظن يا ليالي، وإذا كنتِ فرسًا جامحًا، فأنا خير من يروضك يا فتاتي الجميلة؛ لا مانع عندي من التسلية.

ثم أردف وكأنه يحذر نفسه:

- طالما كانت في إطار التسلية يا إبراهيم.

والتمعت عينيه ببريق الظفر إذا كان قد اهتدى لفكرة تسهل له ما عزم فعله. ترى يا ليالي ما الذي تخبئه لكِ الأيام القادمة!

الفصل الرابع

«لمَ هي.....لم هو»

مـر يومـان وليالـي تحمـل هـم حفلـة زفـاف سـهام أخـت هيثـم، فكبريائهـا ورطهـا بوجـوب الحضور، وجلـب هديـة معهـا وهـي لا تـدري مـن أين لها الأمـوال؛ أجل هي تأخـذ راتبًا من السـيدة هويدا، ولكن هي اشترطت عليها أنها ستأخذ ما كانت تأخذه من وظيفتها السـابقة فقط، لـذا مازال مصروفهـا كما هـو، وإن زاد قليلًا لأنها وفـرت مصاريف الطعام، وفي نهاية الأمر فكرت في أن تتحجج بأي شـيء وتعتذر عن الحضور، وبينما هي تفكر فيما ستفعل رن هاتفها الخلوي. أجابت لتجد شقيقها يقول لها بسعادة على الجهة الأخرى:

- مرحبا ليالي، عندي لكِ مفاجأة، هيا خمني؟

ابتسمت على الرغم منها تساءلت قائلة:

- لست بمزاج يجعلني أخمن، أخبرني أنت ما الأمر؟

سعل قبل أن يقول ببطء:

- تم تحديد موعد العرس، سيكون الخميس القادم بإذن اللّه.

قالت بتعجب:

- كيف هذا! أليس قريب للغاية؟

سمعت قهقهته وهو يقول:

- لقـد تحجـج الرجـل بسـفره للعمـل وأنه سـيغيب لشـهرين، لذا خيرني بين الأسبوع القادم أو بعد شهرين على الأقل، فاخترت الأسبوع القادم، عائشة ستقتلني لو لم أفعل.

صاحت به قائلة بسعادة:

- يا له من خبر سعيد، مبارك عليك أخي، وأخيرًا ستهدأ عائشة قليلًا ويطمئن بالها بأنك لها.

ضحك على مقولتها وأجابها متهكمًا:

- عائشة لن تهدأ حتى أوضع بالقبر، عندها ستقتنع فقط أني لها هي وحدها.

قالت هي الأخرى مازحة:

- أكثر ما أخشاه أنها لن تقنع أيضًا بهذا، أنسيت الحور العين؟أظنها ستدعو عليك بألا تدخل الجنة حتى تأتي هي وتدخلاها معًا إن شاء الله.

لم تستطع أن تتحكم في ضحكاتها بعدما قالت، وأرتفع صوتها دون شعور منها، حتى وصل إلى مسامع إبراهيم، والذي قد صادف دخوله البيت أثناء حديثها. جذب صوت ضحكاتها انتباهه فاقترب ليستطلع الأمر وسمعها تقول:

- أنا سعيدة لأجلك جدًا يا حبيبي، ولكنك فاجأتني بأمر الزواج، والآن عليّ أن أتجهز بفستان يليق بك، حقًا لا أطيق الانتظار حتى الخميس المقبل.

ما إن أغلقت الهاتف حتى حدثت نفسها بصوت عالٍ قائلة:

- والآن ماذا سأفعل؟ لا أملك المال الكافي للفستان، هذا ما كان ينقصني!

صر إبراهيم على أسنانه بغيظ، وعاد أدراجه إلى حيث غرفته. أغلق الباب خلفه بعنف وأخذ يذرع الغرفة جيئًا وذهابًا؛ خلل شعره الفاحم بأنامله وصاح:

- كيف ستتزوج؟ إذن كنت على حق، هذا الفتى الذي رأيته معها لابد وأن يكون حبيبها، كيف ترضى بأن تقترن بشخص يتركها تتحمل نفقات عرسها مع أنه يعلم بظروفها، أتحبه لتلك الدرجة؟اللعنة لم أنا غاضب هكذا! تتزوج أم لا ما شأني أنا بها!

شـعر بضيق في صدره، ففتح بـاب الغرفة وخرج عله يجد ما يريح صدره.

فـي عصر يـوم الأربعـاء كان إبراهيم ووالدته يتنـاولان طعامهم، حيـن دخلـت عليهم ليالي شـعرت بالضيق، فعلى ما يبـدو أن إبراهيم سـيمكث عـدة أيـام بالبيت، لذا قـررت أن تعتذر للسـيدة هويدا عن تنـاول الطعام وقتما يكـون هو موجود بالبيت. ظلـت واقفة ثم بادرت ليالي السيدة هويدا وقالت:

- كنـت أريد إذنك في الخروج اليوم، لدي عرس في الغد، وأريد أن أبتاع بعض الحاجيات وأجلب الفستان.

وضع إبراهيم ملعقته بعنف على الطاولة فأحدث ضجة فزعت منها ليالي، سألته والدته قائلة:

- بني، ما بك؟ هل هناك خطب ما؟

كاد أن يكسـر الكوب الذي بيديه؛ ارتشـف منه رشـفة ثم قال لوالدته:

- لا شيئًا أمي.

هزت كتفيها تعجبًا ثم استدارت إلى ليالي وقالت لها بفرح:

- مبارك يا ابنتي، لمن العرس؟ إحدى صديقاتك؟

ابتسمت ليالي وأجابت:

- لالا، إنه عرس أخي.

لا يجد إبراهيم تفسـيرًا لمشاعر الراحة التي اجتاحت صدره حين علم أن ظنه كان خاطئًا، ولكنه ذوي ما بين حاجبيه وقال مستفسرًا:

- ألم تقولي أنكِ يتيمة ليس لكِ إخوة!

أجابته بهدوء:

- هو أخ لي من أمي.

هز رأسـه متفهمًـا ولمعت عينيه إذ تذكـر شـيئًا فسـائلها محاولًا جعل السؤال وكأنه لا يبالي:

- هل هو من كنت تتعلقين بعنقه حين رأيتك في السابق؟

أجابته بتحد:

- ليس هذا من شأنك سيد إبراهيم.

ولم تترك له المجال للرد به، التفتت إلى السيدة وقالت لها بارتباك:

- ك..كنت أريد أن أطلب منك شيء سيدتي.

- أجابتها قائلة:

- تفضلي يا ابنتي، ماذا تريدين؟

أجابت:

- الجدة التي كنت أعمل معها طلبت مني الحضور الأسبوع المقبل، لأن الفتاة التي تحضر أصيبت في قدمها ولا يمكنها الحراك، فهل يمكنني أن أذهب إلى العمل لديها؟سيكون من الخامسة وحتى الثامنة.

كانت تعلم مدى حب ليالي لتلك الجدة لذا لم تمنعها من الذهاب ووافقت؛ تنحنحت ليالي وهي تقول بخجل:

- كنت أريد أن أطلب منكِ راتبي اليوم.

فهمت السيدة أنها تحتاجه لأجل العرس، فأشارت إلي إبراهيم بأن يمنحها راتبها بعد تناول الطعام، والذي فهم إشارات والدته فقال لليالي:

- الحقي بي بعد الطعام إلى المكتب.

رفعت ليالي يديها لتطرق باب المكتب، ولكنها سمعت صوته من الداخل يقول:

- أجل يا حبيبتي، الأمور بخير الآن. انتبهي أنتِ على نفسك.. اشتقت لكِ أكثر مما تتخيلي.. أجل أعلم، ولكن أنتِ تعلمين أنكِ كل حياتي..

لم تحتمل سماع المزيد فطرقت الباب بعنف، فصاح من الداخل يأذن لها في الدخول. دخلت، أرادت أن تضرب الباب، ولكنها

تحكمت في غضبها ، دخلت وتركت الباب مفتوحًا ، ثم وقفت مكانها تنتظر أن ينتهي من مكالمته. أنهى المكالمة على الفور ورفع نظره إليها ، فوجدها تقف بعيدًا والباب مفتوحًا ؛زوى شفتيه وقال متهكمًا :

- لما تقفين عندك يا صغيرتي؟ ألا زلتي تفكرين بأشياء بذيئة كعادتك ، ولهذا تركتِ الباب مفتوحًا؟

اصطبغ وجهها بحمرة الخجل ، وقالت له متجنبة الرد على حديثه :

- أخبرني بما تريدني لأجله لا أريد أن أتأخر في العودة.

وضع مظروفًا على سطح المكتب وقال لها :

- خذي ها هو.

اقتربت بحذر منه فهي تعلمت أنه النوع الذي لا يمكنك أن تأمن له. التقطت المظروف وفتحته ، لتجد أنه قد منحها أكثر من راتبها ، فشعرت بالغضب ، هل يتصدق عليها! رفعت عينيها إليه فوجدته ينظر إليها ، وقبل أن تفتح فمها لتتكلم قال بحزم:

- هذه الأموال هي مكافأتك على ترتيب المكتبة ، أنا أعلم أنها أخذت منكِ مجهودًا كبيرًا ، لا تظني أنها صدقة أو ما شابه؛إنه حقك ، فأنا لا أحب أن أكون مدينًا لأحد بمعروف أبدًا ، والآن هيا اذهبي فلدي عمل أقوم به!

خرجت وهي تشعر بالتعجب منه ، فتارة هو متهكم ساخر ، والآن هو شخص حريص مهتم! هزت رأسها يمنة ويسرة ، وقالت هامسة :

- لن يمكنني فهمك أبدًا يا إبراهيم.

عادت في المساء وهي سعيدة بما اشترت. كان كل من بالبيت قد خلد إلى النوم؛ صعدت إلى غرفتها ، وضعت المشتريات على المقعد ، وحضّرت نفسها للنوم ،لأنه ينتظرها غدًا يوم حافل.

طرقت باب السيدة هويدا ، ودخلت حين سمعت صوتها يأذن لها بالدخول؛ ساعدتها في تناول الدواء ، ونزلت الاثنتان لتناول طعام

الفطور؛ وجـدت ليالي مقعد إبراهيم خاليًا ، لاحظت السـيدة نظرات ليالي فابتسمت راضية وسمعتها تتساءل:

- ألن يتناول السيد إبراهيم فطوره؟

أجابتها قائلة:

- سمعت صوت سيارته يغادر منذ ساعة ، يبدو أنه غادر لعمله.

هزت ليالي رأسها متفهمة ، بعد تناول الطعام استأذنت في المغادرة لبيت أصهار أخيها لمساعدتهم، فأجابتها السيدة قائلة:

- حسنًا يا ابنتي، وبلغيهم تهنئتي.

فردت ليالي وقالت:

- أفعـل إن شـاء الله ، لـن أتأخـر ، سـأعود قبـل العـرس لأرتـدي ملابسي.

قالت السيدة بتعجب:

- ولمَ يا ابنتي؟ سيكون هذا شاق عليكِ، فلتأخذي حاجياتك معك أفضل.

أجابتها ليالي بخجل:

- لديها إخوة ذكـور ، والبيت صغير ، فلايمكنني أن أبدل ثيابي هناك.

زاد إعجاب السيدة بها فقالت برضى:

- زادكِ الله حرصًا وأدبًا يا ابنتي.

ما إن تبقى ساعتين على موعد العرس حتى استأذنت ليالي للعودة لأجـل أن تتجهـز هي الأخـرى. أوصلها أخاها ، وحيـن دخلت من بوابة الفيـلا لاحظت عدم وجود سـيارة إبراهيم، فأدركت أنه لم يَعد بعد. دخلت مباشرة إلى المطبخ، فحيت نعيمة وقالت:

- مساء الخير يا نعيمتي، كيف حالك؟

ضحكت نعيمة وقالت مازحة:

- تبدين في مزاج جيد؛ ما الأمر يا ترى؟

ابتسمت ليالي وقالت:

- أنا سعيدة لأجل أخي كثيرًا، رؤيته وهو مغتبط هكذا تفرح قلبي، لطالما كان يتمنى أن يجتمع بعائشة في بيتهما، حبه لها فوق الخيال.

دعت نعيمة لهما بالسعادة؛ أمّنت ليالي على دعائها، ثم عالجتها قائلة:

- الآن سأصعد لارتداء ملابسي، وحينما تنتهين فلتلحقي بي لتساعديني في ارتداء الفستان، فأنا يمكنني أن أغلق سحابته، ولكن يوجد كبسونه لا يمكنني إغلاقه وحدي، فلا تتأخري.

صعدت إلى الغرفة وأخذت حمامًا قبل أن ترتدى الفستان؛ جففت شعرها بالمجفف الكهربائي، فأصبح كشلالات منسدلة على كتفيها؛ لمعت فكرة برأسها، فابتسمت لنفسها وقالت:

- لنجرب!

صففت شعرها لتصنع تصفيفة رائعة أنيقة، وجعلت بعضًا منه يتهدل على وجهها الذي وضعت عليه بعض اللمسات الهادئة من المساحيق التجميلية، فزادت من جمال وجهها. ارتدت الفستان واتصلت على هاتف نعيمة، ولم تمر دقيقتان حتى سمعت صوت طرقات على الباب؛ فتحت الباب واستدارت بسرعة وهي تقول مداعبة إياها:

- أراكِ لم تتأخري بعدما اتصلت بكِ، هل كنتِ تنتظرين أمام الباب!

لم تحرك نعيمة ساكنًا، فصاحت بها ليالي من فوق كتفيها تستحثها:

- نعيمة، ما بكِ؟ هيا أغلقيه!

أغلقته لها ببطء؛ دعتها للدخول، وانطلقت ليالي إلى المرآة لتنظر إلى نفسها فأعجبها منظرها، فقالت لنعيمة وهي تتطلع إلى نفسها في المرآة:

- ما رأيك؟ جميل، أليس كذلك؟

قالتها وهي تدور حول نفسها، وما لبثت إلا وتحجرت مكانها، فأمامها يقف إبراهيم، وعينيه تدور على وجهها وجسدها بإعجاب ظاهر؛ نظرته إلى كتفيها جعلتها تتذكر أن الفستان عاري الكتفين؛ سحبت أقرب شيء لها لتغطى به جسدها، وصرخت فيه بغضب:

- كيف تجرؤ على الدخول إلى غرفتي بدون استئذان!

استند على الحائط وعقد ساعديه أمام صدره وقال ببرود:

- لقد دعوتنني بنفسك للدخول يا عزيزتي.

ثم أردف قائلًا مغيظًا إياها:

- لم تشكريني بعدما ساعدتك! أتعلمين أنها المرة الأولى لي لإغلاق كبسونة!

جحظت عيناها بشدة، فهي اكتشفت للتو هذا الأمر؛ فصرخت به:

- اخرج من هنا الآن، لا أريد أن أراك أمامي.

غمز لها وهو يستدير ليخرج وقال بنعومة:

- سأتجاوز عن جرأتك تلك لأجل ما جعلتني أستمتع برؤيته للتو يا حلوتي.

ما إن أغلق الباب خلفه حتى قذفته بالوسادة بحقد وهي تكتم دموع عينيها من القهر؛أما هو فقد وضع يديه على صدره ليشعر بضربات قلبه تنبض بسرعة جنونية؛ ضرب على صدره برفق وقال في نفسه:

- اهدأ يا قلبي، فقلد رأيت حسناوات العالم، ولم تضعف أمام أيا منهم، فلا تخذلني الآن.

بعد لحظات طرقت نعيمة الباب ودخلت، فوجدت ليالي وهي غضبى فقالت بقلق:

- ما الأمر، ما بكِ يا ابنتي؟

التفتت إليها وقالت غاضبة:

- لمَ تأخرت؟

تعجبت نعيمة وقالت:

- لقد طلبت من السيد إبراهيم يخبرك أنني سأتأخر قليلًا، ألم يأتِ ليخبرك؟

أرادت أن تصيح في وجهها من الغضب، ولكنها كتمت هذا وقالت:

- لا لم يأتِ أحد.

بعد نصف ساعة كانت ليالي تنظر إلى نفسها للمرة الأخيرة، عدلت من حجابها قليلًا ثم ابتسمت في رضى. نزلت إلى الأسفل، أول من شاهدها كان السيدة هويدا التي تفاجأت من رؤيتها وصاحت بإعجاب:

- ما أجملك يا ابنتي! تبدين في غاية الجمال، ستخطفين الأنظار من العروس الليلة بالتأكيد.

نظرت إلى نقطة ما خلف ليالي وأكملت بمكر:

- أليس كذلك يا إبراهيم؟

لم تنتبه ليالي على وجوده بالغرفة، فالتفتت بحدة لتجده جالس على إحدى المقاعد، وما إن رآها حتى وضع ساقًا فوق الأخرى وقال بخبث:

- معكِ حق يا أمي، ولكن ما شاهدته أنا كان أفضل بكل تأكيد.

شعرت بالإحراج لتلميحاته، ورأته ينظر إلى الحجاب وإلى أكمامها بخبث، فأدارت وجهها على عَجل وقالت بتوتر:

- سأذهب أنا الآن، وداعًا.

استوقفتها وقالت متسائلة:

- متى ستأتين؟

أجابتها:

- أظن الحفل سينتهي بعد منتصف الليل.

فطلبت السيدة هويدا وقالت بقلق:

- وكيف ستأتين وحدك في هذا الوقت المتأخر؟

أجابتها مطمئنة إياها:

- لا تقلقي، لدي بالهاتف تطبيق يمكنني من طلب سيارة مخصوص، وهو آمن جدًا.

مطت شفتيها بعدم اقتناع وقالت لها:

- حسنًا، ولكن إن حدث أي طارئ لا تتردي في الاتصال بي، أفهمت!

ترقرقت عينا ليالي، فلأول مرة بعد وفاة أمها تشعر أن لها بيت ينتظرها فيها أحد ويقلق عليها. احتضنتها وقالت بسعادة:

- لا تقلقي، سأكون بخير بإذن الله.

ربتت السيدة هويدا على ظهرها وتابعتها حتى اختفت خلف الباب؛ نظر إبراهيم إلى ساعة يديه ثم قال لوالدته:

- عليّ أن أغادر الآن يا أمي، فلدي عشاء عمل الآن؛أتريدين مني شيء أجلبه لكِ معي؟

قالت له برضى:

- لا بني، لا أريد شيء، انتبه على نفسك، ولا تسرع بالسيارة وأنت عائد.

في الحفل نسيت ليالي جميع ما يشغل بالها، وأخذت تضحك وتلهو وسط الفتيات؛ كانت محط أنظار الجميع، فثوبها على الرغم من حشمتها إلا أنه كان يبدو جميلًا عليها، وحجابها قد زاده فتنة وجمالًا. اقتربت منها امرأة تذكرتها ليالي، فقد قدمتها لها عائشة على أنها زوجة أخيها. ابتسمت لها المرأة، فبادلتها ليالي البسمة؛

صافحتها المرأة وهي تقول:

- هـل تتذكريـني؟ إننـي زوجة أخ عائشة، اسـمي منى، تشـرفت بلقائك.

حيتها ليالي وقالت مجاملة:

- أجل بالطبع أتذكرك، كيف حالك؟

أجابتها قائلة:

- بخير حال، وأنتِ كيف تجري أمور الدراسة معكِ؟

ابتسمت ليالي وقالت:

- تدفعني للجنون كالعادة.

ضحكتـا علـى مزحتها، وأخذتـا تتحدثن من هنـا وهناك، حتى اعتدلت المرأة بجلستها وقالت بجدية:

- اسمعي، أريد أن أتحدث معكِ بأمر ما.

قالت ليالي بتوتر:

- تفضلي، كلي أذنًا صاغية!

تنحنحت ثم قالت:

- أنـا أراكِ فتـاة جميلة ومهذبـة، وأريد أن أخطبـكِ لأخي؛ أترينه هناك ها هو، تكاد عينيه تخرج من محجريها عليكِ، وهذا ما دفعني للحديث معكِ.

اشتعلت وجنتي ليالي بحمرة الخجل، وقالت بارتباك:

- أ..أشكر لكِ مديحك لي، ولكنني لا أفكر الآن في الارتباط.

نكزتها برفق وقالت معاتبة:

- لا تفكريـن لمـاذا؟ انظـري إليه، هو شـاب وسـيم للغاية، وهو أيضًـا يعمل بالخارج، ولديه شـقته وسـيارة أحدث طـراز، وهو حاليًا سيسـتثمر أمواله في إحدى الشركات الكبرى؛ لا ينقصه شيء، أم أنه يوجد شخص آخر؟

لا تدري ليالي لمَ قفزت صورة إبراهيم إلى مخيلتها في تلك اللحظة!

هزت رأسها بعنف وقالت بحدة:

- لا لا، محال.

كانت تقصد إبراهيم، ولكن منى ظنتها تقصد أنها تنفي وجود شخص ما، فقالت على عَجل:

- إذن لمَ الرفض؟ ولو كنتِ تخشين على دراستك فلا تقلقي، سيجعلك تكملينها بالتأكيد.

شعرت ليالي بالحنق، فتلك المرأة يبدو أنها لن تتوقف حتى تحصل على ما تريد. تجولت بعينها في المكان فوقعت على شقيقها يتحدث مع شخص ما؛ لم تتمكن من رؤيته، فابتسمت لها وقالت معتذرة:

- أستمحيكِ عذرًا، فأخي يشير إليّ، سأذهب لأرى ما الأمر.

ورحلت سريعًا قبل أن تعترض المرأة. توجهت إلى شقيقها؛ ابتسم حين رآها مقبلة عليه؛أطلق صفيرًا طويلًا وهو يقول بإعجاب:

- تبدين جميلة للغاية يا عزيزتي، لو كنتِ بقاعة الرجال كنتِ ستخرجين من هنا بعريس بكل تأكيد.

لكزته وهي تقول مازحة:

- بل كنت سأخرج بفستان الزفاف لو لم أهرب، فأنت لا تدري ما يحدث بكواليس تجمع النساء.

ارتفع حاجباه بشدة وقال متسائلًا:

- كيف لم أفهم؟

ضحكت وقالت:

- زوجة أخ عائشة فاتحتني بأمر الارتباط من شقيقها، فهربت منها.

قهقه وقال:

- الفتيات يتمنين الارتباط وأنت تهربين منه!

أتاه صوت يقول من خلفه بهدوء:

- يبدو أنك نسيت أمري يا زياد.

التفت زياد إلى صاحب الصوت وقال معتذرًا :

- عذرًا عمر، كنت أتحدث مع شقيقتي وأخذنا الحديث.

حول عمر نظرته إلى ليالي وقال:

- لم أكن أعرف أن لديك أخوات غير شقيقتيك الصغيرتين.

كان يلتهمها بنظراته بطريقة جعلتها تشعر بالغضب والإحراج في الوقت نفسه. مد يديه ليصافحها وهو يقول:

- اسمي عمر، تشرفت بمعرفتك آنسة؟

قلبت بصرها بين يديه وبين شقيقها لينقذها، فمد يديه ليصافحه هو ويقول ساخرًا :

- اسمي لا يخصك يا أستاذ عمر، طالبة جامعية عمري واحد وعشرون عامًا، تخصص هندسة ديكور، ولا أتكلم مع رجال لا أعرفهم.

تبسمت ليالي من خلف شقيقها على طريقته في الحديث؛ لمعت عيني عمر وقال بإعجاب لم يحاول أن يخفيه:

- أنتِ حقًا جميلة، ويزاد جمالك حين تبتسمين.

تعجبت ليالي من جرأته، ولكنها هدأت قليلًا حين سمعت زياد يقول بحزم يشوبه مزاح:

- يا حبيبي لولا أنك صديق عزيز كنت جعلتك تذهب لطبيب أسنان ليصنع لك طقم أسنان بدلًا من التي سأقوم بتهشيمها.

ثم التفت إلى ليالي وقال:

- اذهبي أنتِ، يبدو أن عائشة تبحث عنكِ.

استدارت لتغادر وهي غاضبة مما حدث، فهي هربت من إصرار امرأة لتسقط في وقاحة شاب. بادر زياد عمر قائلًا بعدما رحلت ليالي:

- عمر، ليالي ليست مثل الفتيات التي تعرفها أنت، إنها فتاة مختلفة عنهم، أفهمتني؟ ولن أسمح لك بأن تتعامل معها كما تفعل مع الأخريات.

وضع عمر يده على كتف زياد وقال مهدئًا إياه:

- أعلم أنها مختلفة، لهذا لم أستطع كتم أعجابي بها، ولا تقلق، فأنا أريد أن أتقدم لخطبتها رسميًا، ولكن ليس الآن، عليّ أن آخذ موافقتها أولًا.

كان إبراهيم يجلس مع شركائه بالعمل، وكان أحد هؤلاء الرجال قد جلب معه ابنته التي لم تخفِ نظرات الإعجاب الواضحة له، ومما زاد من نفوره أنها جلست بجانبه عند تناول الطعام. مدت يديها لتتناول الشوكة، تذكر وقتها ليالي عندما تناولا معًا الطعام لأول مرة، وكيف كانت مضطربة لعدم معرفتها لكيفيه استخدام الأدوات. ظهرت ابتسامة على شفتيه لتلك الذكرى، فعالجته الفتاة قائلة بدلال:

- ما الأمر، لمَ تبتسم هكذا؟

وقبل أن يجيبها أجاب صديقه فريد قائلًا بتهكم:

- أكيد لوجود حسناء جميلة بجانبه.

اغتاظ إبراهيم منه ونظر له نظرة وعيد، فكتم فريد ضحكة ووضع في فمه ملعقة طعام بلامبالاة؛ أما الفتاة فقد ازدادت التصاقا به. نظر إلى والدها علّه يردعها عن جرأتها تلك، ولكن هيهات، فتلك البسمةالتي تعلو وجهه المكتظ دليل على رضاه، واستحسان ما يحدث. زوى إبراهيم شفتيه على جانب بسخرية، فهم يظنونه غر لن يفهم بتلك الألاعيب التي يحيكونها، فخطتهم تبدو واضحة للعين؛ تريد أن تتقرب منه لكي يرتبط بها، بدأت تزيد من جرأتها بجانبه، فقام وهو يقول بهدوء:

- أستأذنكم سأجري اتصالًا مهمًا.

وما إن قام حتى لحق به صديقه على عَجل، وبعدما ابتعدا قليلًا سأله فريد قائلًا:

- ما الأمر؟ هل حدث شيء أغضبك؟

زفر إبراهيم في ضيق وقال بغيظ:

- تلك الفتاة، إنها تلتصق بي كالغراء، تزاد جرأتها من أسفل الطاولة يا صديقي.

قطب فريد حاجبيه وقال بمكر:

- ومنذ متى وأنت تنزعج من تلك التصرفات يا عزيزي؟ هل أذكرك بتلك الأمريكية التي قابلناها في نيويورك، أم الكندية، أم أذكرك بالإسبانية التي ظلت تلاحقك لشهر بأكمله؟

ثم ضاقت حدقتاه وقال وهو يضغط على حروف كلماته:

- أم أنك أصبحت متعلقًا بفتاة ما، ولم تخبرني عنها بعد!

قفزت صورة ليالي إلى ذهنه في تلك اللحظة؛ صدم لذلك وصاح بنفسه قائلًا:

- بالطبع محال أن تشغل تفكيري.

عندها أجابه قائلًا:

- إذن لنلهو يا صديقي، وتذكر دائمًا كلمتي تلهو بالنساء، وليس معهن، والآن هيا، لقد تأخرنا كثيرًا على الفتاة.

وغمزة بعينيه، فقال إبراهيم ساخرًا:

- أنا أتنازل لك عن مقعدي يا أعز الأصدقاء هيا.

هز كتفيه وقال بلا مبالاة:

- حسنًا موافق، أنت من سيخسر.

عادا إلى الطاولة وجلس إبراهيم بجانب الرجل تاركًا مقعده لفريد؛ ظهر الغضب على وجه الحسناء وفجأة قال والدها له:

- أتمنى أن تجد لابنتي عمل لديك بالشركة يا سيد إبراهيم.

رفع إبراهيم حاجبه بدهشة وقال:

- بشركتي؟ ولم لا تعمل بشركتك أنت، أيضًا أظنها بالجامعة، فكيف ستوفّق بين الاثنين؟

ضحك والدها وقال:

- لقد قلت لها ذلك، أن تعمل بشركتي، ولكنها قالت لي إنها لا تود من الآخرين أن يظنوا أنها تستغل سلطة والدها للحصول على وظيفة، وبالنسبة للجامعة لا تقلق، فهي تذهب إليها مرات قليلة.

أراد أن يقول له وطلبك مني لوظيفة أليس استغلال سلطة لك؟ ولكن نظرة فريد المحذرة جعلته يتوقف، ثم قال ببرود:

- حسنًا، يمكنك المجيء غدًا، وسكرتيرة مكتبي ستجد لكِ المكان المناسب بالتأكيد.

قال الأب لابنته بسرور:

- مبارك لكِ العمل الجديد يا جاسمين...!

مر الوقت ولم تنتبه ليالي على مروره، وحين أخرجت الهاتف لترى كم الساعة، ففوجئت به وقد نفدت بطاريته؛ شعرت بالقلق، فجالت ببصرها لتبحث عن شقيقها، فوجدته يركب سيارة العرس ويغادر، بحثت عن والديها فوجدتهم قد غادروا هم أيضًا؛ زاد قلقها، فهي لم تكن على صلة بأحد من أقرباء زياد غير والديه وشقيقتاه. شعرت بيد توضع على كتفها، جفلت والتفتت لترى من فوجدت منى تقول:

- ما بك؟ تبدين قلقة من شيء ما! هل حدث شيء؟

أجابتها ليالي بتوتر:

- لا شيء، لقد نفذت بطارية هاتفي، وكنت سأطلب سيارة لأعود بها إلى البيت.

ابتسمت منى بفرحة وقالت بمكر:

- انتظري هنا، سأطلب لكِ سيارة على الفور.

سُرّت ليالي لأنها وجدت الحل لمشكلتها، استدارت لتواجه الحديقة، وفيما هي شاردة الذهن سمعت صوت سيارة يقف بجانبها، وأتاها صوت يقول بهدوء:

- لقد طلبتِ سيارة يا آنستي؟

التفت لصاحب الصوت، لكنها تفاجأت لرؤيته، فلم يكن سوى

عمر شقيق منى؛ شعرت بالانزعاج، لقد خدعتها منى وأوهمتها أنها ستطلب لها سيارة، وها هي ترسل أخاها؛ حين لم ترد ليالي عليه أعاد سؤاله، ولكن تلك المرة وهو يفتح لها باب السيارة. ترددت قليلًا، لكنها حسمت أمرها على الموافقة، فالوقت قد تأخر وأغلب الحضور قد ذهب، ولا مجال لها لطلب المساعدة من أحد غيره؛ تنهدت باستسلام، صعدت إلى السيارة، كانت ستتجاهل الباب الذي فتحه لها وتجلس في الخلف، ولكنها شاهدت أشياء على المقعد الخلفي جعلت من الصعوبة أن تجلس بجانبها. أغلق الباب خلفها برفق وعاد إلى مكانه خلف المقود؛ انطلق بالسيارة في سلاسة، كانت تأمل أن يلتزم الصمت في الطريق، ولكن أمنيتها تبخرت إذ بادرها قائلًا:

- عليّ أن أشكر هاتفك لإتاحته تلك الفرصة لي.

أجابته بكلمات حاولت أن تخرج هادئة، وألا تعكس ما بداخلها من اضطراب:

- لن أستطيع أن أوافقك الرأي للأسف.

ابتسم فكشف عن أسنان بيضاء متناسقة وقال:

- أخشى أن أكون ثقيل الظل عليكِ، سيكون من المؤسف أن تمضي كل هذا الوقت وأنتِ متضايقة.

أجابته بارتباك:

- من قال إنني متضايقة! بل عليّ شكرك لأنك ساعدتني بمشكلتي.

قال لها معاتبًا:

- لا أريدك أن تأخذي الأمر وكأنني تفضلت عليكِ بشيء، أنا من يريد ذلك.

أخذ يتحدث عن هنا وهناك وهي تتمنى لو تغمض عينيها وتفتحها لتجد نفسها قد وصلت إلى مقصدها؛ انتبهت على صوته يقول:

- تبدين شاردة الذهن، هل لي أن أعرف بماذا تفكرين!

تنهدت وهي تصبر نفسها بأنها أصبحت قريبة من البيت، وقالت له:

- لا شيء معين.

أوقف السيارة قبل البيت، وأوقف المحرك ثم استدار بجلسته بطريقة جعلتها تتوتر؛ ترددت ثم قالت وهي تحاول فتح باب السيارة:

- شكرًا لك لإيصالك إياي.

أمسك بيديها فجفلت، فابتعد عنها سريعًا وهو يقول لها:

- أعتذر على إخافتك، أنا فقط أردت أن أتحدث معكِ قليلًا قبل أن تذهبي، أنا واثق من أنكِ لاحظتي أنني أبدي إعجابي بكِ منذ وقعت عيناي عليكِ بالعرس، وأريد أن أتقدم لكِ فما رأيكِ؟

أصبحت السيارة وكأنها أتون يغلي تكاد تنصهر فيه، زادت ضربات قلبها وشعرت بالاضطراب، انفرج فمها لتتحدث ولكن صوتها أبى أن يخرج فاستدارت وفتحت الباب ونزلت من السيارة ريعًا، ولكن كان هو سريعًا في النزول؛ اقترب منها وأمسكها من ساعدها وقال بنبرة شعرت أنها غاضبة:

- لم تجبيني بعد! لن أتركك قبل أن أسمع منكِ الرد.

شعرت بالخوف منه، ففي عينه يبرق وميض غاضب؛ حاولت أن تسحب يديها، ولكنه كان مطبق عليها بقوة آلمتها فقالت له:

- أنت تؤلمني، اترك يدي من فضلك، لا يحق لك أن تلمسني هكذا.

صاح بها بحدة:

- لم تخلق الفتاة التي تتجاهل طلبي بالزواج منها أفهمتِ؟ والآن ما هو جوابك؟

وقبل أن تفتح فمها سمعت صوتًا تعرفه حق المعرفة يقول بصرامة:

- ما الذي يحدث هنا؟

شعرت بقلبها يطرب فرحًا، فلم تكن تتخيل أنها ستشعر بمثل

تلك السعادة لرؤيته، وصاحت بفرح:

- إبراهيم!

جفل عمر لرؤية إبراهيم، فصاح به:

- لا شأن لك يا هذا، ارحل من هنا.

قلّب إبراهيم نظره بين ليالي وعمر، واستقرت عيناه على يد عمر وهي ممسكة بليالي التي شحب وجهها بشدة خوفًا من عمر، فضاقت حدقتاه وقال لها بلهجة آمرة:

- هيا تعالي، سأوصلك أنا من هنا.

نزعت يديها من عمر وقالت بخضوع:

- حسنًا هيا.

شعرت بيد عمر تحاول إمساكها من جديد، فأسرعت خلف إبراهيم وتعلقت بلاوعي بذراعه محتمية به؛ دُهش إبراهيم لتصرفها هذا وشعر بنبضات قلبه تتسارع لمجرد لمسِها إياه بتلك الطريقة، ولكن ما أغضبه بشدة أن يديها كانت ترتجف من الخوف من ذلك الواقف أمامه، فرفع عينيه إليه وقال مهددًا إياه:

- إن لم ترحل الآن ثق أنك ستندم.

تحفز عمر للرد، ولكن فجأة لمعت عينيه، ثم قال بهدوء غريب لا يعكس ثورته منذ قليل:

- حسنًا سأرحل الآن، ولكنيا ليالي لنا لقاء آخر نكمل فيه ما قاطعه السيد، وداعًا.

انطلق بالسيارة مسرعًا وهو يقول لنفسه:

- السيد خوسيه، وأخيرًا تقابلنا! لا يجب أن أثير غضبك لأجل والدي.

التفت إبراهيم وسألها قائلًا:

- هل أنتِ بخير.

هزت رأسها وقالت بخفوت:

- أ.. أجل، شكرًا لك.

حاولت أن تترك يديه فكادت تسقط، فأسرع هو وأمسكها قبل سقوطها؛ كانت قواها قد خارت تمامًا، فقد تجمع عليها إرهاق الأيام الماضية مع ما حدث منذ قليل، فامتص هذا من قوتها؛ حاولت أن تقف ثانية بمفردها، ولكنها لم تستطع، وهنا حملها هو بين ذراعيه؛ أرادت الاعتراض وقالت بوهن:

- لا داعي لذلك، يمكنني المشي بمفردي.

أجابها متهكمًا:

- أجل، يبدو واضحًا تمامًا! اصمتي وارتاحي واتركيني أفعل ما هو الصواب.

اسندت رأسها على صدره بضعف؛ شعرت بعضلات صدره القوية تحت رأسها، وتنسمت عبق عطره الأخاذ الذي سرى عبيره في جسدها، فزاد من دوران رأسها واضطراب قلبها؛ سمعت دقات قلبه، كانت تبدو كلحن جميل تحت أذنيها؛استكانت بين ذراعيه غائبة عن الوعي وهي لا تدري أهي في حلم أم حقيقة!

❖ ❖ ❖

الفصل الخامس

«الحب الحقيقي»

استيقظت ليالي وهي تشعر بصداع رهيب، حاولت النهوض ولكن قدماها أبت أن تحملها؛ سمعت طرقات على الباب ثم دخل الطارق، طالعها وجه نعيمة الباسم، كانت تدفع أمامها عربة الطعام، وضعته على الطاولة ثم التفتت إليها وقالت:

- هيا تناولي طعامك قبل أن يبرد.

تعجبت ليالي وتساءلت:

- ولم بالفراش! سأنزل لأتناوله في الأسفل مثل كل يوم.

قالتها وهي تحاول النهوض، فأسرعت إليها نعيمة وقالت:

- السيد إبراهيم طلب مني أن تتناولي طعامك هنا، وأعطاكِ إذننا بأن ترتاحي اليوم، بمعنى أنكِ إجازة.

هنا تذكرت ليالي أحداث الليلة الماضية؛ إنقاذ إبراهيم لها من عمر، ومساعدتها، ثم حمله إياها، ثم غيابها عن الوعي. تعجبت منه ومن طريقته في الدفاع عنها، وكأنها شخص مهم بالنسبة له، تنبهت على صوت نعيمة وهي تقول بأسى:

- اعذريني الآن يا ابنتي عليّ أن أنزل لإعداد الغداء، وعندما أعود أريدك قد سمنتي قليلًا، اتفقنا؟

ضحكت ليالي لدعابتها وأجابت:

- إنكِ تريدين أن أزيد وزني بأي طريقة، يبدو أنكِ تغارين مني!

زوت نعيمة شفتيها باشمئزاز وقالت:

- بنات تلك الأيام لا أدري ما الذي يعجبهم في كونهم نحيفات

للغاية، أشعر وكأنهم بحاجة لمحلول جفاف.

لم تستطع ليالي كتم ضحكتها، فانطلقت في الضحك بصوت عالٍ، وقالت من بين ضحكاتها:

- ولكني لست نحيفة إلى تلك الدرجة يا نعيمة.

قالت نعيمة بإعجاب:

- أنتِ مثل الغزال ياصغيرتي حفظك الله، والآن سأخرج أنا، وأنتِ فلتنهي طعامك بأكمله.

غادرت على الفور ورائحة الطعام اللذيذة قد فتحت شهيتها، فقامت لتأكل باستمتاع، وبينما هي كذلك طرق الباب فقالت:

- تفضلي يا نعيمة، هل نسيتِ شيئًا؟

فتح الباب ودخل الطارق، ولكنه لم يكن نعيمة على الإطلاق، فقد كان إبراهيم؛ تحسست رأسها فلم تجد الحجاب، فقامت سريعًا ووضعته على رأسها، كانت تريد أن تأنبه على دخوله لغرفتها هكذا بلا استئذان، ولكنها تذكرت مساعدته لها بالأمس، لذا آثرت أن تشكره فقالت:

- كنت أظنك نعيمة لهذا أذنت لك بالدخول دون اكتراث.

رد متهكمًا:

- لا أحد يأذن لي في بيتي يا عزيزتي.

ثم أردف بجدية:

- هل أنتِ بخير اليوم، كنتِ تبدين متعبة للغاية في الأمس.

ردت بامتنان:

- أنا بخير، شكرًا لك لمساعدتك البارحة، شكرًا جزيلًا لك.

اتكأ على مسند المقعد وشبك ساقيه ثم سألها باهتمام أو هكذا خير إليها:

- من كان ذلك الشاب؟

أجابت قائلة:

- تعرفت إليه في عرس أخي بالأمس.

قال بسخرية غاضبة أدهشته هو:

- وهل هكذا يفعلن الفتيات هنا، تتعرف إلى شاب في حفل ما ثم تدعه يوصلها إلى البيت بعد منتصف الليل!

أرادت أن تتحدث، ولكنه وقف في منتصف الغرفة وأردف وقد احتد صوته وأكمل بغضب:

- أين عقلك؟ ألم تعلمي أنه حين تدع فتاة شابًا غريبًا ليوصلها أن هذا معناه أنها تبادله ما برأسه من أفكار؟ أين حديثك عن أن الفتيات هنا لسن كالأخريات؟ وماذا كنتِ تتوقعين منه سوى أن يحاول أن يقترب منكِ، ويحاول أن يفعل أشياء بذيئة؟ ألم تقولي أنكِ ستطلبين سيارة خاصة لإيصالك! لمَ غيرتِ رأيك، أفهميني؟

غضبت من اتهامه إياها للمرة الثانية بدون حتى أن يزعج نفسه بجعلها توضح له الأمر بطريقة أكثر تفهمًا، لكنها رأت في عينيه قلق وغضب، لم تجد له تفسيرًا سوى أنه بسببها، لذا لم تتشاجر معه، بل قالت موضحة له ملابسات الأمور:

- لقد نفذت بطارية هاتفي، وحين اكتشفت ذلك كان أخي قد غادر المكان مع أبي وباقي العائلة ثم عرضت عليّ أخت ذلك الشاب المساعدة حين علمت أنني كنت سأقوم بطلب سيارة، ففهمت من حديثها أنها ستطلب السيارة من هاتفها هي، ولكنني فوجئت بها وقد أخبرت أخاها بأن يوصلني هو، ولأننا هنا لسن كالأخريات أبدًا تجاهلت الباب الذي فتحه هو لي، وأردت أن أجلس في الخلف، ولكن المقعد الخلفي كان به أشياء كثيرة لن أتمكن من الجلوس بجانبها، لذا اضطررت للجلوس بجانبه.

سكتت عند تلك النقطة، ولكن نظرته كانت تحثها على قول المزيد؛ جلست على أقرب مقعد ولم تدرِ لمَ عليها أن تشرح له، ولكنها مع ذلك استرسلت وأكملت قائلة:

- أوصلني ثم عرض عليّ شيئًا، وحين لم أجب طلبه انفعل كما شاهدته أنت؛ هذا كل ما حدث، هل ارتحت الآن؟

اقترب منها حتى أصبح بجانب مقعدها ثم سألها ببرود وقال:

- وما الذي طلبه منكِ لينفعل هكذا؟

احمر وجهها خجلًا وقالت بارتباك:

- ه..هذا شيء لا أعتقد أنه يخص حديثنا بشيء.

ضاقت حدقتاه وقال:

- أنا من يقرر إذا كان يخصه أم لا، والآن أجيبيني، ماالذي كان يريده منكِ؟

تعجبت من تدخله بشؤنها الخاصة بتلك الطريقة، فصاحت به بغضب:

- ليس من حقك أن تستجوبني بتلك الطريقة، وما قاله لي هو شيءيخصني أنا، ولا شأن لك به.

كانت تشعر بضآلتها وهي جالسة، كانت تشعر وكأنه طود شامخ، فقامت لتقف على قدميها، ولكن وقفتها بتلك السرعة جعلت رأسها يدور، فكادت تسقط لولا أن أمسك بها؛ خفق قلبها للمسته فاستعادت توازنها سريعًا، وابتعدت عنه وقالت بوهن:

- أرجو أن تتركني وحدي، فأنا أريد أن أرتاح سيد إبراهيم.

كان وجهها قد شحب قليلًا فلام نفسه على مهاجمتها وهي مريضة، فدار على عقبيه وغادر الغرفة، ولم ينبس ببنت شفة. أغلقت الباب خلفه بهدوء، ووضعت يديها على صدرها، فأحست بضربات قلبها تحت أناملها فقالت لنفسها:

- ليالي، أصبحت أخشى منكِ الآن، ما معنى تسارع ضربات قلبك تلك يا فتاة! الأمر لا يتعدى موقف، وهو ساعدك به، لذا لا تشطحي بخيالك بعيدًا، ولتعي أين أنتِ.

قد يمنع الشخص نفسه عن شيء ما يريده، ولكنه لا يستطيع أن

يمنع قلبه عن النبض أو لمن يدق.

رن إبراهيم جرس الباب على صديقه فريد الذي أسرع في فتح الباب بسرعة لطرقات إبراهيم المستمرة على الباب، فتح له وهو يقول بقلق:

- إبراهيم! ما الأمر؟ هل حدث شيء؟ والدتك بخير؟

طمئنه إبراهيم وهو يقول:

- اهدأ لم يحدث شيء، أتيت فقط لآخذك.

تعجب فريد وقال له بغضب:

- إبراهيم، أنت تعلم أنني نمت بعد الرابعة فجرًا، ونحن الآن قبل الظهيرة، أي أنني لم أنم سوى ساعات قليلة؛ شكرًا لك، لا أريد الذهاب لأي مكان الآن.

نظرة إبراهيم القاتلة جعلته يبتلع لسانه ويقول باستسلام:

- حسنًا، انتظرني هنا، سأبدل ملابسي وآتى سريعًا.

تنهد فريد وتململ في مجلسه ثم قال لإبراهيم:

- نحن هنا منذ نصف ساعة، وأنت لم تفتح فمك بكلمة واحدة، ما الأمر الآن؟

أخذ إبراهيم رشفة من كوب العصير ثم قال:

- أنا نفسي لا أدري ما بي! أصبحت مؤخرًا أنفعل على أتفه الأسباب وأنت تعلم أن هذا ليس من طبعي، لا أدري ما الذي ألمّ بي حقًا!

نظر له صديقه بمكر ثم قال:

- أظن أن في الأمر فتاة ما ياصديقي!

عبس إبراهيم وقال بغضب:

- فتاة ماذا؟ وهل لدي الوقت لذلك! برأيك رجل يستيقظ في السادسة صباحًا ليذهب إلى عمله فلايعود سوى بعد الغروب، فأين الوقت لأرى فتاة!

حك فريد ذقنه بتفكير ثم قال:

- لربما هي حولك بمكان ما وأنت فقط من لم ينتبه لوجدها، ولكن عقلك الباطن هو من يفعل.

ثم أردف وقال بجدية:

- أو أنت تعلم يقينا بوجودها، ولكنك تنكر ذلك لعدم اعترافك بها وبوجودها يا صديقي.

تغير وجه إبراهيم، فعلم فريد أنه ضرب على الوتر الصحيح، وقبل أن يفتح فمه وقف إبراهيم وقال وهو يغادر:

- يبدو أنني أخطأت في المجيء للحديث معك، أنا سأغادر وعقابًا لك على ترهاتك تلك، فلتقم أنت بدفع الحساب، وداعًا.

تابعه فريد من الخلف حتى خرج من باب الكافيتريا؛ هزّ رأسه بتعجب وقال لنفسه:

- يبدو أنك قابلت أخيرًا من تجعلك تعرف معنى أن تكون بشريًا وتخرجك من طبقة الجليد الذي تحيط نفسك بها يا صديقي!

ثم نهض ووضع الحساب على الطاولة، وغادر وهو يفكر ويحدث نفسه قائلًا:

- أتمنى رؤيتها بفارغ الصبر تلك التي أيقظت الأسد من سباته.

كان إبراهيم يقود السيارة وهو يفكر بكلمات صديقه «لربما هي حولك وأنت فقط من لم ينتبه لوجودها أو أنت تعلم يقينًا بوجودها، ولكنك تنكر ذلك لعدم اعترافك بوجدها يا صديقي».

كان قد وصل إلى البيت في وقت متأخر، لاحظ أن الأضواء بغرفة ليالي لا تزال مضاءة، سرح بخياله ثم قال بنبرة صارمة:

- يجب أن أخرجك من هنا قبل أن تتسببي لي في المتاعب يا صغيرتي، لقد قلت من قبل طالما كان الأمر بطور التسلية، ولكن يبدو أنه سيتخطى هذا الإطار يا عزيزتي؛ لن أقع بنفس الخطأ مرتين، فلتستعدي لما هو آتٍ يا فتاة.

في صباح اليوم التالي كانت السيدة هويدا وليالي تتناولان طعام

الفطور؛ سألت السيدة هويدا ليالي بقلق:

- كيف حالك الآن يا عزيزتي؟ هل تشعرين بالتعب؟

أجابتها ليالي بابتسامة:

- أنا بخير يا سيدتي لا تقلقي، لقد كنت أرهق نفسي في الآونة الأخيرة ولم أنل قسطًا من الراحة في المقابل؛ بعد راحة ليوم كامل، أشعر الآن بالنشاط والحيوية.

وهنا دخل إبراهيم ورد عليها بسخرية:

- حسنًا أيتها النشيطة، اذهبي إلى نعيمة وساعديها فيما تعمل، فبسبب اعتنائها بكِ أهملت الكثير من الأشياء، هيا.

قامت ليالي على مضض؛ لم تعترض فهي كانت تنوي من الأول أن تقوم بمساعدة نعيمة، وما إن خرجت حتى التفتت إليه والدته وقالت بعتاب:

- لمَ دائمًا تحرجها هكذا يا بني؟

ابتسم وقال لوالدته بمرح:

- لا أدري! فقط أشعر بالتلذذ لتعذيبها يا أمي.

هزت رأسها بأسى، فقد كانت تريد منه أن يتصرف بلطف نحوها، ولكنه دائمًا ما يخيب آمالها؛ انتبهت على حديثه وهو يقول:

- هل لديكِ مانع أن أستعيرها منكِ بعض الوقت يا أمي؟

طرب قلبها لذلك وأرادت أن تقول له بالطبع لا مانع، لكنها تظاهرت بعدم الرضى وقالت:

- بالطبع، أنت تعلم أنني أحتاجها بجانبي لأجل الدواء والاعتناءِ بي.

أسرع يقول:

- سأعين لكِ ممرضة أخرى بدلًا عنها.

شعرت بالقلق من أنه يحيك خطة ما لإبعاد ليالي عنها، ثم يعمل على طردها، لذا فأسرعت تقول:

- لا داعي لذلك، سأطلب من نعيمة أن تعتني بي، وانتبه فقط

عليها ، وحين تنتهي هي من العمل الذي ستكلفها به فلتعيدها إليّ!

ضرب على فخذه وهو يقول بانتصار:

- اتفقنا ، شكرًا لكِ يا أفضل أم.

تركته يقبل يديها ثم قالت له:

- هيا قم بمناداتها لكي أخبرها بالأمر.

قاطع والدته وقال بمكر:

- لا يا أمي، سأقوم أنا بإخبارها بنفسي الآن.

قالها ثم غادر إلى الحديقة ، لمح من بعيد ليالي وهي تضع الملائات على الحبال؛ اقترب من نعيمة وأشار لها بالمغادرة ، فوضعت ما بيديها وغادرت والبسمة تعلو شفتيها ، وأسرعت إلى سيدتها لتخبرها بالأمر؛ كانت ليالي منهمكة في تعليق الملابس، ولم تشعر باقتراب إبراهيم على الإطلاق، وجفلت حين ارتطمت به وهي ترجع إلى الخلف وصاحت بفزع:

- يا إلهي! لقد أفزعتني، لم تصدر صوتًا لأعلم بوجودك سيد إبراهيم!

أجابها بتسلي:

- عدم شعورك بي هذا يرجع لأنك كنتِ مشتتة الذهن يا عزيزتي.

التقطت سلة الغسيل الفارغة من الأرض وقالت باستسلام وهي ترحل:

- لا فائدة من الجدال معك، فأنت ستراوغ على كل حال.

وقف أمامها ليمنعها من المغادرة وهو يقول:

- إذن فأنتِ تعلمين مسبقًا أنه لا فائدة من الجدال معي من البداية.

رفعت كتفيها بالإيجاب وهمت بالرحيل، لكنه وقف أمامها ثانية ، فرفعت رأسها لتنظر إليه، كانت الشمس تنعكس في عينيها فوضعت إحدى يديها على رأسها وقالت بملل دون أن تنظر إليه:

- ما الأمر؟ أريد أن أذهب لأتفقد أحوال والدتك.

وضع يديه على الخاصرة وهو يتمعن في وجهها ثم قال:

- هي بخير ، لقد أتيت من عندها الآن ، أنا أريدك في أمر ما اتبعيني.

وضعت ما بيديها ثم تبعته في آلية، جلس على أحد المقاعد بجانب بركة السباحة وأشار للبستاني بأن يتوقف عن ري الأزهار حاليًا وليرحل، وضع الرجل مرش المياه على الأرض وأغلق المياه ورحل على الفور؛ جلست بالمقعد المجاور وهي تتنهد بتأفف وتقول:

- والآن ماذا تريد؟

أجابها قائلًا:

- أنتِ كنتِ تعملين كسكرتيرة من قبل، أليس كذلك؟

تعجبت من سؤاله هذا، ولكنها أجابت قائلة:

- أجل صحيح، ولمَ تسأل؟

وقف على قدميه وهو يقول:

- مديرة مكتبي ستترك العمل بعد فترة وجيزة، وأنا بحاجة حاليًا لأخرى هنا لتساعدني في أعمالي.

قالت له بدهشة:

- أنا لا خبرة لي بمجال عملك سيد إبراهيم، ثم بالتأكيد شركتك هنا تحوي العديد من الموظفات من يصلحن لتلك المهمة بدلًا عني!

أجابها بنفاد صبر:

- موظفات الشركة لا يمكنهن فعل شيء لمساعدتي، لأنني أريد سكرتيرة متفرغة تمامًا عندما أطلبها أجدها وقتما أشاء، وأنت خير من تصلح لتلك المهمة لوجودك الدائم هنا، ثم لا وقت لدي للبحث عن واحدة.

ثم أردف قائلًا:

- لا مجال أمامك للرفض، لأنكِ لو فعلتي، سأعمل على طردك من هنا في الحال.

علمت أنه غاضب لأنه لم يستطع إلى الآن أن يجعلها تترك العمل عند والدته كباقي الممرضات اللاتي سبقنها، وهو يحاول فعلها

بطريقة أخرى، فوقفت وهي غضبى وصرخت به قائلة:

- أنت تعلم مدى حاجة والدتك إليّ و....

تعثرت بمرش المياه الذي لم تنتبه على وجوده، فسقطت بالبركة؛ لم يتمالك إبراهيم نفسه من الضحك لسقوطها بتلك الطريقة، كانت ليالي لا تجيد السباحة فأخذت تصرخ:

- النجدة، ساعدني، لا أعرف السباحة.

ظن أنها تكذب عليه لتسقطه في المياه مثلها، فجلس على المقعد وقال متهكمًا:

- تمثيلك ضعيف يا عزيزتي، عاشقة بحر مثلك لا تعرف السباحة!

كانت المياه قدبدأت تدخل إلى جوفها وتنزل إلى أسفل، صرخت قبل أن تغوص قائلة:

- إبراهيم النجد....

لم تكملها وغاصت إلى الأسفل، ظل إبراهيم مترددًا لثواني ليستشف أهي تمزح أم لا، وحين وجدها لم تخرج قفز إلى الماء على الفور لينتشلها؛ غاص إلى الأسفل وصعد بها إلى السطح؛ أمسكها بإحكام من وسطها. وضعت يديها على كتفيه متشبثة به بقوة، وأخذت تسعل بشدة، وبعد دقائق هدأت من موجة السعال وبدأت أنفاسها تنتظم رويدًا رويدًا، أزاحت خصلات شعرها من على وجهها ونظرت إليه بضعف وكان جسدها يرتجف وقالت:

- لقد كدت أغرق، وأنت تشاهد ما يحدث ولم تحرك ساكنًا!

زاد من ضغطه عليها بتوتر وقال مبررًا:

- كنت أظنك تكذبين عليّ لتسقطيني مثلك في المياه.

انتبهت لوضعهما في المياه وأرادت أن تزيح يديها من على كتفيه، ولكنها خافت من المياه فأشاحت بوجهها عنه بارتباك وقالت بخفوت:

- حسنًا، أخرجني من هنا بعد إذنك.

زاد من ضغط يديه على وسطها وهو يقول متلذذًا بخجلها:

- ولمَ عليّ أن أستمع إليكِ!

كان وجهه قريب للغاية فقالت بخجل غاضب:

- أخرجني الآن وتوقف عن التشبث بي بتلك الطريقة، لمَ لا تفهم أن هذا لا يحق لك أن تفعله!

ابتسم بخبث وأبعد يديه عنها، فتعلقت به بسرعة وقالت مرتعبة:

- ماذا تفعل أيها المجنون؟ سأسقط هكذا.

شعر بقشعريرة تجتاح جسده لتشبثها به هكذا، فحدث نفسه قائلًا:

- كنت على حق، يجب أن تغادري في أقرب وقت يا ليالي، فمعكِ لا أكون أنا على الإطلاق.

قال لها مساومًا:

- أريد أن أسمع منكِ موافقة على أن تعملي معي، ما قولك؟

أجابت بعصبية:

- لن أترك والدتك وحدها؛ ابحث لك عن فتاة أخرى!

فقال بمكر:

- حسنًا، وأنا لن أخرجك من هنا.

وبدأ في إبعاد نفسه عنها، فبدأت الدموع تلتمع في عينيها:

- أرجوك أخرجني، أنا أخاف من المياه، ووضعنا الآن هذا لا يرضي الله، أرجوك.

شعر بنياط قلبه تتمزق حين رأى دموع عينيها، وتعجب منها، فتاة غيرها كانت قد استغلت الموقف لتقترب منه، تنهد باستسلام ثم أخرجها، كانت تلهث من فرط الانفعال وسمعته يقول:

- اتفقنا إذن.

فقالت بغضب باكي:

- لا اتفاق ولا شيء.

قال لها ببرود:

- أتهربين يا عزيزتي؟ لم أكن أظنك جبانة هكذا! أم أنكِ تخشين الفشل؟

أغضبتها كلماته فقالت بتحد:

- لست خائفة، ولن أفشل بإذنٍ الله، ولو كنت تريدني فعلًا فلدي شروط، وإن لم تقبل بها فأنت وشأنك.

تنهد بعنف ثم قال:

- ما هي تلك الشروط؟

أجابت:

- أولًا ستعاملني بطريقة أفضل من تلك التي تعاملني بها، لا تسمح لنفسك بتجاوز الحدود بيننا.

كاد يضحك، فهو يريد أن يسبب لها المتاعب لتترك العمل وترحل، ولكنه كتم ذلك وقال بجمود:

- والتالي؟

أجابت:

- لن تتهمني بشيء حتى تسمع مني أولًا.

زفر قبل أن يقول:

- من طريقة حديثك يبدو أن هناك ثالث!

أجابت:

- سوف آخذ راتب على هذا العمل.

قال ساخرًا:

- المال كالعادة، آه من النساء.

صاحت به بغيظ:

- أنا لم أطلب شيء غير شرعي، إنه حقي طالما أعمل لديك.

قال وقد نفذ صبره:

- هل هناك شيء آخر؟

أجابت باقتضاب:

- لا.

لـم تكـن تقوَ على الوقـوف، فحاول أن يسـاعدها، ولكنها أبت، كان يبدو عليه الاسـتمتاع وهو ينظـر إليها وهي مرتبكة، فثيابها قد التصقـت بها وحجابها قد سـقط في المياه، نظـرت إليه فوجدته ينظر لهـا وعلى وجهه نظرة التلـذذ تلك، دفعته في المياه لكيلا يتابعها وهي ترحل بهذا المنظر، ثم ولت هاربة؛ وقف هو في وسـط بركة السـباحة هو متعجب من تصرفها هذا، خلل شعره بأصابعه ثم انطلق في الضحك.

أغلقت ليالي باب غرفتها خلفها بإحكام واسـتندت بظهرها عليه لتلتقـط أنفاسـها المتلاحقـة، وفجأة بـدأت في الضحـك لتذكرها لمنظر إبراهيم وهو يسقط في المياه والصدمة بادية على وجهه، فهو علـى الأرجح لم يكن يتوقع منها مثل تلك الحركة، وهنا توقفت عن الضحك وقالت:

- أنا أيضًا لم أتوقع من نفسي مثل تلك الحركة!

على العشاء أخبرها أنها ستبدأ العمل معه من اليوم التالي لتتدرب قبل أن تسـتلم عملها، وبالفعل في الصباح سمعت طرقات على الباب ففتحت لتجده واقف أمامها ببذلته التي زادت من وسامته، قال لها ساخرًا:

- هل انتهيت من الفحص؟ أمامك يوم عمل طويل يا عزيزتي.

أجابته بسخرية مماثلة:

- أتمنـى أن تصمـد أمامـه، وألا أضطر إلى القيام بعملك يا سـيد إبراهيم.

أعجبـه سـرعتها فـي الـرد عليه، فـلأول مرة يجـد من يـرد عليه الكلمة بالكلمة؛ هز رأسه ثم قال وهو ينظر إلى ساعته:

- لا تقلقي يا عزيزتي، والآن هيا بنا ففريد ينتظر في الخارج.

لحقت به إلى الخارج وهي تكاد تركض ثم سمعته يقول:

- مرحبًا فريد، هل أبلغت الجميع عن اجتماع اليوم؟

أجابه وهو يفتح له باب الليموزين:

- أجل، والكل في انتظارك هناك.

ثم تفاجأ بوجود ليالي، فصاح به إبراهيم:

- اصعد هيا، ولتتعرفا بالطريق.

هز كتفيه بخضوع لليالي ثم أشار لها بالصعود أولًا؛ صعدت ثم جلست على المقعد المقابل لإبراهيم، كان يتوقع أن تجلس بجانبه؛ صعد فريد وجلس بجانبها، قدم نفسه لها قائلًا:

- اسمي فريد، مدير أعماله في النهار وصديقه بعد الدوام.

تبسمت لمزاحه وقدمت نفسها له هي الأخرى:

- ليالي، سكرتيرة مؤقتة بالإكراه.

تعجب من حديثها ونظر إلى إبراهيم بتساؤل، ولكنه وجده يدقق النظر في ليالي وهو يسألها باهتمام:

- ما بكِ، هل أنتِ بخير؟

أشارت له أن يوقف السيارة، وما إن توقفت السيارة حتى قامت وجلست بجانبه، ثم أخرجت زجاجة عطر من حقيبتها، وأخذت تشتمها؛ لاحظت أنه يبدو قلقًا عليها فقالت له مطمئنة:

- أنا بخير، إنني أعاني فقط من دوار السيارة، ينتابني حين أجلس عكس اتجاه سير السيارة.

هز رأسه متفهمًا، ثم ربت على يديها بدفء سحبت يديها بسرعة ونظرت له معاتبة ولكنه لم يهتم، وأشار إلى السائق أن يكمل طريقه؛ مع أن يديه لم تدم سوى أقل من ثانية، إلا أنها ظلت تشعر بدفئها طوال الطريق، كانت تستمع إليه وهو يتحدث مع فريد بشؤون العمل، فحانت منها التفاتة ورأته يبتسم لدعابة أطلقها فريد؛ كانت ابتسامة أضاءت لها قسمات وجهه، فخفق قلبها لها وغضت الطرف عنه، وقدأدركت عندها معنى الحب الحقيقي دون أن تدري.

❖ ❖ ❖

الفصل السادس

«مفاجآت ومتاعب»

كانت ليالي تعلم أنه يمتلك شركة، لكنها لم تكن تتخيل أنها بتلك الضخامة؛كانت تتبع خطى إبراهيم إلى مكتبه، وما إن دخله حتى هبّت امرأة لتقف على قدميها وتلقى عليه التحية بابتسامة بريئة:

- صباح الخير يا سيد إبراهيم، كيف حالك اليوم؟

لاحظت ليالي على الفور انتفاخ بطنها، فهي على الأرجح في شهرها الأخير

أجابها وقال مازحًا:

- أفضل حالاً منكِ بكل تأكيد أيتها المستديرة.

تظاهرت بالعبوس وقالت:

- حسنًا قاربت على الولادة، وعندها لن تجرؤ على أن تنعتني بالمستديرة ثانية.

ابتسمت ليالي لحديثها، فالتفتت إليها المرأة وتساءلت:

- ومن تلك الفتاة الجميلة يا ترى؟

أجابها قائلًا:

- إنها ليالي، ستحل محلك إلى حين عودتك.

رفعت حاجبيها دهشة وقالت:

- ظننتها ستكون ج.....

قاطعها وهو يقول بصرامة:

- أنا من يقرر هنا يا شذى، وليس أحد آخر.

هزت كتفيها باستسلام ومدت يديها لتصافح ليالي وقالت بترحاب:

- مرحبًا بكِ ليالي، أنا شذى، يسرني معرفتك.
صافحتها ليالي بابتسامة رقيقة وقالت:
- شكرًا لكِ، بل أنا أسعد لمعرفتك بالتأكيد.
وهنا دخلت فتاة ذهلت لمرآى ليالي وهتفت باستنكار:
- ليالي! ماذا تفعلين هنا؟
أجابتها ليالي وهي ليست بأقل منها دهشة:
- أنا هنا لأعمل، وأنتِ يا جاسمين ماذا تفعلين هنا؟
التفتت جاسمين إلى إبراهيم وعينيها تطلق شررًا:
- ماذا ستعمل تلك هنا؟
أجابها بدون اهتمام:
- ستأخذ مكان شذى إلى حين عودتها.
نظرت جاسمين إلى ليالي بكبر كالعادة، ثم التفتت إلى إبراهيم وقالت بالإنجليزية متهكمة:
- ألم تجد غير تلك؟ كل من سيراها سيظنك أتيت بها من حظيرة حيوانات.
أجابها ببرود قاسي:
- بالنسبة لمظهرها فلا أرى أي شيء يعيبه أبدًا، وأما قولك سيظنون أنني أتيت بها من حظيرة فهذا أفضل من أن يظنون أنني أتيت بسكرتيرة من ملهى ليلي يا عزيزتي!
كتمت ليالي ضحكة، فنظر لها إبراهيم متفحصًا؛ تنهد ثم التفت إلى شذى وقال بحسم:
- فلتبدأي على الفور بتعليم ليالي كيفية عملنا هنا، أريدها بغضون أسبوعين تكون جاهزة لتحل مكانك.
دفعت جاسمين شعرها إلى الخلف وهي تقول بسخرية:
-أراك تأمل فيها كثيرًا سيد إبراهيم.
تجاهل قول جاسمين وأكمل حديثه مع شذى قائلًا:

- كما سمعتي، أسبوعين فقط، والآن وداعًا.

ثم دار ببصره نحو ليالي وقال:

- سأتركك معها الآن، فلتبذلي أقصى ما لديكِ من جهد لا تخذليني وداعًا.

دلف إلى حجرته ثم أغلق الباب تاركًا بركان على وشك أن ينفجر؛ التفتت جاسمين إلى ليالي وتساءلت بحقد:

- أخبريني كيف تعرفتي إلى إبراهيم؟ وأين ومتى؟

دهشت ليالي لسيل الأسئلة المتدفق من جاسمين التي لم ينتَبها أي إحراج، وأجابتها بكلمات قليلة لم تشفِ بها فضولها:

- إنها قصة طويلة يا عزيزتي.

وهنا قالت شذى بتأفف:

- لمَ لا تسألينه هو يا عزيزتي!

لم تجبها جاسمين، بل استدارت لتغادر على الفور كعاصفة هوجاء؛ ساد الصمت قليلًا ثم تبدد عندماانطلقت ليالي وشذى في الضحك وقالت شذى:

- وأخيرًا وجدت نصفي الثالث بعد زوجي بالتأكيد.

داعبتها ليالي وقال مازحة:

- أظنكِ تقصدين الرابع بعد المولود بالتأكيد.

ردت شذى بفرح:

- أنتِ فتاة جيدة يا ليالي، وأنا سعيدة من أنكِ من سيحل مكاني، يمكنني أن أذهب وأنا مرتاحة البال.

دخلت جاسمين إلى مكتبها كالعاصفة الهوجاء، كانت تتحرك في الغرفة كالأسد الحبيس وهي تصيح قائلة:

- حسنًا يا ليالي، أقسم أن أجعلكِ تندمين على اليوم الذي قابلتِه فيه!

لحق بها شاب وهو يقول بدهشة:

- جاسمين، ما بكِ؟

أجابت بحدة:

- لا شيء يا نبيل.

أجابها قائلًا:

- كيف لا شيء وأنا أراكِ تكادين أن تنفجري من الغضب.

أجابت بغضب وقالت:

- أخبرتك لاشيء، توقف عن التدخل بشؤوني.

ثم خرجت بعنف، جلس على المقعد وهو يقول بسخرية:

- ترى من تلك الليالي التي جعلتكِ تنفجرين كالبركان هكذا!

مر ثلاثة أيام منذ بدأت ليالي التمرن تحت إشراف شذى والتي كانت تتحلى بالصبر الشديد، فلم تكن تتذمر أبدًا من أخطاء ليالي، بل على العكس كانت تشجعها بقوة ولطف؛كانت صبورة معها للغاية مما كان يمنح ليالي الثقة والاستمرار في التقدم؛ كانتا تتناولان معًا وجبة الغداء يوميًا بالمكتب، ولكن فجأة اقترحت شذى أن يذهبا لتناوله في الكافيتريا الخاصة بالشركة، وافقتها ليالي؛ اختارت شذى إحدى الطاولات، جلست هي وليالي يتجاذبان أطراف الحديث؛ أطلقت شذى طرفة فضحكت منها ليالي بصوت مرتفع، وفجأة سمعتا صوتًا يقول:

- هل تمانعان لو جلست بجانبكما يا شذى؟

أجابته شذى بسخرية:

- أرى يانبيل أنك جلست ولم تنتظر موافقتنا!

اختار نبيل الكرسي المجاور لليالي ليجلس عليه وهو يقول موجهًا حديثه إلى ليالي:

- مرحبًا، أظن أنكِ المتدربة الجديدة التي ستحل محل شذى، أليس كذلك؟

شعرت ليالي بالإحراج والضيق لجلوسه بالقرب منها هكذا بدون

استئذان، أجابته باقتضاب:

- أجل.

شعر من إجابتها المقتضبة أنها تضايقت من وجوده فأسرع يقول:

- لو كنتِ تشعرين بالضيق لوجودي فسأرحل على الفور يا آنسة؟

تيقنت على الفور أنه فتى لعوب، فها هو يجبرها على قول اسمها، وأيضًا تقوم بدعوته للجلوس بكل ترحاب، ولكنه لم يدرك أنها ليست من النوع الذي تسوقه الظروف، لذا وقفت على قدميها وقالت موجهة حديثها لشذى:

- شذى، سأذهب أنا الآن لأكمل عملي، يمكنك اللحاق بي بعدما تنتهي.

ثم التفتت إليه وقالت بأدب حازم:

- ثق تمامًا يا أستاذ نبيل أنني لست من النوع الذي يخفى ما يشعر به، تشرفت بمعرفتك.

أعجبت شذى بفطنة ليالي وحسن تفكيرها، فقد علمت نوع نبيل على الفور، واستطاعت أن تلزمه حده وتعلمه بأنها ليست سهلة المنال هكذا؛ وضعت آخر ملعقة في فمها بسرعة، ثم قامت وقالت لنبيل وهيتلم حاجيتها:

- اعذرنا يا نبيل فلدينا عمل كثير للغاية.

وقف هو الآخر وقال بابتسامة ماكرة:

- أجل يبدو واضح للعيان، فزميلتنا الجديدة رحلت قبل أن تخبرنا باسمها.

قالت له وهي ترحل:

- يمكنك سؤالها حين تراها مرة أخرى يا عزيزي.

اتكأ على الطاولة وقال بابتسامة صفراء:

- إن زميلتنا الجديدة من النوع الصارم، ويبدو أنها هي من أظهرت جاسمين على حقيقتها.

ثم انطلق يقهقه بخبث، بينما كانت جاسمين تتابع ما حدث

بصمت غامض؛ دلفت شـذى إلى الغرفـة فوجدت ليالي قد بدأت على الفور في العمل، جلست في مقعدها وهي تقول:

- ما أسرعك يا فتاتي! تبدين من النوع المحب للعمل.

أجابتها موافقة:

- أجل أحبه، بالأخص حين يكون مليئًا بالتحديات.

انطلقت شذى بالضحك وهي تقول:

- أراهن على أنكِ صلعاء يا عزيزتي.

وقبل أن تنطق ليالي سمعت صوت إبراهيم يقول:

- ستخسرين رهانك بالتأكيد، لو كنتُ مكانك ما فعلت.

اسـتدارت إليـه فوجدتـه يرمقهـا بخبـث؛ كانت جاسـمين تقف بجانبه وهي ترمقها بحقد ظاهر ثم قالت:

- وكيف علمت أنها ستخسره؟ فلربما تكون محقة!

أجابها وهو ينظر إلى ليالي نظرة غامضة:

- هذا السر ملكي، وليس لأحد أن يعلمه غيري!

دهشت ليالي لحديثه وتساءلت عن معنى كلماته تلك، ولمَ يرمقها بتلك النظرة الغامضة! قلبت جاسمين بصرها بينهم، ولم تطِق رؤيتهما وهما ينظران لبعض بتلك الطريقة، فهتفت قائلة بحنق:

- هل سنظل واقفين هكذا طوال اليوم! هيا، أبي ينتظرنا بالأسفل.

نظـرت إلـى ليالي مـن أعلى لأسـفل بعجرفة، ثم خرجت شـامخة رأسها لأعلى؛ هز إبراهيم باستسلام مصطنع ثم تبعها.

صبـاح اليـوم الخامس دلفت ليالي إلـى المكتب وقد كانت أول الحاضريـن؛ شـرعت في بـدء عملها، وبعـد مدة رن الهاتـف الداخلي المتصل بين مكتب شـذى والسيد إبراهيم؛ ترددت قليلًا ثم أجابت، أتاها صوته يقول بهدوء:

- أين شذى؟أعطني إياها بسرعة.

أجابته معتذرة:

- أعتذر منك، فهي لم تأتِ إلى الآن، اتصلت بها ولكن هاتفها مغلق.

سكت لبرهة حتى ظنته قد أغلق الخط، ثم سمعته يقول بحزم:

- حسنًا، تعالي إلى مكتبي واجلبي ملف العمل الخاص بمنتجع الساحل الشمالي على عَجل.

أغلق الهاتف دون أن ينتظر ردها، لم تبحث عنه طويلًا، فقد كانت قد درست كل شبر من المكتب في أول يوم لها. طرقت الباب وانتظرت، سمعته من الداخل يأذن لها بالدخول؛ دخلت وتركت الباب مفتوحًا خلفها؛ اقتربت من المكتب ثم وضعت الملف أمامه وهي تقول:

- تفضل، ها هو الملف الذي طلبته.

أخذه منها وهو يقول بجدية:

- حين تطرقين الباب ادخلي على الفور.

أومأت برأسها وهي تقول:

- حسنًا سيد إبراهيم.

وبدون أن يرفع عينيه من على الورق قال:

- أجل أريدك أن تختزلي هذا الملف قبل الثانية عصرًا.

صعقت لحجم الملف، لم تأخذ منه وقالت مشدوهة:

- كيف يمكنني أن أنتهي من ثلاثمائة ورقة قبل الثانية؟

رفع بصره إليها ثم ألقى بالملف أمامها، وشبك أصابعه أمام وجهه وهو يقول:

- حين يطلب منكِ شيء عليكِ أن تنفذيه بلا مناقشة؛ هذا إذا أردتِ العمل؛ أخشى أن تكون جاسمين على حق، وأنى آمل فيكِ أكثر من اللازم!

تفجرت بداخلها براكين التحدي وأخذت الملف بعنف، وخرجت وأغلقت الباب خلفها؛ لاحت ابتسامة صفراء على شفتيه وهو يقول:

- من الآن بدأت الحرب يا عزيزتي، أقسم أن أجعلك تغادرين في

أقل من أسبوع.

جلست ليالي خلف الآلة الكاتبة وشرعت في الكتابة؛ مرت الساعات وهي جالسة مكانها لا ترفع عينيها من على الآلة؛ قفزت مكانها حين أتاها صوته قائلًا باستهزاء:

- هل انتهيتِ من أول عشرة صفحات يا صغيرتي أم لا؟

رفعت بصرها إليه بنظرة باردة ثم أعادته ثانية إلى الآلة ولم تحر جواب؛ توسط الغرفة ثم استند بيديه على المكتب أمامها وقال بهدوء:

- حين أتحدث إليكِ فهذا يعني أن تجيبي عليّ.

نظرت له بتحدٍ وقالت:

- حين تتحدثْ بطريقة جيدة فسوف أجيبك.

ثم وقفت وقالت له محذرة:

- ودعني أحذرك لو تحدثت معي ثانية بتلك الطريقة، فلتعلم أنني سأترك العمل على الفور، وبلا سابق إنذار.

وقبل أن يتكلم التقطت كومة من الأوراق ووضعتها أمامه؛ نظر لها متسائلًا فقالت بغضب:

- الملف الذي طلبته مني شارف على الانتهاء، لم يتبقَ سوى بضع صفحات فقط.

نظر لها بدهشة ولم يصدق ما تقول، فأخذ الأوراق وأخذ يقلب فيها، وحين تأكد من صدقها نظر لها وقال بانبهار:

- لقد أدهشتني بالفعل؛ أحسنتِ عملًا.

تعجبت من نفسها منذ ثوانٍ كانت تشتعل غضبًا منه، والآن بسبب بضع كلمات منه تمدحها بها يرقص قلبها فرحًا، فقالت بابتسامة خجلة:

- ل..ليس بالأمر الجلل سيد إبراهيم.

تحرك شيء بداخله حين شاهد تلك الابتسامة الخجولة، فافتغر ثغره عن ابتسامة جذابة أضاء لها وجهه وهو يقول:

- بـل فعلتِ يا ليالي، وهذه ليسـت مجاملة، فأنا كما تعرفيني لا أعرف المجاملة.

نظرت له وقالت بإيماءة مازحة:

- فـي تلـك فأنا أوافقـك الـرأي تمامًا، فأنـت دائمًا مـا تزعجني بكلماتك، وفـي بعـض الأحيان أشـعر بأنك تتعمد إثـارة غيظي، ولا أدري لماذا!

أطال النظر في عينيها ثم قال بصوت خافت:

- أنا نفسي لا أدري لماذا يا ليالي!

ليسـت أول مرة ينطق فيها اسـمها، ولكن حينـه نطقه تلك المرة شـعرت وكأنها تحمل مشـاعر خاصة؛ ظل ينظر إليها وهي مطأطأة الرأس بصمت بادلته إياه هي الأخرى، وفجأة سـمعا صوت جاسـمين تقول بغيرة:

- يبدو أنني قد أتيت في وقت غير مناسب!

احمـر وجـه ليالـي خجـلًا وأخـذت تلملـم الأوراق ولم تجـب على جاسـمين بشـيء، والتي اشـتعلت غيـرة أكثر فأكثـر، ونظرت إلى إبراهيـم الـذي كان يقف بـكل برود ولم يجب عليهـا هو الآخر، بل التفت إلى ليالي وغمز لها بعينيه وهو يقول لها بمكر:

- حسنًا يا ليالي، فلنكمل حديثنا فيما بعد يا عزيزتي.

ثـم دخل إلـى مكتبه وأغلق الباب خلفه تـاركًا ليالي مذهولة من كلماته، وتعجبت لمَ نطق بتلك الكلمات التي ستجعل جاسمين تفهم الأمـور بصورة خاطئة، وتسـاءلت لمَ تعمد ذلك! التفتت لها جاسـمين وقالت بغضب محموم:

- دعينـي أحذرك، إياكِ والاقتـراب من إبراهيم، أفهمت؟ لا تظني أنـكِ أوقعت هيثم في حبالك، فهـو وإن كان يبدي اهتمامه بكِ فهذا لأجل المتعة واللهو فقط؛فتاة وضيعة مثلك لا يمكن أن تكون أكثر من لهو، شـيء يسـتمتع به، ثم يُلقى به فيما بعد، أما إبراهيم فقد دار

حـول العالم وشـاهد العديد مـن الفتيات التي على شـاكلتك، لذا لا تظني أن لديكِ فرصة معه، فعلى أقصى تقدير سـيأخذ منكِ ما يريد ثـم يمنحك بضـع ورقات مالية، فأفيقي لنفسـك واعرفي أين تقفين، وأين موقعكِ منهم.

ثـم نظـرت لليالـي باحتقـار وغـادرت. صدمـت ليالي مـن حديث جاسـمين الحاقـد، ولم تسـتطع أن تتفـوه بكلمة، فحتـى وإن كان حديثهـا صادم إلا أنه يحمـل بطياته جزء من الحقيقة، إذ لا مجال لها أن تكـون مع أيًا منهم، فهم في عالـم وهي في عالم مختلف؛ كانت تعلـم هذا من قبل، حين شـعرت بمشـاعر هيثم، ومع ذلـك لم يؤلمها الأمـر مثلمـا يؤلمها بعد المسـافة بينها وبين إبراهيم؛ شـعرت بقبضة تعتصـر قلبها؛ انهمـرت الدموع على خديها بغـزارة، أرادت أن توقفها ولكنها أصبحت كالسـيل المتدفق؛فتح إبراهيم باب مكتبه فتغير وجهه حين رآها تبكي؛ اقترب منها وقال لها متسائلًا بقلق:

- ليالي، ما بكِ؟

رفعـت عينيهـا الدامعتين إليـه ولم تتفوه بشـيء؛ نظر إلـى عينيها فشعر بقبضة تعتصر قلبه حين رأى الدموع على وجهها، فقال برقة لم تعهدها منه من قبل:

- أخبرينـي مـاذا حدث؛ لقد تركتكِ وأنـتِ بحالة جيدة، ما الذي حدث؟ أم أن شخصًا ما أحزنكِ؟

هزت رأسها نفيًا وقالت بخفوت:

- لا شيء، فقط أشعر بالتعب؟

سألها بتوتر:

- بتعب؟ أين؟أخبريني.

زادت الدموع انهمارًا وهي تشير إلى صدرها قائلة:

- هنا، أشعر بألم رهيب ها هنا؟

تذكـر حين حدثته والدتـه عن مرض والدتهـا بالقلب، فظن أنها

تحمل مشاكل بالقلب بالوراثة، فقال لها بجدية:

- إذن عليكِ أن تجري فحصًا شاملًا وتقومين بعمل الإشاعات والتحاليل اللازمة.

شعرت بالفرح يتسلل إلى قلبها بعض الشيء حين شاهدت ملامح وجهه تتغير، وأنه يبدي القلق لأجلها، فمسحت دموعها بظاهر يديها كالأطفال وحاولت أن ترسم ابتسامة على وجهها وقالت بانكسار:

- لا داعي لذلك، فأنا أعلم مرضي وأعلم أنه ليس له علاج.

تحجر مكانه من الصدمة؛ إذن هي كما ظن، مريضة بالقلب، وأيضًا ليس له علاج، شعر بغصة في حلقه وقال لها مشفقًا:

- عودي إلى البيت اليوم وارتاحي.

أسرعت تقول:

- لا داعي لذلك، فأنا بخير الآن، سأكمل تلك الورقات.

أخذ منها الورق بعنف وألقاه على المكتب وقال لها بصرامة:

- أنا من يقرر وليس أنتِ، وحين أقول عودي لترتاحي إذن ما أنتظره منكِ هو تنفيذ القرار ولا تجعليني أعيد كلماتي ثانية.

انصاعت له قائلة:

- حسنًا، ولكن سأنهي تلك الورقات أولًا؛ أرجوك سأنهيها وأعدك سأرحل على الفور!

لم يستطع رفض ذلك الرجاء، فلانت ملامحه وقال بلطف:

- موافق، ولكن لا ترهقي نفسك.

هزت رأسها بالإيجاب وقالت بابتسامة مشرقة:

- أعدك.

بعدما غادر أخذت تكمل عملها وكلماته الرقيقة مازالت تتردد في أذنيها ماحية فحيح جاسمين الذي كاد أن يصم أذانها؛ طرقت باب مكتبه ثم دخلت وأغلقت الباب خلفها، كان ينظر إليها بطريقة لم تعهدها منه من قبل، قدمت له الأوراق قائلة:

- تفضل، هـا هـو الملـف بأكملـه، ولكـن يوجد بعـض النقاط كنت أريد أن أتحدث معك حولها.

تناوله منها وهو يقول بنبرة غامضة:

- فيما بعد يا ليالي، هيا أسرعي وعودي لكي ترتاحي.

وصلت إلى البيت تعبة، فقد أرهقها التفكير بكلمات جاسـمين أكثـر مـن اختزال ذلـك الملـف ذي الثلاثمائة ورقة. خلعت ملابسـها واغتسـلت علهـا تزيح مـا بصدرها من هـم، خلدت إلى النـوم، وحين اسـتيقظت بعد عدة سـاعات شعرت بالنشـاط قد عاودها من جديد، فبدلت ثيابها وتوجهت إلى المكتبة لتأخذ كتابًا تقرأه، فلم تستطع التركيز في المذاكرة؛ تجولت في المكتبة حتى عثرت على كتاب جذبهـا غلافه، فتحته لتجده ألبـوم صور، ترددت قليلًا في تصفحه، ولكـن فضولها انتصرفي الأخير فأخذت تقلب صفحاته؛ كان مليئًا بصـور إبراهيـم منذ كان طفلًا؛ أخذت تضحـك على إحدى الصور، حيـث كان يقـف وملابسـة متسـخة وفي يديـه دجاجة وعلـى وجهه ابتسـامة كبيـرة، قلبت الصفحة فوجدت صـورة كان يبدو فيها في أوائل العشـرينات، ولم تفارقه تلك الابتسـامة السـعيدة، وكان يقف بجانبه رجل بالغ الوسـامة، علمت على الفور أنه والده لقرب التشـابه بينهما؛ كانت السـعادة تبـدو واضحة على وجهيهما، تلمسـت وجهه بأناملها وقالت:

- يبدو أنك كنت محباً لوالدك كثيرًا.

أتى صوته من خلفها يقول بهدوء:

- صدقتِ، فلقد كان مثلي الأعلى.

جفلت لظهوره المفاجـئ؛ وقفت على قدميها وأغلقت ألبوم الصور على عَجل فسـقط منها من الارتبـاك فالتقطته ووضعته مكانه وهي تقول معتذرة:

- أ..أعتذر على تطفلي، فلم يكن من حقي أن أتطلع على أشيائك

الخاصة، حقًا أشعر بالخجل منك.

كانت تتوقع منه ثورة وأن يصب جام غضبه عليها، ولكنها فوجئت به يجلس على المقعد أمامها؛ لاحظت على وجهه لمحة حزن، وسمعته يقول بصوت هادئ:

- لا داعي لكل هذا التوتر اهدأي، الأمر بسيط.

تعجبت من هدوءه، فهو عادة كان سيصرخ فيها ويوبخها، وتساءلت لمَ هذا التغير! ساد الصمت لبرهة قطعه هو وهو ينقل بصره في الأرجاء قائلًا:

- أرى أنكِ تحبين القراءة!

جلست على الأريكة أمامه وهي تقول بمرح:

- بل قُل عاشقة للقراءة.

ثم تذكرت شيء فتبسمت؛سألها بفضول:

- لمَ تضحكين؟

قالت:

- تذكرت موقف حدث لي مع والدتي.

فقال لها برقة:

- هل يمكنك أن تقصيه عليّ؟

ابتسمت وقالت:

- أتذكر مرة أغضبت فيها أمي، وكانت لا تحب أن تضربني، فبحثت عن أكثر شيء يؤلمني، فوجدت أنها الروايات، فأخرجت إحدى حقائبي التي أضع فيها رواياتي المفضلة ومزقتها كلها، لم تترك منها رواية سليمة.

قال لها مازحًا:

- يبدو أنكِ فعلتِ مصيبة ما لتقوم بتلك الفعلة!

ابتسمت متظاهرة بالاعتراض:

- أنا؟ إنني طيبة للغاية!

أجابها متهكمًا:

- أجل، يبدو واضح مما فعلته والدتك؛ هيا أكملي وماذا حدث؟

هزت كتفيها وقالت بزهو:

- وضعت أمي تلك الروايات الممزقة خلف الباب لأتمكن من رؤيتهم فور دخولي؛ توقعت مني أن أثور وأبكي، ولكني نظرت لها وقلت بابتسامة مستفزة، يمكنني إصلاحهم، وبالفعل لم تمر ساعة حتى جمعتهم وأصلحتهم ووالدتي تقف عند رأسي متعجبة، ثم ما لبثت أن انفجرت بالضحك وهي تقول إنها استسلمت مني.

انطلق يقهقه وهو يقول:

- يا إلهي! أنتِ رهيبة بحق، لقد أفسدتِ على والدتك متعة رؤيتك تبكين.

حانت منها التفاتة فوقعت عينيها على الساعة وفوجئت أنه مرّ أكثر منتصف الساعة، فوقفت على عَجل وهي تقول بحرج:

- لقد أخذت الكثير من وقتك سيد إبراهيم، سأصعد لغرفتي الآن، عمت مساءً.

رد قائلًا بنبرة رقيقة:

- لم أشعر بمرور الوقت وأنا معكِ يا ليالي، عمت مساءً ياعزيزتي وأحلامًا سعيدة.

ما إن التفت لتغادر حتى أمسك بيديها فجأة وهو يقول بلمحة حزن تكسي وجهه:

- آسف يا ليالي، ولكن انتظري، أريد أن أسألكِ عن شيء ما.

شعرت بتيار كهربائي يجتاح جسدها للمسته، فسحبت يديها منه بسرعة وهي تقول بارتباك:

- تفضل، ما الأمر؟

تردد بعض الشيء ثم قال لها:

- هل توافقين على أن أعرضك على الطبيب الخاص بوالدتي،

فلربما يمكنه فعل شيء لمرضك!

تعجبت ليالي من حديثه وقالت متسائلة:

- عن أي مرضٍ تتحدث سيد إبراهيم؟

أجاب:

- مرضك، لقد أخبرتني عنه اليوم بالمكتب!

أخذت ليالي تتذكر متى وماذا أخبرته، وحين لم تفلح قالت:

- عذرًا، ولكني لا أتذكر أنني أخبرتك أنني مريضة، وأيضًا أنا بخير لا أشتكي من شيء سيد إبراهيم.

زاد توتره وهو يقول:

- اليوم بالمكتب حين شاهدتكِ تبكين أخبرتني أن ها هنا يؤلمكِ، وأشرتي إلى قلبك.

تذكرت ليالي على الفور الحدث وقالت له موضحة:

- لقد كان ألم بسيط بصدري وانتهى بحمد الله.

تساءل ببطء وهو يضغط على حروف كلماته:

- أتعنين أنكِ لا تعانين من مشاكل بالقلب؟

أرادت أن تقول له بل تعاني بسببه من أكبر مشكلة، ولكنها أجابت:

- أجل سيدي لا أعاني من شيء والحمد لله.

رأت وجهه يتهلل فرحًا لوهلة، ثم عاد إلى جديته من جديد وقال:

- حسنًا يمكنكِ المغادرة الآن، أمامي بعض الأعمال التي عليّ إنهاؤها.

استغربت من تبدل حاله بتلك السرعة! ألقت عليه التحية ثم خرجت، وما إن أغلقت الباب حتى رجع إبراهيم بظهره لـ الوراء وأراح رأسه للخلف وأرخى ربطة العنق وهو يقول بارتياح:

- لقد تسببتِ لي بالقلق دون داعي أيتها الحمقاء الصغيرة.

في الصباح التالي اتصلت ليالي بشذى لتعتذر عن القدوم اليوم،

فسألتها شذى بقلق:

- ما الأمر هل حدث لكِ شيء؟

فأسرعت تقول:

- لا أبدًا لم يحدث شيء، ولكن اليوم لدي محاضرات ولا يمكنني الحضور اليوم.

أجابت شذى:

- حسنًا يا ليالي، انتبهي على نفسك.

وما إن أغلقت شذى السماعة حتى وجدت إبراهيم يقف على عتبة الباب وقال متسائلًا:

- ما الأمر؟ لِم لَم تحضر ليالي إلى الآن؟

أجابته:

- لديها محاضرات اليوم، فلا يمكنها الحضور.

مط شفتيه ثم دلف إلى حجرته طالبًا منها أن تأتيه ببريد اليوم؛ لحقت به على الفور ووضعته أمامه وهي تقول متسائلة:

- هل قررت أين ستقيم حفل الشراكة بيننا وبين الشركة الأمريكية؟

تنهد وهو يضع إحدى الأوراق جانبًا:

- ما رأيك أنتِ نقيمه في فندق أم في قاعة أفضل؟

أجابت قائلة بتفكير:

- أظن أن القاعة ستكون أفضل.

وضع أمامها البريد بعدما انتهى منه وهو يقول بحسم:

- إذن أترك لكِ أمر حجز تلك القاعة و..

قاطعه صوت أنثوي يقول:

- اترك لي أمر القاعة تلك، يمكنني أن أحجز لك القاعة التي أقمت فيها حفل عيد مولدي العام الماضي، كانت رائعة جدًا.

تبادل إبراهيم وشذى النظرات، فأومأت له بالموافقة لأنها تثق في

أن غرور جاسمين سيجعلها تختار أفضل قاعة بالبلاد.

التفت إلى شذى وقال:

- يمكنكِ أن تشركِ ليالي معكِ، أريدها أن تتعلم كيفية التحضير لمثل تلك المناسبات.

قطبت جاسمين حاجبيها وقالت بغضب:

- وماذا يمكنها أن تفعل تلك الفقيرة البائسة! كيف لها أن تفهم بمثل تلك الأمور؟

زفر بعنف وقال محذرًا إياها:

- جاسمين، أنا لن أسمح أبدًا بأن تقوم إحدى الموظفات هنا بإهانة زميلتها، وبالأخص أمامي؛ أفهمتِ؟

صعقت لحديثه وقالت مستنكرة:

- هل تقارنني بها وتضعني معها بنفس المكانة!

قال ساخرًا:

- على ما أتذكر منذ أيام قليلة أردتِ أن تعاملي كأي فرد بالشركة وألا تعاملي بناء على خلفيتك الاجتماعية يا عزيزتي.

بهتت لحديثه الساخر فقالت متداركة:

- أقصد مكانتها بأنها ليس لديها خلفية عن إقامة الحفلات مثل تلك الأمور.

لم يقتنع بحديثها، ولكنه ابتلعه لينهي الأمر لأنه يعلم أنه جدال لا طائل منه، فقال منهيًا الحديث:

- إذن حُسم الأمر، يمكنك يا شذى الانصراف الآن، وأنتِ يا جاسمين إن لم يكن لديك عمل ما هنا فيمكنكِ الرحيل أنتِ أيضًا.

أرادت أن تدعوه إلى الغداء لديهم اليوم، ولكن نظرته الصارمة جعلتها تؤجل الأمر، فقالت بابتسامة باهتة:

- لا شيء، كنت قادمة لأجل ليالي، ولكنني لم أجدها، لذا سأعود أدراجي الآن.

شيعها ببصره حتى خرجت، نظرت له شذى وقالت:

- يـا تـرى لمَ كانت تريد ليالي؟ فهي لا تراها إلا وتشـتعل النيران بينهما.

سألها قائلًا:

- ولم يا ترى؟

ضحكت وقالت وهي تغادر:

- غيرة النسـاء يـا عزيزي، وخصوصًا إذا كانت تشـعر بحقارتها أمامها؛ أدعوا الله لأجل أن يبعد تلك الفتاة عن ليالي، فلو وضعتها في رأسها لن تهدأ حتى تفسد عليها كل شيء!

❖ ❖ ❖

الفصل السابع

«شيطانان اجتمعا»

عادت ليالي في المساء، كانت سعيدة لأنها لم تقابل جاسمين اليوم، وفرحت كثيرًا لغيابها، فهي لم تكن تريد أن يحدث بينهما أي مواجهة بعد لقائهما الأخير في المكتب؛ صعدت إلى الغرفة وأخذت تستذكر دروسها، وحين غالبها النعاس خلدت إلى النوم.

في الصباح ارتدت ثيابها ثم نزلت لتتفاجأ بوجود السيدة هويدا وابنها يتناولان طعام الفطور؛ تعجبت لاستيقاظ السيدة مبكرًا هكذا، فحيتها وقبلتها من وجنتها وهي تقول بمرح:

- ما هذا النشاط! لم أركِ مبكرة في الاستيقاظ هكذا من قبل!

أجابتها قائلة:

- لم أركِ منذ يومين فاشتقت لكِ لذا استيقظت لأراكِ يا ابنتي، وأيضًا لأسألك عن معاملة ابني لكِ، هل يعملكِ معاملة جيدة أم لا؟

نظرت ليالي إلى إبراهيم فوجدته يتطلع فيها منتظرًا إجابتها، فحولت نظرها عنه بخجل وقالت:

- بل يعاملني معاملة ممتازة اطمئني، ثم إنني لن أسمح له بأن يعاملني بغير ذلك!

ضحكت والدته وقالت بإعجاب:

- أنتِ تدهشينني بكل مرة يا ليالي.

ثم التفتت إلى إبراهيم وقالتله بسخرية:

- إبراهيم، أظنها الأولى التي تتحداك هكذا، وبوجهك يا عزيزي؛ أليس كذلك؟

نهض وهو يقول بتهكم:

- لا تفرحي كثيرًا يا أماه، فأنا لم أظهر شيء مما في جعبتي بعد.

ثم عاد بنظره إلى ليالي وقال لها:

- هيا بنا، فريد ينتظرونا بالخارج الآن.

ودّع والدته ثم خرج تلحقه ليالي، ركبت تلك المرة بجانبه؛ وصلوا إلى الشركة، وما إن دخلت إلى المكتب حتى وجدت شذى غارقة في أكوام من الأوراق، رفعت عينيها بدهشة وقالت متسائلة:

- شذى، ما الأمر؟ ولم كل تلك الأوراق، لقد غبت يومًا واحدًا وليس شهرًا!

ضحكت شذى وقالت:

- هذا شيء عادى، إنها أوراق التحضير للحفل.

سألتها قائلة:

- أي حفل تقصدين؟

قالت:

- حفل بمناسبة شراكة بين شركتنا وأكبر الشركات الأمريكية في المنطقة، ولقد تم الدمج بين شركتنا وإحدى الشركات الأمريكية، وسيتم عمل أول منتجع سياحي كبير مشترك بينهما، والحفل هو بمناسبة توقيع العقود.

هزت ليالي رأسها متفهمة، ثم ما لبثت أن شرعت في مساعدتها؛ أُعجبت ليالي بشذى كثيرًا، فهي مثال ناجح لمديرة المكتب؛ فقد كانت على علم ودراية بكل جوانب المسائل المتعلقة بأي جزء في العمل، وفي نفس الوقت بُهرت شذى من سرعة استيعاب ليالي للأمور، بل وحتى أنها وصلت لمرحلة إبداء الآراء، والتي كانت دائمًا أراء جيدة ومفيدة؛ أخذت شذى تشرح لها كيفية إقامة الحفل، وما الذي سيحتاجون إليه؛ مر الوقت من تحت أقدامهما وحل المساء وهما لا زالتا تعملان على قدم وساق في التجهيز الأولي للحفل، وبينما

همـا تعملان لاحظت ليالي تغير وجه شـذى وظهور الألم على وجهها ، فشعرت بالقلق وسألتها قائلة :

- شذى ، ما بكِ؟ هل أنتِ بخير؟

حاولت شذى أن تطمئنها وقالت والألم بادٍ على وجهها :

- لا شيء ، ألم بسيط ، لنكمل العمل هيا لا وقت لدينا.

قالت لها ليالي والقلق قد زاد بداخلها :

- أي عمـل تتحدثين عنه ، وجهـك لا ينبئ بالخير؛ لا تخبريني أنكِ ستفعلينها الآن! نحن وحدنا هنا.

بـدأت آلام المخـاض تظهـر علـى شـذى وأطلقت صرخـة أرعبت ليالي ، التي صاحت بها بخوف:

- ألم أقل لكِ أنك ستفعليها.

نزلت شـذى علـى ركبتيها على الأرض؛ أخـذت ليالي هاتفها ، لم تتردد في طلب إبراهيم ، وحين أجاب صاحت قائلة بخوف:

- إبراهيم ، أرجوك تعال ، شذى مريضة.

قال مهدئ إياها وهو يتحرك بسيارته:

- اهدئي ولا تتركيها وحدها ، وأنا سأتصرف.

أسرعت تقول برجاء:

- أسرع بالله عليك ، فهي تبدو تعبة للغاية.

طمئنهـا ثم أغلـق وأعاد الاتصال بالإسـعاف التي لم تمضِ عشـرة دقائـق حتـى كانت شـذى بداخلهـا هي وليالـي التي كانت تمسـك بيديها وهي تدعو الله أن يخفف عنها الألم؛ وصلت إلى المشفى وعلى الفـور أدخلوهـا إلى غرفـة العمليات ، أخـذت ليالي تـذرع الممر أمام غرفة العمليات ذهابًا وإيابًا والقلق يقتلها ، لم تشـعر باقتراب إبراهيم الذي سألها بقلق وقال:

- ما الأخبار؟ هل خرجت؟

نظرت إليه وقالت بتوتر:

- لـم تخـرج بعد ، زوجهـا معهـا بالداخل، لقـد اتصلت بـه بعدك مباشرة، ليكن الله في عونها.

لاحظ أن جسدها يرتجف، فقال لها بلطف:

- اجلسي، وقوفك لن يفعل شيء.

وكأنهـا كانت تنظـر أن يخبرها أحد بأن تجلس، فقد جلسـت على الفور، جلس أمامها وقال مازحًا:

- لم أكن أعلم أنكِ جبانة إلى تلك الدرجة، ثم من المفترض أنكِ كنتِ تعملين ممرضة، أي أنكِ قد اعتدتِ على مثل تلك الأمور.

أجابته قائلة:

- لقـد كنـت أعمـل في عيادة طبيـب وليس بمشـفى، وقد كان تخصصـه القلب، هذه هي أول مرة لي أشـاهد امـرأة تلد، صرخاتها أرعبتني.

كانـت ترتجف وهي تتحـدث، أراد أن يحتويها بين ذراعيه ليهدئ من روعها، ولكن أبعد الفكرة عن رأسه، وقال لها محاولًا أن يبعد تفكيرها عما حدث:

- وماذا كنتم تفعلون في المكتب إلى هذا الوقت المتأخر؟

أجابته قائلة:

- لقد كنا نحضر للحفل.

تساءل وقال:

- وهل انتهيتم منه؟

هـزت رأسـها نفيًا، وهنـا فتح بـاب الغرفـة ليخرج الطبيـب وقال بابتسامة ودودة:

- لقد انتهينا، وهي والمولود بخير بفضل الله.

شعرت ليالي بالفرح الشديد وقالت بغبطة:

- حمدًا لله، ما نوع المولود؟

أتاها صوت من خلف الطبيب يقول:

- ليالي، هكذا طلبت شذى!

كان زوج شذى يقف وبين يديه المولودة الجديدة، اقتربت منه ليالي وقالت بسعادة:

- يا إلهي ما أجملها! مبارك لكم، ولا داعي لتسميتها بذلك الاسم، هناك الكثير من الأسماء الجميلة.

ضحك زوج شذى وقال لها مازحًا:

- أتريدين من شذى أن تتشاجر معي؟هي من أطلقت هذا الاسم، يمكنك التحدث معها هي؛ ثم إنني أجد الاسم جميلًا جدًا ولقد أعجبني.

شعر إبراهيم بالضيق من حديث الرجل وقال بعصبية:

- ما حال شذى الآن؟ هل هي بخير؟

تعجب الرجل من تغير مزاج إبراهيم بتلك السرعة ثم أجابه قائلًا:

- أجل هي بخير، يمكنكما رؤيتها حالما تفيق من المخدر بعد مدة.

نظر إبراهيم إلى ساعته فوجدها تقترب من الرابعة فجرًا فقال معتذرًا:

- إذن غدًا سنأتي لرؤيتها في الصباح، لقد تأخر الوقت كثيرًا، ونحمد الله على أنها بخير.

قالت ليالي معترضة:

- لا يمكنني الرحيل، سأنتظر حتى تستعيد وعيها، لربما احتاجت شيء!

أجاب من تحت أسنانه وقال بغيظ:

- نحن في مشفى يا فتاتي العزيزة، والممرضات وظفن لذلك؛ الوقت تأخر هيا أمامي.

ثم رفع بصره إلى زوج شذى وقال بحسم:

- سنرحل الآن ونعود في الغد بإذن الله، مبارك لك على خروجهما

بالسلامة.

تابعهما من الخلف وشاهد ليالي وهي تمشى متضررة وإبراهيم يسوقها أمامه، فابتسم ومال على ابنته وقال بسعادة:

- يبدو أنه لم يفطن لمشاعره تجاه ليالي بعد يا عزيزتي! لماذا ليس أنتِ أيتها الشقية الصغيرة، هل تتعجلين الزواج من الآن؟ هيا لنعود إلى والدتك ستشعر بالسعادة عندما أحدثها عما رأيته الآن بالتأكيد.

جلست ليالي بجوار إبراهيم ولاذت بالصمت، كان يختلس النظر لها من حين لآخر، وحين شاهد عبوسها سألها قائلًا:

- ما بكِ لم هذا العبوس؟

أجابته:

- ستحزن شذى حين تستيقظ ولا تجد أحدًا بجانبها.

تنهد ثم قال وهو ينظر أمامه:

- بل ستسعد حين ترى زوجها وابنتها بجانبها حين تفتح عينيها.

ثم أكمل:

- ثم أين ستمضين ليلتك هناك وزوجها موجود؟أستظلان معًا أم ماذا؟

لم تكن تنظر إلى الأمر من تلك الزاوية، وشعرت أنها فعلًا لحظة عائلية خاصة، وأيضًا لا يمكنها الجلوس معه بمفردها ؛ نظرت إليه وقالت متعجبة:

- لم أنظر إلى الأمور من تلك الزاوية، أنت حقًا تثير دهشتي، تارة لا تهتم لمشاعر أحد وتارة أخرى تهتم بأشياء لم أدركها أنا!

ثم قالت مازحة:

- يبدو أنني سأغير فكرتي عنك.

قال متهكمًا:

- وما هي تلك الفكرة التي أخذتيها من قبل والتي تحتاج لتغير؟

هزت كتفيها وقالت:

- صدقني لن تعجبك لو أخبرتك بها.

كانا قد وصلا إلى البيت، فأسرعت لتنزل من السيارة، وما إن وضعت قدميها على الأرض حتى قال:

- ستخبرينني فيما بعد، فأنا لا أنسى بسهولة.

أجابت ساخرة:

- عكسي تمامًا إذن.

في اليوم التالي ذهبت إلى المشفى لزيارة شذى، وما إن دخلت الغرفة حتى صاحت شذى فرحًا:

- ليالي، كيف حالك يا عزيزتي؟

وضعت ليالي الورود التي بيديها على الطاولة وتوجهت إلى شذى لتحتضنها بحنان وهي تقول مازحة:

- أظن أن هذا سؤالي أنا على ما أعتقد؟

ابتسمت شذى وقالت بسعادة:

- أنا الحمد لله بخير.

ثم أشارت إلى مولودتها وهي تقول:

- وليالي أيضًا بخير هي الأخرى.

صاحت بها:

- ألا زلتي مصرة على هذا الاسم؟ ستكرهني الفتاة حين تكبر فهو ليس اسمًا جميلًا.

وهنا جاء صوت إبراهيم يقول:

- لو أخذتِ رأيي سأقول إنه اسم جميل جدًا.

التفتت الاثنتان إليه وقالت شذى بترحاب:

- إبراهيم، أهلًا بك كيف حالك؟ لقد تأخرت كثيرًا، كنت أنتظرك منذ ساعات أيها الأحمق.

تعجبت ليالي من طريقة حديث شذى، فهي تعلم أن شذى تتحدث معه بطريقة ودية، ولكن الآن طريقتها معه حميمية للغاية! شعرت

بالإحراج؛ لاحظ إبراهيم ليالي، ومن وجهها استطاع أن يفهم ما يدور بخلدها فغمز إلى شذى وقال:

- لقد أقلقتني عليكِ بالأمس يا حبيبتي، لقد كدت أُجنّ حقًا.

صعقت ليالي من الكلمات وشعرت بشيء من الغيرة، وبدأ تنفسها يضطرب وما أذهلها هو إجابه شذى، إذ قالت هي الأخرى بحبور:

- أعتذر يا حبيبي، هيا تعال سأمنحك قبلة، هل يرضيك هذا؟

أجابها قائلًا:

- بكل تأكيد يا حلوتي، فمن يرفض قبلة من امرأة جميلة مثلك.

جحظت عيني ليالي حين وجدته يقترب من شذى فعلًا، لم تستطع أن تفتح فمها لتقول أي شيء، وفجأة فُتح الباب ليدخل زوج شذى؛ كادت ليالي أن يغمى عليها فها هو زوجها يدخل ليجدها تقبل رئيسها بالعمل، أغمضت عينيها منتظرة البركان الذي سيفجر الآن بوجه الجميع، ولكنها فوجئت بزوج شذى يقول بمرح:

- إبراهيم، متى أتيت يا رجل؟ مرحبًا ليالي أسعدتني رؤيتك.

قلبت ليالي نظرها بينهم ببلاهة، وهنا انطلق إبراهيم في الضحك، تبعته شذى ثم ما لبثت أن ظهر الألم على وجهها وهي تصيح بإبراهيم:

- توقف، الجرح يؤلمني أيها الأحمق.

كتم ضحكته وهو يقول:

- أوه ليالي، لو ترين وجهك الآن!

قالت شذى وهي تصارع الضحك:

- ليالي هل تعرفين الصلة التي بيني وبين إبراهيم؟

شعرت ليالي أن في الأمر شيء فأجابت:

- كل ما أعرفه هو أنكِ مديرة مكتبه!

مسحت شذى دموع الضحك وقالت:

- هذا صحيح والمفضلة أيضًا، ولكن هناك روابط أخرى بيني وبينه، إنه أخي الأكبر، أفهمتِ الآن؟

تساءلت ليالي وقالت:

- ولكن لم أركِ هناك منذ وصولي إلى البيت!

أجابتها:

- لقد كنت في إسبانيا مع زوجي نقضي إجازتنا هناك، وعدت للبيت حين اتصل بي أخي وأخبرني بالأزمة التي تعرضت لها والدتي حين أنقذتيها أنتِ، ومن ذلك الوقت وأنا أزورها باستمرار، ولكن دائمًا ما تكونين أنتِ بجامعتك، لذا لم نلتقِ هناك من قبل.

ثم جذبتها إليها وهمست في أذنها قائلة:

- لذا لا داعي للقلق يا صغيرتي.

تخضب وجهها بحمرة الخجل، وهنا قالت شذى لزوجها ولإبراهيم:

- هيا اخرجوا، أريد أن أغير ضماد الجرح، ليالي ساعديني أنتِ.

أجابتها على الفور:

- بكل تأكيد يا شذى.

خرج إبراهيم زوجها وقامت ليالي لتساعدها، ولكن شذى أجلستها وقالت:

- اجلسي، فالضماد لن يتغير سوى بعد عدة أيام، لقد أردت أن أتحدث معكِ وحدنا.

تعجبت ليالي وتساءلت بينها وبين ونفسها عما تريد شذى الحديث معها بشأنه! أخذت شذى نفسًا عميقًا ثم نظرت في عيني ليالي مباشرة وقالت:

- ليالي أنتِ معجبة بإبراهيم أليس كذلك؟

جفلت ليالي من السؤال الذي لم تتوقعه على الإطلاق وصاحت مستنكرة:

- ماذا؟ لا بالطبع هذا محال، أين أنا منه يا شذى.

ضاقت حدقتي شذى وقالت ببطء:

- لم أفهم؛ أهذا يعنى أنكِ تحبينه، ولكن تكتمين للفارق بينك

وبينه!

ارتبكت ليالي وقالت متلعثمة:

- أقصد أنه هو لا.... بل أقصد أنني....

لم تجد ما تقول فوضعت شذى يديها على كفي ليالي وقالت بحنان:

- ليالي أنتِ تحبينه ولكن الفارق الذي بينك وبينه يمنعك من البوح ألست محقة؟

لم تستطع ليالي الإنكار فهزت رأسها بالإيجاب وقالت بانكسار:

- أجل يا شذى، لا مجال له ليقترن بفتاة مثلي.

وضعت شذى يديها تحت ذقن ليالي ورفعته عليها وقالت لها بحب:

- ليالي، حين يحب المرء لا ينظر أبدًا لأي فروق بينه وبين من يحبه.

ابتسمت ليالي بأسى وقالت لها:

- وهل تظنين أن شخص مثل هذا الأحمق سيدرك معنى ما تقولين؟ مثله لا يعرف الحب يا شذى.

ظهرت التعاسة على وجه شذى وقالت لها وهي شاردة الذهن:

- على العكس يا ليالي، فأخي هو أكثر من يعرف معنى الحب.

ثم أمسكت يديها ورفعتها أمام وجهها وقالت لها:

- هو بحاجة ماسة إلى الحب يا ليالي، أرجوكِ أعيديه ثانية.

ظهر التساؤل في عيني ليالي وقرأته شذى في عينها وقالت:

- لن يمكنني أن أشرح لكِ شيء الآن، لكن ما أستطيع قوله هو أن أخي يهتم بأمركِ كثيرًا، لم أره يهتم لفتاة من قبل مثلك.

زوت ليالي شفتيها على جانب بسخرية وقالت:

- اهتمام؟ يا عزيزتي أخيكِ يحاول بشتى الطرق إثارة غضبي ويعاملني أسوأ مما تتخيلين.

ضحكت شذى وقالت:

- وهكذا هو يفعل بالفتاة التي يشعر نحوها بالانجذاب، صدقيني إنه يحصن نفسه بتلك التصرفات ليصرفك عنه يا ليالي.

سمعت صوت طرقات على الباب فأذنت للطارق، ثم قالت سريعًا لليالي:

- لنكمل حديثنا فيما بعد.

كان الطارق إبراهيم، الذي قال لهما:

- لقد تأخرتما كثيرًا ؛ليالي، هيا لنذهب إلى الشركة.

ثم قال لشذى:

- سأرحل الآن لو احتجتِ لشيء اتصلي بي على الفور وستأتي والدتي بعد قليل، فأنا لم أخبرها سوى منذ قليل خشية عليها، وداعًا.

أومأت له برأسها ثم غمزت شذى لليالي وهمست في أذنيها وهي تودعها:

- لا تكتمي مشاعرك يا عزيزتي ولا تقومي ببناء جدار وهمي من صنع خيالك، إنه معجب بكِ يا فتاة سأحدثكِ في الهاتف لأعطيكِ بعض النصائح.

ابتسمت ليالي على الرغم منها وقالت:

- ليكن اللّه فيعوني، وداعًا.

في السيارة سألها قائلًا بفضول:

- ما الأمر الذي كانت تتحدث معكِ شذى به.

اضطرب قلبها، ولكنها أجابت بثبات قائلة:

- هذا حديث فتيات، لا أظن أنه سيعنيك في شيء!

قال وهو يضغط على كلماته:

- لا أهتم به طالما لا يدور حولي يا فتاتي العزيزة، أفهمتِ.

صاحت بينها وبين نفسها:

- ذكائك هذا يصيبني بالخوف، يا لك من رجل!

وصلا إلى الشركة؛ نزل من السيارة وتقدم بخطوات واسعة نحو

مدخل الشركة، كانت تتبعه من الخلف وهي تتطلع فيه وتفكر بحديث شذى، وتساءلت أحقًا هو معجب بها؟ حانت منه التفاتة فلاحظ أنها شاردة الذهن وكادت تصطدم بعمود يتوسط الردهة فقال لها محذرًا:

- احذري.

ولكن تحذيره جاء متأخرًا فاصطدمت بالعمود، آلمتها فأخذت تفرك موضع الضربة بيديها وسمعته يقول بلا اهتمام:

- انتبهي على خطواتك، المرة القادمة قد تكون أكثر ألمًا.

شعرت بالغيظ، فدلكت الضربة بقوة فآلمتها أكثر وحدثت نفسها بغيظ:

- بالتأكيد أنتِ مخطئة يا شذى، تعالي لتري المحب الولهان، لم يهتم حتى ولو بالكذب!

استقبلهما فريد بغرفة الاجتماعات، وبعدما جلس كل منهما على مقعده حيّا إبراهيم الحضور، وبعد ما انتهوا من الحديث حول مشاريعهم وصفقاتهم أشار إليهم وقال:

- إلى هنا ينتهي اجتماع اليوم، يمكنكم الرحيل الآن.

كانت ليالي تختزل كل ما يدور بينهم من حديث بخفة ومهارة، ولكن استوقفها اسم شعرت أنها سمعته من قبل، ولكن لم تدرِ أين؛ حاولت أن تنظر إلى صاحبه بين الحضور، ولكنها لم تفلح إذ كان أغلب الجميع قد رحل، قام إبراهيم من مجلسه فحملت أوراقها وتبعته وهي تسرد عليه مواعيده اليوم؛ شاهدت الساعي يقترب ويعطى إبراهيم شيئًا ما، لم تهتم لذلك وأكملت حديثها، وما إن انتهت حتى أعطاها ذلك الشيء الذي أخذه من الساعي وهو يقول:

- خذي هذا الدهان وضعيه على الكدمة، لقد استخدمته من قبل، لن تشعري بأي ألم.

اجتاحتها موجة من السعادة بسبب اهتمامه بها لدرجة أنه جلب لها

الدواء، فأخذته منه وهي فرحة وقالت شاكرة:

- شكرًا لك على اهتمامك سيد إبراهيم.

لم يجبها بشيء وتابع المشي، وما إن دلفا إلى المصعد حتى سألها بجدية وقال:

- ماذا فعلتِ بخصوص الحفل؟

ردت بسرعة وقالت:

- كل شيء جاهز ومُعد، واتصلت بجميع المساهمين، وأيضًا اتصلت بعدة شخصيات مهمة متخصصين بهذا المجال وجلبتهم كضيوف شرف، وأيضًا تواصلت مع المصمم العالمي "دييغو ألباسيتو"ووعدني أنه سيجيب عليّ قريبًا.

نظر لها بدهشة وقال:

- أمتأكدة أنتِ من أنه دييغو نفسه!

أجابت بخفة:

- أجل، إنه هو نفسه، لقد تواصلت مع مدير مكتبه وأقنعته بجعلي أتحدث مع رب عمله، وفعلًا حدث ما أريد.

هز رأسه مفكرًا وقال محدثًا نفسه بصوت منخفض:

- لم أكن أعلم أنه يتقن اللغة العربية.

كان صوته منخفضًا ولكن كان باستطاعة ليالي أن تسمعه لم تعلق على حديثه؛ مر اليوم كان مليء بالعمل كالمعتاد وفي نهاية اليوم رتبت مكتبها وحملت حقيبتها في يديها وهي تمني نفسها بحمام دافئ وكوب من القهوة اللذيذ. ضغطت على المصعد وانتظرت وصوله، وفي أثناء ذلك كان إبراهيم قد جاء، حياها بأدب، وصل المصعد، وما إن فُتح حتى تسمرت ليالي مكانها، فأمامها كان يقف آخر شخص قد تتخيل أنها قد تقابله؛ إنه عمر وبجانبه جاسمين التي تغير وجهها حين رأتهما معًا، صُدم عمر لمرأى ليالي والتفت إليها قائلًا:

- لم أكن أظن أنني قد أقابلك هنا يا ليالي!

استدارت إليه جاسمين بحدة وقالت:

- وهل تعرفها؟

أجابها ساخرًا:

- يمكنكِ قول ذلك!

ما إن خطا خطوة خارج المصعد حتى ابتعدت ليالي من أمامه لتقف بجانب إبراهيم الذي كان يحدق في عمر محاولاً أن يتذكر أين رآه، مدّ له عمر يديه وهو يقدم نفسه وقال:

- مرحبًا سيد إبراهيم، تسرني مقابلتك مع أنني أخجل من أول لقاء حدث بيننا، وأتمنى ألا يسبب هذا بيننا أي سوء فهم.

نظر إبراهيم إلى يديه الممدودة وقال بدون أن يصافحه:

- هل لك أن تذكرني بأول لقاء ذاك، وعندها سأعرف إن كان قد سبب سوء فهم أم لا!

نظر عمر إلى يديه ثم أعادها جانبه وهو يبتسم بطريقة لم ترق لإبراهيم وقال له:

- تقابلنا مرة من قبل، حين كنت أقوم بإيصال الآنسة ليالي إلى بيتها ليلًا.

تذكر إبراهيم على الفور تلك الوقعة واكتسى وجهه بقناع قاسي وقال:

- تذكرت، والآن هل لي أن أعرف لمَ أنت هنا بشركتي؟ فعلى ما يبدو من تفاجئ ليالي عند رؤيتك أنها لم تكن تتوقع مجيئك إذن.

ثم التفت إلى جاسمين وقال:

- أنتِ هنا لرؤية شخص آخر وهي جاسمين، ولكنني على موعد معها لملاقاة عميل الآن.

ثم عاد ببصره إليه وأكمل بصرامة:

- وهذا يعيدني إلى سؤلك، لم أنت هنا؟

ظهرت ابتسامة صفراء على شفتيه وقال:

- أنا هنا لأنني ذلك العميل الذي ستقوم بلقائه يا سيد إبراهيم.

ظهر الضيق على وجه إبراهيم وزفر بضيق وقال:

- حسنًا فهمت الآن.

ثم التفت إلى ليالي وقال لها بعفوية:

- يمكنك أنتِ الذهاب واطلبي من فريد يقوم بإيصالك للبيت، سآتي أنا بسيارتي الأخرى.

سقط قلب ليالي بين ضلوعها، فطريقة حديث إبراهيم تكشف أنها يمكثان معًا وهذا ما لن يمر مرور الكرام على جاسمين، وبالفعل فقد جحظت عيني جاسمين وصاحت:

- ماذا يعنى هذا الحديث؟ هل تعيش معك ببيت واحد؟

تجاهل إبراهيم سؤالها، إذ كانت نظرة عمر لليالي تشغله أكثر فقال لليالي بعصبية:

- هيا اذهبي لمَ تقفين هكذا؟

نظرت له بغيظ وكادت تصرخ فيه لطريقة تعامله تلك معها وكأنها ملك له، رمت جاسمين وعمر بنظرة قاتلة ثم دخلت إلى المصعد وضغطت أزراره على الفور؛ أغلق الباب وكان الثلاثة يحدقون بها وكل واحد يفكر بطريقة مختلفة عن الآخر.

انتهى الاجتماع وكان إبراهيم لا يشعر بالارتياح تجاه عمر طوال الوقت، وحاول بشتى الطرق أن يسد الطريق أمامه لئلا يقوم بالتعاقد معه، ولكن عمر كان يقدم تنازلات وتسهيلات كثيرة، لم يستطع إبراهيم الرفض أمامها، صافحه ثم غادر وهو يقول لجاسمين بنفاد صبر:

- جاسمين سأترك لكِ توديع السيد عمر، فلدي موعد عليّ اللحاق به الآن.

غادر على الفور، التفتت جاسمين إلى عمر وقالت بعصبية:

- والآن أخبرني كيف تعرف تلك الفتاة؟

ابتسم بخبث وقال:

- أشم رائحة غيرة أم يهيئ لي؟

صاحت مستنكرة وقالت:

- غيرة! أنا أغير من تلك المعدمة هل جننت؟

فقال بدهاء:

- إن لم يكن منها فعليه إذن! أم أنا مخطئ؟

زفرت ثم جلست بعنف على المقعد وقالت بغضب:

- إنه صعب المنال يا عمر، أحاول معه بشتى الطرق وهو لا يعيرني أي اهتمام في حين أنني أجده دائمًا مع تلك ال... البائسة، أجل دائمًا ما يكون محتد معها، ولكن عينيه تقول إنه يهتم بها.

ثم نظرت إليه مستنجدة وقالت:

- أخبرني ياعمر ماذا يمكنني أن أفعل؟ لا أريده أن يضيع من يدي، إنه زوج تتمناه أي امرأة في العالم!

انحنى أمامها وقال بخبث:

- الحل عندك أنتِ.

قالت باستغراب:

- كيف؟اشرحلي.

وقف باستقامة ووضع يديه في جيبه وهو يقول:

- يمكنك استخدام جروك الذي يعمل هنا!

صاحت به بغضب قائلة:

- لا تحدثني بألغاز، اشرحلي ماذا تقصد؟

ابتسم بمكر وقال:

- أهدأي سأشرح لكِ كل شيء.

وبدأ بالشرح فالتمعت عيناها ببريق السعادة، فلقد أعجبتها خطته للغاية، لقد كانت خطة شيطانية بحق...

❖ ❖ ❖

الفصل الثامن

«وبدأت الحرب»

ليالي لم تتلفتين حولك هكذا؟

تساءلت سلوى وهي تجلس مع ليالي بكافيتريا الجامعة، فأجابتها ليالي قائلة بحيرة:

- لا أدري يا سلوى، ولكن منذ الصباح وأنا أشعر أن أحد ما يتبعني!

شعرت سلوى بالقلق وتساءلت:

- وهل رأيتِ من هو هذا الشخص؟

هزت رأسها نفيها وأجابت:

- لم أرَ أحد، فقط هو شعور بداخلي؛ لا أدرى، ربما هذا من صنع خيالي، والآن حدثيني عنك ماذا فعلتي مع والدك بخصوص ما حدثتني عنه؟

تنهدت سلوى ببطء وقالت:

- لا شيء، لقد رفض الفكرة تمامًا، وقال لي إنني لا أحتاج للعمل.

ردت ليالي وقالت مستفسرة:

- ألم تشرحي له أن هذا أمر مهم لكِ لتثقلي من خبرتك؟

هزت رأسها بالإيجاب وقالت بغضب:

- أجل، ولكن لم يغير هذا من رأيه شيء، يقول إنني لست بحاجة لشيء فهو يلبى لي كل احتياجاتي، وقال لي أن أترك أمر العمل هذا لمن يحتاج للنقود.

ضحكت ليالي ضحكة قصيرة ثم قالت:

- للفقراء يقصد أليس كذلك؟

أومأت لها وقالت:

- بالضبط.

فكرت قليلًا ثم قالت لها:

- لربما لو فعلتِ شيء يثبت له أنك لا تتسلين وأن الأمر جديّ بالنسبة لكِ عندها سوف يقتنع بكِ بالتأكيد!

ردت عليها وقالت:

- معكِ حق فلنجرب لن نخسر شيء، شكرًا لكِ يا ليالي على دعمي، فأنتِ نعم الصديق.

ابتسمت لها وقالت بمحبة:

- أنتِ مثل أختي يا سلوى، فلا داعي لشيء مثل الشكر، هذا واجبي، ثم لم أنس أن أبارك لكِ على مظهركِ الجديد.

قالت سلوى بسعادة:

- ما رأيك؟ هل أعجبك؟ لقد توقفت عن ارتداء الملابس الضيقة بفضلك، أنتِ هبة من اللّه لي.

مسحت ليالي دمعة تجمعت في عينيها وقالت مازحة:

- بل لأنكِ أنتِ فتاة نقية يا عزيزتي، والآن هيا إلى المحاضرة حتى لا نتأخر ويتم طردنا.

في نهاية اليوم عادت ليالي إلى البيت ومازال يعتريها إحساس أنها مطاردة، كانت قد وصلت إلى البيت، وما إن أغلقت البوابة خلفها حتى زفرت باطمئنان.

في الشركة كان هناك اجتماع مهم لمسؤولي الأقسام، وبعد مناقشات ومباحثات طويلة انتهى الاجتماع وخرج الجميع؛ همت ليالي بالخروج ولكن إبراهيم استوقفها وأمرها بالانتظار، وما إن رحلوا حتى التفت لها وقال متسائلًا:

- والآن أخبريني بكل تجهيزاتك للحفل.

أجابته بجدية:

- سبق وأخبرتك بأنني وجهت الدعوات إلى الجميع، والجميع بلا استثناء قد رد بالموافقة؛ أما بخصوص تجهيزات الحفل الأخرى فقلد اتفقت مع أفضل الشيفات لإعداد الطعام والحلويات وأيضًا أشرفت على القائمة بنفسي بعد مباحثات صغيرة.

لم يفهم مغزى حديثها فقال:

ماذا تقصدين؟

أجابت:

- حين تذهب إلى حفل ما وتجد طعامك المفضل فكيف تشعر؟

أجابها باستغراب:

- بشعور جيد لأنني لم أكن أتوقع هذا بالتأكيد.

فقالت بابتسامة عريضة:

- وهذا ما سيشعر به أغلب الحضور من الشخصيات المهمة، ثق أنها ستكون حفلة رائعة.

أعجب باجتهادها وقال بلهجة صادقة:

- هذا ما أشعر به ليالي.

رتبت أوراقها ووقفت وهي تقول بحسم:

- ابتداءً من الغد سوف أبدأ العد التنازلي للبدء في التحضيرات لأنها لم يتبق سوى ثلاثة أسابيع بالضبط.

هز رأسه موافقًا ووقف وهو يقول لها بابتسامة مشجعة:

- أتحرق شوقًا لذلك اليوم عزيزتي.

خرجت ليالي من قاعة الاجتماعات وهي فرحة للغاية، فعلاقتها بإبراهيم تتحسن شيئًا فشيء، وبينما هي جالسة على مكتبها رن جرس الهاتف فرفعت السماعة فأتاها صوت شذى يقول:

- ليالي، كيف حالك يا صغيرتي؟

ضحكت ليالي وقالت مازحة:

- إنكم حقا أشقاء! إنني بخير يا شذى؛ أنتِ كيف حالك، وكيف حال الصغيرة؟

أجابت:

- نحن بخير حال، أنتِ أخبريني كيف حالك مع إبراهيم، وإلى أين وصلتِ؟

تنهدت وقالت:

- لم نصل لشيء بالتأكيد، وكفي عن سؤالي عنه كلما تحدثنا، أنتِ تعلمين تمامًا أني لن أتخذ أي خطوة أولى أبدًا إن لم يكن من أجل كرامتي فحيائي يمنعني، وأنتِ تعلمين!

كتمت شذى خيبة أملها وقالت لها بهدوء:

- وهل طلبت منكِ أن تتخذين أي خطوة أيتها الحمقاء! أنا طلبت منكِ فقط أن تتوقفي عن وضع أسباب واهية كجدار بينكما وحينها لن يتخذ منكم أي خطوة، بل سيسري القدر بينكما لأنني أعلم يقينًا أنكما تحملان نفس المشاعر لبعضكما البعض؛ليالي، الحب ليس بشيء نستحى منه بل ما نستحى منه هو طريقة استخدامنا لتلك المشاعر، يعني لا أقدم تنازلات وأتخلى عن مبادئ واحترامي لنفسي باسم الحب وأعلل بذلك أنني لا أفعل شيء خطأ؛ القلب ليس شيء تتحكمين فيه، تخبرينه بأن يحب هذا، فيحبه أو يكره هذا فيكره، إنه ليس بمعدة يا صغيرتي، أفهمتني يا ليالي؟ قلبك أحب وهذا ما لا تملكينه، وترجمة هذا الحب هو ما تملكينه، وهو أن نسلك الطريق الصحيح الذي لا يجعلنا نستحي لا أمام أنفسنا أو الآخرين، ومن قبلهم أمام اللّه....ليالي هل ما زلتِ معي؟

كانت ليالي تستمع لحديث شذى بكل جوارحها، كانت كلماتها تنزل على قلبها وصدرها كالبلسم الشافي لجروحها وقلقها؛ لذا أجابتها على الفور وقالت بامتنان:

- أجل يا شذى أنا أسمعك جيدًا، وشكرًا لكِ لقد أراحتني

كلماتـك تلك للغاية؛ شـكرا لكِ، أنتِ نعم الأخـت التي لم أحظ بها أبدًا.

أجابتها وقالت:

- لا شيء يستدعي أن تشكريني يا فتاتي العزيزة، هذا ما تفعلنه الأخوات بالضبط كما تفعل معكِ شقيقتيك، أقصد أختا زياد.

تنهدت ليالي وقالت بأسى:

- ليـس لـي في ذلك البيت سـوى زيـاد، أما شـقيقتاه ووالدتهم لم أشـعر منهـن بأي عاطفة أبـدًا، كن دائمًا يتخذن موقفًـا عدائيًا مني ولا أدري السبب!

ضحكت شذى وقالت متهكمة:

- لـم برأيـك كانت السـيدة تماضر هانـم توفيق وابنتيها نفيسـة ودرية يكرهن سندريلي؟

خرجـت قهقه مـن ليالي فوضعـت يديها على فمها بسـرعة وقالت وهي تجاهد أن تخرج منها ضحكة أخرى:

- أوه يا شذى إن أحشائي تكاد تنفجر بداخلي من الضحك.

كانت تمسـح دموعها من آثار الضحك، حين سمعت صوت شذى يقول بحنان:

- أحببـت ضحكتـك يـا ليالـي، ولا تعلميـن كـم أدعـوا اللّه أن تكونـي مـن نصيب أخي، فأنا لن أجد فتاة أفضل منكِ على الإطلاق أأتمنها زوجة لأخي.

احمـر وجـه ليالـي من كلمات شـذى ولم تجـد مـا تقوله، واختار إبراهيـم هـذا الوقت لتجـده يخرج من مكتبه وهو يقـول لها بدون أن يلتفت:

- ليالي، سـأخرج لبعـض الوقـت ولا تدعـي أحد ينتظرنـي لا أريد مقابلة أحد عند عودت.....

بتـر عبارته وتعجب من مرأى ليالي على تلك الحالة، بيديها سـماعة

الهاتـف ووجهـا أحمر للغاية ، ضاق بعينيه وهو يسـألها من على الهاتف؛ كانت شذى لازالت على الهاتف وسمعت صوت ليالي تتلعثم وهي تقول:

- إنه.....أقصد إنها

كان حديـث شـذى مربك للغايـة ، وزاد من إربـاك الموقف ظهور الشـخص المعني بالحديث ، تخيلت وكأنه سـمع ما يدور بينها وبين شذى فانتابها إحساس رهيب بالخجل وتلعثمت ، اقترب منها وهو يقول من بين أسنانه:

- من الذي يحادثك على الهاتف يا ليالي؟

أجابت قائلة بعد تردد :

- إ..إنها شذى.

التقط منها الهاتف بدون سابق إنذار وقال بحدة:

- مرحبًا شذى.

كتمـت شـذى ضحكتها وتركته يعيد الـكلام ثانية ثم أغلقت الهاتـف بدون أن تقول أي شـيء ، وما إن وضعت السـماعة حتى قالت بسرور:

- غيرتك واضحة يا أخي، عليّ أن أتحدث مع أمي وأخبرها.

وضع السماعة وقال لها :

- لمَ لم تجب عليّ إن كانت شذى حقًا؟

وقفت على قدميها وقالت له بحدة:

- وما أدراني أنا؟ ولم تلمح إلى أنني كاذبة؟

ظل على هدوئه وهو يقول:

- لا ألمح لشيء ، أنا فقط أتساءل.

أجابت قائلة:

- إذن تساءل بعيدًا عني.

ثم خرجت على الفور ، اصطدمت بجاسمين التي رمقتها بنظرة لم تفهم ليالي معناها ، ثم رمتها بابتسـامة سـاخرة ومضـت في طريقها؛

توجهت ليالي إلى كافتيريا الشركة طلبت كوبًا من الليموناضة لكي تريح أعصابها قليلًا وما أن ارتشفت منه حتى وجدت مديرة قسم المتابعة والتخطيط تقتحم المكان بعصبية وهي تبحث بعينيها بين الموجودين حتى استقرت عليها ، قطبت حاجبيها بغضب واتجهت نحوها بخطوات واسعة قالت ليالي لنفسها :

- الستر من عندك يا أللّه ، فتلك لا تأتي إلا ومعها المصائب!

وقفت عندها ووضعت الأوراق التي بيديها بعنف على الطاولة وقالت بسخط:

- والآن أريدك أن تفسري لي تلك المهزلة!

حاولت ليالي أن تسيطر على قلقها وهي تقول متسائلة :

- ماذا تقصدين؟ لم أفهمك.

صاحت بها قائلة :

- عندما اتصلت بالقاعة فوجئت بهم يخبرونني أنهم ليس لديهم أي حجز باسمنا ، ولم يطلب منهم أحد ذلك.

صعقت ليالي ووقفت على قدميها وقالت:

- إذن لندع الشرح فيما بعد ونطلب منهم أن نحجزها على الفور.

هدرت بعضب وقالت باشمئزاز :

- أوتظنين أنني لم أفعل! لقد طلبت منهم حجزها وبأي سعر يريدون ، ولكنهم اعتذروا وأخبروني أنها محجوزة طوال الأسبوع ، وليس لدينا فرصة لحجزها سوى بعد ثمانية أيام ، والآن كيف فات عليك أن تحجزي القاعة؟ لقد أرسلنا البرقيات باسمها ، كيف سنتصرف الآن؟

هنا تذكرت ليالي تلك النظرة التي رمقتها بها جاسمين ، وأنها كانت تسخر منها ؛ شعرت بالغضب يجتاحها ، تركت ليالي المرأة وافقة وتوجهت حيث مكتب جاسمين ، ولكنها لم تجدها هناك ، سألت عنها فأبلغوها أنها تعبت قليلًا فتوجهت إلى بيتها ؛ أخذت منهم

العنوان وذهبت إليها وصدرها يشتعل غضبًا وقررت أن تضع النقاط على الحروف معها، وأن توقفها عند حدها؛ وصلت إلى بيت جاسمين أو بالوصف الأدق إلى قصرها؛ ضغطت على الهاتف الداخلي فأتها صوت رجولي، فأجابته بأنها زميلة جاسمين بالعمل، وأنها تريدها بأمر مهم، بعد قليل فتح الباب ووجدت حارس الأمن بانتظارها. رحب بها وطلب منها أن تتبعه، لم تشغل ليالي بالها بالنظر في الأرجاء، فكل ما كان يشغلها الآن هو جاسمين وما فعلته. أدخلها إلى غرفة الانتظار وقال لها بأدب:

- السيدة جاسمين ستكون هنا بعد قليل.

ألقت بحقيبتها بعنف على المقعد، ولم تجلس ليالي، فما كان يعترك بصدرها لم يجعلها تتمكن من الجلوس ولم يمضِ وقت طويل حتى وجدت جاسمين مقبلة عليها بأبهى حلة؛ رفعت جاسمين حاجبيها وقالت وهي تمد يديها بالمصافحة:

- ليالي!ما الأمر؟ أي رياح طيبة أتت بكِ؟

تجاهلت ليالي يديها وقال بغضب:

- ما الذي استفدتيه من فعلتكِ تلك؟

رفعت جاسمين حاجبيها وقالت بدهشة مصطنعة:

- ماذا تقصدين؟ لم أفهم ما ترمين إليه.

احتد صوت ليالي وصاحت بها بانفعال غاضب:

- لا تدّعين البراءة يا جاسمين فهي أبعد ما يكون عنكِ، وأنت تفهمين جيدًا ما أقصده.

هنا وجدت ليالي آخر شخص تتوقعه أن يدخل عليهما، فقد فوجئت بإبراهيم يدخل عليهما وهو يقول متعجبًا:

- ليالي! ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟ هل حدث شيء؟ ولمَ تصرخين هكذا؟

وقبل أن تجيب ليالي، أجابت جاسمين على الفور وقالت متظاهرة بالمرض:

- لا أدري ما الأمر! لقد اقتحمت المكان وتدعي أنني فعلت شيء ما!

شبكت ليالي ساعديها أمام صدرها وهي تقول:

- أنا لا أدعي، أنا واثقة من أنكِ تعمدت فعل ذلك يا جاسمين.

سألها إبراهيم قائلًا:

- تعمدت فعل ماذا؟أفصحي عن الأمر يا ليالي.

أشارت إليها باحتقار وهي تقول بانفعال:

- كان من المفترض أنها ستقوم هي بحجز القاعة ولكنها لم تفعل، ولن يمكننا حجزها سوى بعد ثمانية أيام على الأقل.

التفت إليها إبراهيم بعنين مخيفتين وصاح بها بصرامة:

- أهذا صحيح يا جاسمين؟تكلمي.

جلست جاسمين على أقرب مقعد وقالت متضرعة:

- أجل صحيح فهي لم تأمرني بذلك، وحين تعبت شذى وتولت هي زمام الأمور ولم تتحدث معي بشأنها، علمت أنها قررت أن تتجاهلني كالعادة، وأنها تريد أن تقوم بكل شيء بمفردها، وأرادت أن تبعدني عن طريقها ففضلت أن أبتعد لكي أثبت لها أنني لا أريد منافستها على مكانها كما تقول لي هي هذا دائمًا.

لم تصدق ليالي ما تسمعه بأذنيها وصاحت بها بدهشة:

- لم أقابل حقًا أي شخص يشبهك، أنتِ حقًا أفعى تنفث سمها أل....

قاطعها إبراهيم وقال بهدوء غاضب:

- ليالي، الزمي حدك، لن أسمح بأن تهيني زميلتك أمامي، والآن أخبريني هل ما قالته جاسمين صحيح؟

صاحت مستنكرة:

- بالطبع لا، وهل هذا شيء يحتاج لتسئلني عنه!

أعاد سؤاله ولكن بصيغة أخرى وقال:

- إذن أنتِ أبلغتها بأن تقوم بحجز القاعة وهي من تجاهلت ذلك الأمر؟

تلعثمت ليالي وقالت بارتباك:

- لا لم أفعل، لقد أخبرتني شذى أنكم اتفقتم على أن تتولى جاسمين حجز القاعة لذا لم أسألها عنه لكي لا تظن أنني أريد أن أتدخل بعملها وتركت لها هذا الأمر.

ثار في وجهها وقال بغضب هادر:

- لم تشائي ماذا؟ لقد قصرتي في عملك يا آنستي، وبسببك ستتحمل الشركة خسائر فادحة، ولكن هذا ليس ذنبكِ أنتِ بل أنا المخطئ، لقد اعتمدت عليكِ وأنت لا تفقهين شيئًا عن عالم رجال الأعمال ولا عن مسؤوليات، أن تعملي بشركة بحجم مثل شركتي مثلك كأقصى قدراتها أن تكون عاملة في مطعم رخيص؛ لقد خيبتي أملي بكِ حقًا!

تحجرت الدموع بعينيها وشعرت وكأن أحدهم اخترق قلبها بخنجر؛ نظرت إليه غير مصدقة ما يقوله، كيف يهينها هكذا وأمام من؟ أمام جاسمين التي كانت ترمقها بشماتة وعلى وجهها لذة انتصار. هزت رأسها وهي تنظر إليه بخيبة أمل، التقطت حقيبتها وخرجت على الفور هائمة على وجهها؛ صاح بها أن تتوقف، ولكنها لم تأبه لنداءاته المتكررة، كانت تمنع الدموع من التساقط؛ ظلت تمشي في طريقها على غير هدى، ولم تنتبه سوى على صوت بوق سيارة يأتي من خلفها؛ التفتت لترى من فوجدته إبراهيم، نظرت له بعتاب؛ أكملت طريقها، أعاد تنبيهها ببوق السيارة، ولكنها لم تلتفت تلك المرة، وحين يأس من أن ترد عليه صاح بها من السيارة وقال:

- هيا يا ليالي، تعالي لأوصلك بطريقي، لا يصح أن تمشي هكذا وحدك.

لم ترد عليه وظلت ماضية بطريقها، قال كلمات بالإسبانية أيقنت أنه يسب، فكانت تلك عادته؛ فتح باب سيارته ونزل منها، وحين شعرت به يفعل ذلك أشارت لسيارة أجرة قادمة؛ صاح بها قائلًا

بصرامة:

- ليالـي توقفـي حـالًا، إلى أيـن مع سـائق غريب في هـذا الوقت المتأخر!

كان عنادهـا أقـوى مـن أن تفكـر بشـيء بعقلها، لـذا لـم تهتـم بكلماتـه وركبت السـيارة وانطلق بها السـائق، ظـل إبراهيم يحدق فـي السـيارة وهي ترحل مبتعدة؛ ركل سـيارته بعنـف، وعاد أدراجه خلف مقود السيارة وانطلق بها إلى بيته، وما إن دخل البيت حتى بحث عنها في الأرجاء، وحين تأكد أنها ليست بالطابق الأرضي صعد إلى غرفتها وطرق الباب، لم يسمع ردها فأعاد الطرق بقوة أكبر، وحين لم يسـمع شـيء فتح الباب وجد غرفتها خالية؛ أغلق الباب بقوة وذهب إلى غرفته وهو قلق عليها من أن يكون قد حدث لها مكروه أو فعلت في نفسها شيء، فأخرج هاتفه واتصل بها، فوجئت ليالي بهاتفها يرن فطلب منها شقيقها أن تجيب، ولكنها قالت بلا مبالاة:

- لا أريد أن أتحدث مع أحد الآن.

جـاء النادل ووضع أمامها كوبين من العصير؛ شـكره زياد، وما إن رحل النادل حتى سأل أخته قائلًا باهتمام:

- والآن أخبرينـي ما الذي يضايقك إلى تلـك الدرجة؟ فأنا لم أركِ هكذا من قبل!

ارتشفت من العصير ثم وضعته أمامها وهي تقول بنبرة حزينة:

- لقد تسببت في خسارة فادحة للشركة بسبب إهمالي يا زياد!

زوى حاجبية وقال متسألًا:

- وكيف هذا أخبريني؟

أخذت تشرح له كل شيء حدث وقالت منهية حديثها:

- هذا هو كل ما حدث.

سألها قائلًا:

- جاسمين تلك هي نفسها التي معك بالجامعة، أليس كذلك؟

هزت رأسها بالإيجاب فقال متهكمًا:

- يبدو أنها حاكت خطة لإيقاعك يا عزيزتي لكي تزيحك عن طريقها.

رأى الدموع تلمع في عينيها وهي تقول بانهزام:

- وعلى ما يبدو أنها نجحت بها يا زياد، فلم يتبق سوى أيام قليلة، ولا يمكنني أن أحجز قاعة بتلك المواصفات الآن كلها محجوزة؛ لقد فشلت يا زياد وهي انتصرت عليّ.

وضع يديه على يديها ومال إلى الأمام وقال لها بحنان:

- هذا ما تظنه هي، أنها انتصرت عليكِ، لا تعرف أنها تعاملت مع الشخص الخطأ، فليالي التي أعرفها لا تقع أبدًا بتلك السهولة، وأنا واثق أنكِ ستجدين مخرجًا من تلك الأزمة، فأنتِ أختي وأعرفك جيدًا أكثر من نفسك يا عزيزتي.

ثم وقف على قدميه وقال لها بحسم:

- هيا قفي على قدميكِ وكفكفي دموعك، فالمعركة لم تنتهِ بعد.

ثم جلس ثانية وهو يقول مازحًا:

- لنشرب العصير أولًا وبعدها كفكفي دموعك، فالكوب بعشرين جنيها؛ هيا انتهي منه سريعًا وبعدها سأوصلك إلى البيت.

ضحكت رغمًا عنها من كلمات شقيقها، فمسحت دموعها وأكملت شرب العصير؛ أوصلها إلى البيت، وما إن همّ بالرحيل حتى أمسكت بيده فوقف وقال لها بقلق:

- ما الأمر هل تريدين شيء؟

هزت رأسها نفيًا ثم قالت بابتسامة:

- أردت فقط أن أشكرك، فلولاك لكنت الآن هائمة لا أدري أين أذهب وماذا سأفعل، كما فعلت لي حين مات أبي وأمي وجدتك أمامي نجدة جاءت من السماء، كلماتك شجعتني كثيرًا، شكرًا لك يا زياد.

ضرب على رأسها بخفة وهو يقول:

- لا تشكريني الآن، بل اشكريني حين تنجح حفلتك التي أنا واثق في الله عز وجل أنها ستنجح؛ آه، وأريد أن أكون من الحضور إذا أمكن لو سمحتِ!

أجابته وقالت مداعبة:

- الحضور غالبيتهم ليسوا من مستواك، فهم فقراء للغاية، لدرجة أنك ستشفق عليهم من كثرة فقرهم.

فأجابها ضاحكًا:

- لا تهتمي سأعطيهم القليل من الأموال، أنتِ كما تعلمين عني أنني أحب أن أعطي الفقراء لأنني أشعر بسعادة في العطاء.

لكزته في صدره وهي تقول:

- تعطي من يا معدوم؟ آه لو سمعتك عائشة!

تظاهر بالجزع وقال:

- لالا، فهي ستصدق وستحول الأمر لأنني أكتم غناي لكي لا أتزوج بها.

قالت وهي تغالب ضحكاتها:

- أي والله صدقت، وعندها ستتحول حياتك إلى كابوس مرعب.

عالجها قائلًا:

- بطلته عائشة.

ثم أكمل وهو يضع ساعديه حولها:

- والآن هيا إلى الداخل أكاد أتحجر من البرد، هيا تصبحين على خير وغدًا سأتصل بكِ لأطمئن عليكِ وأرى ماذا ستفعلين.

شيعته ببصرها وهو يرحل ثم قالت لنفسها:

- جزيت خيرًا عني يا زياد يا أفضل أخ بهذا العالم.

ثم دخلت إلى البيت، كان الجميع نائمًا؛ صعدت إلى غرفتها تحممت من عناء اليوم وبدلت ثيابها، ثم نزلت لتتمشى على الشاطئ، فلم يقترب النوم من عينيها تلك الليلة، وهناك في غرفة إبراهيم كان

يتابعها وهي تتمشى على الشاطئ، ثم همس لنفسه وقال مطمئنًا:

- ها هي أمامك أيها المعتوه، هيا فلتتم الآن.

لم تكن تعلم بأنه يتابعها من الأعلى؛أغلق الستائر وخلد إلى النوم على الفور، أما هي فجلست وأخذت تعبث في الرمال وهي تتذكر نفسها وهي صغيره حين كانت تأتي دائمًا للعب في هذا الشاطئ هي وأخيها، وفجأة وقفت على قدميها وهي تصيح بفرحة:

- أجل ولمَ لا!

ثم أخذت تدور ببصرها بالشاطئ وهي تصرخ بحبور:

- أجل سأتمكن من فعلها، سيمكنني ذلك بكل تأكيد.

ثم ركضت إلى غرفتها وقامت بالاتصال على أخيها الذي رد بقلق:

- ليالي! ماذا حدث لكِ؟

أجابته قائلة بلهفة:

- لا تقلق أنا بخير، أريد فقط مساعدتك في شيء!

تنهد بارتياح وهو يقول بتثاؤب وبنصف عين مفتوحة:

- المساعدة تلك لم تنفع سوى في الرابعة فجرًا؟

ضحكت وهي تقول:

- لا يهم، فلم يتبقَ على الفجر سوى دقائق يعنى أنني فعلت بك ثواب.

قهقه وهو يقول:

- ثواب! ومن ورائك أنتِ؟ ربنا يستر، هاتِ ما لديكِ.

وبدأت ليالي تشرح له الأمر، وقد اعتدل في مجلسه مبهورًا بخطة ليالي وقد زال أي أثر للنوم من عينيه، وما إن انتهت حتى قال بسعادة:

- ألم أقل لكِ إنني واثق من أنكِ ستخرجين منها، ولكنني لم أتخيل أن تكون بتلك السرعة وبتلك الروعة، لقد تفوقتِ على نفسك تلك المرة يا أختي التي أشرف بها كثيرًا.

ضحكت وهي تقول بفرح:

- أهذا يعنى أنك موافق على مساعدتي؟

أجابها:

- بكل تأكيد وهل هذا يحتاج لسؤال!

فقالت بارتياح:

- الحمد لله هكذا أكملت جزءًا من الخطة.

سمعته يقول بسرعة:

- ولو احتجتِني في إكمال أي جزء آخر منها لا تترددي في إخباري على الفور.

ردت عليه بامتنان قائلة:

- بكل تأكيد يا أخي، أنا لي من غيرك!

سمعا نداء الفجر، فقال لها وهو يتثائب:

- والآن هيا اذهبي صلي ثم ارتاحي، أنا واثق من أنكِ لم تتذوقي طعم النوم الليلة.

قالت مؤكدة:

- صدقت والله يا زياد، والآن أشعر أنني أريد النوم لمدة شهر.

أنهت حديثها معه ثم أغلقت السماعة وهي تشعر بالسعادة لأنها ستتجاوز الأمر؛ صلت الفجر ثم أخذت تدعو الله أن يوفقها بخطتها ثم خلدت إلى النوم وهي قريرة العين؛استيقظت في الصباح على صوت طرقات خفيفة على الباب فقالت:

- مَن؟

أتاها صوته المميز وهو يقول برزانة:

- إنه أنا يا ليالي، أريدك في مكتبي بعد ربع الساعة.

فأجابته قائلة:

- حسنا سأوافيك على الفور.

بدلت ثيابها علي الفور وأثناء ارتدائها للحجاب سمعت طرقات وصوت نعيمة يقول:

- ليالي، هيا يا ابنتي.

صاحت بها ليالي من الداخل قائلة:

- ادفعي الباب وادخلي أنا مستيقظة.

تفاجئت نعيمة بليالي وهي ترتدي ملابسها وقالت بدهشة:

- لمَ ترتدين ملابسك الآن؟ ألن تتناولي الفطور قبل رحيلك!

فأجابتها موضحة:

- لقد طلبني السيد إبراهيم في مكتبه وعليّ النزول الآن إليه، ثم إنني صائمة، اليوم هو الاثنين، وداعًا الآن.

ثم طبعت قبلة على خد نعيمة ورحلت، تحسست نعيمة خدها ثم قالت برضى:

- أنتِ فتاة جيدة يا ليالي، يا ليت كل الفتيات مثلك يا ابنتي!

طرقت ليالي باب المكتب وانتظرت حتى يأذن لها بالدخول وسمعته يقول:

- ادخلي يا ليالي.

دخلت وهي تقول متعجبة:

- أريد أن أعرف كيف تعلم أنني من يطرق الباب؟

فقال لها بوجه خالٍ من التعابير:

- نعيمة تكاد تكسر الباب وهي تطرقه، وعبد الجليل فيكاد يخلعه من مكانه، أما أنتِ فكأنكِ تخشين أن تلمسي الباب.

فقالت متهكمة:

- تقصد أني أطرق الباب بلطف.

مط شفتيه وقال:

- بطريقة أخرى.

ثم أتعدل في مجلسه وقال بجدية:

- أردت التحدث معكِ بخصوص الأمس، أنا أشعر أنني قلت لكِ كلام لم يكن يجب على أن أقوله.

قاطعته قائلة بهدوء:

- لقد كنت على حق في كل ما قلته، أنا أهملت واجبي وتسببت في خسائر لك ولشركتك، وهذا رد فعل طبيعي منك.

ضاقت حدقتاه وهو يقول:

- أهذا يعنى أنكِ لست غاضبة مني؟

هزت رأسها نفيًا وقالت:

- بل غاضبة بالطبع، فكلماتك التي قلتها لي تعكس مشاعرك الحقيقية تجاهي، أنني لا أصلح سوى لإدارة مطعم رخيص كما قلت.

أجابها:

- لقد قلتها وقت الغضب فلا تأخذيها على محمل الجد.

ردت قائلة بهدوء:

- يقال إن المرء في ساعة الغضب يكون أكثر صدقًا في مشاعره.

فقال لها بنفاد صبر:

- والآن كيف نحل الأمر؟

وهذا ما كانت تنتظره ليالي، فوقفت على قدميها واتكأت على مكتبه وقالت بجدية صارمة:

- دعني أكمل الحفل، ولكن على طريقتي أنا؛ لقد حاولت أن أتصل لأحجز كل القاعات الجيدة في البلد، ولكن لم أتمكن من فعلها.

اتكأ هو الآخر على مرفقيه وقال لها بنظرة ثاقبة:

- والآن كيف ستفعلينها إن لم يمكنكِ أن تحجزي أيّة قاعة كما تقولين؟

رجعت إلى الخلف وقالت بزهو:

- لن نحتاج إلى قاعة أبدًا.

تعجب منها وقال باستغراب:

- كيف هذا!

فقالت له مفسرة:

- سأشرح لك كل شيء.

أخذت تخبره بخطتها وكانت عينيه تتسع انبهارًا بها، وما إن انتهت حتى سألته بقلق:

- والآن ما هو ردك؟ هل أنت موافق؟

أطال النظر بها ولم يجب فأعادت سؤالها بتوتر قائلة:

- لِم لَم تجِبني هل أعجبتك الفكرة؟

كانت عينية مليئة بالإعجاب والتقدير حين قال لها:

- وهل هذا أمر يحتاج لسؤال يا ليالي! إنها فكرة رائعة وستوفرين عليّ الكثير والكثير من الأشياء.

فرحت ليالي وصفقت بيديها كالأطفال وهي تقول بسعادة:

- إذن هذا يعني أنك موافق!

شعر بالسعادة لرؤيتها فرحة هكذا وقال لها بابتسامة خلابة:

- أجل يا ليالي موافق بالتأكيد، ولكِ مني كارت أخضر بفعل كل ما تريدين وسحب أي أموال تحتاجينها، ويمكنك استخدام أي شخص تريدينه.

وهنا تذكرت شيئًا فاختفت الابتسامة من وجهها وهي تتساءل بحذر:

- وهل يجب عليّ أن أشارك الأمر مع جاسمين يا سيد إبراهيم؟

هز رأسه نفيًا على الفور وقال بنبرة حاسمة:

- بالطبع لا، فهذا مجهودك الشخصي، لن أسمح لأحد أن يسرقه منكِ بكل تأكيد.

رفعت ليالي حاجبيها بدهشة وتساءلت بنفسها:

- هل يعرفها ويعرف أنها من الممكن أن تسرق وتنسب كل شيء لنفسها!

فهم ما يدور بخلدها فابتسم ساخرًا وقال:

- عزيزتي أنا ربما لا يتعدى عمري الثالثة والثلاثين، ولكن لي خبرة من هم في الثمانين من العمر، يمكنني فهم الشخصية التي

أمامي على الفور.

استدارت لتغادر وهي تقول ساخرة:

- تُرى وهل حللت شخصيتي أنا أيضًا!

مط شفتيه وهو يقول بحيرة:

- لا يا ليالي فشخصيتك غريبة وصعبة التحليل لأنني لم أقابل مثلها على الإطلاق.

هزت كتفيها باستسلام وهي تضع يديها على الباب قائلة:

- لا صعبة ولا شيء، كل ما في الأمر أنك لم تقابل مصريات من قبل.

فقال ساخرًا:

- بل قابلت يا عزيزتي، أنسيتي جاسمين بتلك السرعة!

قالت بتأفف:

- لسن كلنا مثلها هنا يا سيد إبراهيم.

فرد عليها قائلًا:

- وليسوا مثلك أيضًا يا ليالي.

رفعت يديها باستسلام وقالت مازحة:

- سأرفع الراية البيضاء؛ الجدال معك غير مجدٍ بالتأكيد يا سيد إبراهيم.

حيته ثم أغلقت الباب خلفها وهي في قمة السعادة لأنها تمكنت من تصحيح خطأها الفادح، وأخذت تدعوا الله أن يكلل مجهودها بالنجاح، ولكن لم تكن تتخيل ما سيحدث ولو في أحلامها بكل تأكيد.

❖ ❖ ❖

الفصل التاسع

«التحدي»

لوحت سلوى بيديها من بعيد لليالي، وما إن أقبلت عليها حتى قبلتها من وجنتيها وقالت:

- صباح الخير يا ليالي، منذ هاتفتيني وأنا أشعر بالقلق، ما الأمر المهم الذي تريديني فيه؟

بادلتها ليالي التحية وهي تقول بمرح:

- أريدك في شيء جيد لا تقلقي، هيا الآن نحضر المحاضرة وبعدها نجلس لنتحدث.

استدارت ولكنها فوجئت بجاسمين تقف أمامها وعلى وجهها نظرة ساخرة، بادلتها إياها ليالي وقالت لها وهي تغادر باستهزاء:

- يبدو أن مرضك يتبع أوامرك يا عزيزتي، تطلبينه فيأتي، تطردينه فيرحل.

ثم انطلقت مغادرة مع سلوى التي اختلست النظر إليها وهي مغادرة، فوجدتها تنظر إلى ليالي بحقد؛ ما إن استقرت في مكانها هي وسلوى حتى قالت سلوى هامسة:

- هل حدث شيء لم أعرفه؟ نظرتها إليكِ لم أعهدها من قبل، فهي أشد كرهًا وأكثر بغضًا عن ذي قبل؟

همست لها ليالي وقالت:

- انتبهي الآن على المحاضرة، وبعدها سأشرح لكِ كل شيء.

ابتلعت سلوى لسانها على مضض والفضول يقتلها؛ بدأ الأستاذ في الشرح، وهنا دخلت جاسمين إلى القاعة؛ حيت الأستاذ وهي تدخل،

ولكنه استوقفها وقال بسخط:

- لقد شاهدتك وأنتِ تنزلين من سيارتك منذ ساعة على الأقل، لِم لَم تدخلي محاضرتك بموعدها؟

أرادت أن ترد عليه بكلماتها اللاذعة، ولكنها لم تشأ أن تُوبخ أمام الجميع، وبالأخص ليالي فقالت متصنعة الوهن:

- لقد كنت أستريح قليلًا؛ لقد كنت مريضة في الأمس، ولكنني لم أُرِد أن تضيع عليّ محاضرتك، لذا أتيت؛ عذرًا معلمي على تأخري.

كانت ليالي مندهشة من قدرة جاسمين على التمثيل، وسمعت سلوى تقول:

- كان عليها أن تدخل المعهد العالي للفنون، فهناك كانت ستصبح رقم واحد على الجميع.

ابتسمت على مزحة سلوى وشاهدت الأستاذ وهو يسمح لجاسمين بالجلوس؛ شعرت جاسمين بالانتصار، وما إن همت لتجلس حتى خاطبها الأستاذ وهو يبحث عن شيء ما بحقيبته قائلًا بهدوء:

- أتعلمين يا جاسمين! يبدو أنكِ لا تفرقين بين الفنون وبعضها، هنا نتخرج لنصبح مهندسين، وهناك ليصبحوا ممثلين، لذا أتمنى ألا تخلطي بين التخصصيين ثانية يا ابنتي.

ضجت القاعة بالضحك والتصفير؛ كتمت ليالي ضحكاتها، أما سلوى فقد أطلقت لنفسها العنان، ابتسم الأستاذ ثم ضرب على سطح مكتبه بخفة وهو يقول برزانة:

- هدوء، والآن أين كنا؟

بعدما انتهت المحاضرة تعلقت سلوى بذراع ليالي واقترحت أن يتناولن الغداء خارج أسوار الجامعة بمطعم قريب لكي يتحدثن بحرية، لأن الكافتيريا ستكون ممتلئة، وافقتها ليالي؛ وصلن إلى المكان المنشود، جلسن على طاولة بعيدة نوعًا ما، وطلبت كل

منهن طعامها، وما إن ابتعد النادل حتى قالت سلوى بفضول:

- والآن أخبريني بكل شيء من البداية.....

قاطعتها ليالي قائلة:

- وحتى النهاية، حسنًا يا سيدتي استمعي بعناية.

وبينما ليالي تشرح لسلوى ما حدث، اقترب النادل بالطعام، وضعه أمامهم ثم حياهم بأدب ورحل، التقطت سلوى سندويتش وهي تقول:

- لابد وأنها كانت مفاجأة من العيار الثقيل على جاسمين حين فوجئت بك بمكتبه، والأدهى ستحتلين مكان أخته أيضًا.

أجابتها ليالي وهي تأخذ رشفة من المياه الغازية التي أمامها:

- لو كان بإمكانها أن تقتلني وقتها لفعلتها، ولكن أتعلمين....

هدوء سلوى المفاجئ جعل ليالي تتوقف لتسألها قائلة:

- سلوى ما بك؟ أين ذهب عقلك يا فتاة!

قالت سلوى هامسة وهي تنظر خلف ليالي:

- ذلك الرجل ذو النظارات الداكنة منذ دخل إلى هنا وهو لم يرفع عينيه من عليكِ، ولنا قرابة النصف ساعة هنا، وطوال هذا الوقت ظل محدقًا بكِ.

لم تلتفت ليالي وقالت بلا اهتمام:

- لا تهتمي يا عزيزتي، ربما يهيأ لكِ فقط؛ لا أظن يتعمد النظر، ربما يفكر بشيء وصادف وقوع نظره علينا.

لم تقتنع سلوى تمامًا، ولكنها نسيت كل شيء بعد نصف دقيقة حين شرعت ليالي في تكملة حديثها الذي أنهته قائلة:

- ووافق على فكرتي التي شرحتها لكِ منذ قليل، والتي أحتاج إلى مساعدتك لي فيها، أتوافقين؟

أجابتها بدهشة:

- وهل تسألينني! بالطبع موافقة، حددي أنتِ الوقت الذي تريدين فيه تلك الأشياء وسأجلبها لكِ على الفور.

أمسكت ليالي يديها وقالت شاكرة:

- شكرًا جزيلًا لكِ يا سلوى، لن أنسى صنيعك هذا ما حييت.

رفعت سلوى يديها إلى وجه ليالي وقالت مازحة:

- يا ابنتي لا داعي لتقبيل يدي؛ أستغفر الله، أستغفر الله.

ابتسمت ليالي على مزحتها ووقفت وهي تقول:

- علينا أن نعود للجامعة، المحاضرة ستبدأ بعد قليل.

أكملت سلوى مشروبها على عجل؛ تتبعت ليالي ببصرها وهي تتجه نحو الخزينة؛فتحت ليالي حقيبتها لتدفع ثمن الطعام، وإذا بها تجد رجلًا يقف بجانبها وهو يقول بهدوء:

- اعذريني آنستي، سأدفع لكِ الحساب هذه المرة.

ابتعدت ليالي خطوتين لقربه منها ثم قالت له بترفع وحسم:

- أظن أنه لا شيء من مظهري يدل على أني من ذلك النوع من الفتيات، والآن تنحى جانبًا أريد أن أدفع حسابي لأنني على عَجل.

لم تر رد فعله، فقد كان يضع نظارات شمسية أخفت جزءًا كبيرًا من وجهه؛ هز رأسه وقال وهو يرحل:

- أنتِ تمامًا كما سمعت عنكِ يا ليالي، لنا لقاء آخر قريبًا وداعًا.

لم يمهلها لتسأله كيف علم باسمها، وقالت سلوى بقلق:

- ألم أقل لكِ إنه كان يحدق بكِ بشدة.

تسلل القلق إلى قلب ليالي، ولكنها نفضته عنها سريعًا؛ مر اليوم بدون أي مواجهات مع جاسمين وعادت ليالي أدراجها إلى البيت. في صباح اليوم التالي طرقت باب غرفة السيدة هويدا، وعندما سمعتها تأذن لها دخلت وهي تقول بابتسامة:

- أنا أشعر بالخجل من نفسي لتقصيري بحقك.

ثم اتسعت عينيها دهشة حين رأت من غير السيدة بالغرفة، فأقبلت وهي تصيح بسعادة:

- شذى! يا لها من مفاجأة رائعة، كيف حالك؟

تعانقتا وقالت شذى بغبطة:

- أنا في خير حال، كيف حالك أنتِ يا حبيبتي؟اشتقت لكِ كثيرًا.

حيت ليالي السيدة هويدا وطبعت قبلة على جبينها وهي تجيب شذى قائلة:

- أنا بخير والحمد لله، أنت كيف حالك وكيف حال أميرتنا الصغيرة؟

ابتسمت وهي تناولها لها قائلة:

- بخير ها هي، كبرت قليلًا أليس كذلك؟

احتضنت ليالي الرضيعة وقبلتها برفق من خدها ثم أعادتها إلى والدتها وهي تجيبها مازحة:

- بالطبع كبرت، هل قدمتِ لها في الروضة أم ليس بعد؟

ضحكت السيدة هويدا وقالت:

- صدقتِ والله يا ليالي، ستصيبني تلك الفتاة بالجنون، ابنتها ما زالت لم تكمل شهرها الأول وهي تقول لي لقد كبرت قليلًا!

قالت ليالي لشذى:

- شذى، لِم لَم تستمعي إليّ وتعودي لعملك؟

أجابتها قائلة بدهشة:

- أنتِ تذهلينني يا ليالي، شخص غيرك ما كان ليتمنى رجوعي أبدًا! يا عزيزتي أنا الآن أم لرضيعة، لا يمكنني تركها فهي تحتاجني بجانبها دائمًا، لن يمكنني العودة؛ ثم أنتِ تردين أن تلقي على عاتقي أمر الحفل، أنا لن أحضرها فلدي ما يكفيني من المشاكل والمشاغل، محال أن أعود انتهى النقاش.

ابتسمت ليالي لحديث شذى ثم اعتدلت بجدية وقالت لوالدة شذى:

- سيدتي، أردت أن أستأذنك في أمر ما؟

تساءلت الوالدة قائلة:

- خيرًا يا ابنتي!

فقالت ليالي بتردد:

- سأقيم الحفل الخاص بالشركة في الحديقة وفناء الشاطئ إن شاء الله، فهل توافقين؟

دُهشت شذى وقالت:

- ولم! لقد قالت جاسمين إنها ستحجز القاعة لهذا الحدث أنسيتي؟ لقد أخبرتك بذلك.

تنهدت بعنف وقالت ساخطة:

- لقد خدعتني جاسمين يا شذى.

ثم قصت عليهما الأمر وما حدث من تلك الفتاة، قطبت السيدة هويدا حاجبيها وقالت بغضب:

- يبدو أنها تريد منكِ الفشل لكي تثبت له أنكِ غير مؤهلة لذلك ويعمل على وضعها بدلًا منكِ، أليس كذلك يا شذى؟

أجابتها بضيق قائلة:

- أجل يا أمي بالضبط.

التفتت إلى ليالي وقالت لها بصرامة:

- ليالي، يمكنك فعل كل ما تريدين بالبيت يا ابنتي، لا تترددي في طلب المساعدة أيًا كان، لا تقلقي أبدًا.

فرحت ليالي وقامت وقبلتها من جبينها ثم وقفت على قدميها وقالت بسعادة:

- شكرًا جزيلًا لكِ، أنتِ أروع إنسان قابلته في حياتي، والآن سأذهب أنا لأجل البدء في التحضيرات وداعًا.

استوقفتها الوالدة وتساءلت قائلة:

- ليالي، أخبريني هل فاتحتِ ابني بأمر الحفل هذا؟

أجابتها قائلة:

- أجل يا سيدتي، ولقد أبدى موافقته عليها، ولكنني أردت أن

أستأذنك أيضًا.

هـزت الأم رأسـها متفهمـة، وما إن خرجـت ليالي وأغلقـت الباب خلفها حتى التفتت السيدة هويدا إلى ابنتها وقالت متسائلة بغضب:

- والآن مـا قصـة تلك الفتـاة؟ وهل تظني أنها تريـد أن توقع أخيكِ في حبائلها؟

ردت شذى بسخط هي الأخرى وقالت:

- أجـل يا أمي، منـذ وطئت قدميها أرض الشـركة وهي تريد أن تأخـذ مكانـي لتكـون قريبة من إبراهيـم، ولكن حيـن أتت ليالي وأخـذت موقعي استشـاطت غضبًـا، وعلى ما يبدو أنهـا تكره ليالي من قبل أن يرون بعضهن بالشـركة، فكما سـمعتِ الآن هي تكون زميلتها بالجامعة، أي أنها تكرهها مسبقًا.

أخذت الأم تفكر ثم قالت:

- وعلى ما يبدو أنها أرادت أن تفشل ليالي في إدارة الحفل فيطردها ابني.

هـزت شـذى رأسـها موافقة على حديـث والدتها ثـم أكملت الأم قائلة:

- وعلى ما يبدو أيضًا أنها لا تدري بحقيقة عمل ليالي هنا وعيشهما معًا.

أجابت شذى:

- أجـل، ولكن يا أمي أنا واثقة من أن جاسـمين شـعرت باهتمام أخي بليالي، وهذا ما لن تمرره مرور الكرام، وسـتعمل على إفسـاد علاقتهما بالتأكيد.

غضبت الأم وصاحت:

- من تلك التافهة لتفسـد لي ما أقوم به! حسنًا سنرى من المنتصر في النهاية، أنا أم تلك الفاسدة.

هدأت شذى من ثورة والدتها وقالت بهدوء:

- ولا تنسي يا أمي أن ليالي فتاة ذكية؛أرأيتِ كيف استطاعت أن تفكر ببديل أفضل بكثير مما كنا نحضر له معًا ، بل وانتزعت موافقة أخي وهو من لا يعطيها لأحد بتلك السهولة.

قالت الأم بزهو وإعجاب:

- أنها اختياري يا ابنتي، لابد وأن تكون جيدة.

ضحكت شذى وقالت لوالدتها ممازحة:

- ما هذا التواضع الرهيب يا أمي!

شرعت ليالي في البدء بديكورات المكان؛ كانت تمضي في الحديقة يوميًا أكثر من ست عشرة ساعات، وكانت تمنع إبراهيم من دخولها حتى تنتهي، وقبيل الحفل بيومين وأثناء عودته من الشركة اتصلت على فريد الذي أجابها قائلًا:

- ليالي مرحبًا ، كيف حالك يا فتاة؟ لم أركِ منذ خمسة أيام.

تنبهت حواس إبراهيم على حديث فريد حين سمع اسمها وسمعه يقول:

- إبراهيم.. أجل نحن معًا.. ربما هاتفة خارج الخدمة.. حسنًا.. نحن في طريق العودة على أي حال، عشرة دقائق وسنكون هناك.

أغلق الهاتف ثم التفت إلى إبراهيم الذي تظاهر بأنه مشغول بقراءة شيء ما؛ابتسم فريد بسخرية ثم قال له متهكمًا:

- ليالي اتصلت بك، ولكن على ما يبدو أن هاتفك كان يعطيها مغلق.

هز كتفيه متظاهرًا باللامبالاة:

- وماذا كانت تريد؟

هز كتفيه قائلًا:

- لا أدري، كانت تتساءل متى ستعود للبيت، وحين أخبرتها أننا في طريقنا للبيت طلبت مني أن أدخل معك، وأنها بانتظارنا.

تعجب إبراهيم وتساءل لم تريدهما! وما إن وصلا للبيت حتى وجداها

تنتظرهما أمام المرأب، حيتهم ثم التفتت إلى إبراهيم وقالت بسرور:

- هل أنت جاهز للمفاجأة؟

ابتسم وقد فهم ما ترمي إليه فقال لها:

- إذن قد انتهيت.

أجابته قائلة:

- أجل، وأنا واثقة أنك ستتفاجأ.

تساءل فريد في فضول قائلًا:

- لا تتحدثا وتتركاني لا أفهم شيء، هيا أخبراني عما تتكلمان.

أشارت له قائلة:

- تفضل أمامي وستفهم وحدك.

تقدم إبراهيم يتبعه كلًا من فريد وليالي، وما إن دخل فريد إلى الحديقة حتى أصابته الدهشة، فصاح بها منبهرًا:

- لا أصدق من فعل كل هذا؟يا له من منظر! أشعر وكأنني تحتمس الرابع عشر؛ من صاحب تلك الفكرة ياليالي؟ إنه حقًا مذهل.

أجابته بغبطة:

- أنا من وضع التصميمات كلها، وأصدقائي ساعدنني في تنفيذها.

التفت لها فريد وقال بإعجاب:

- إنه تصميم رائع، وفكرتك في جعل الديكور على الطراز الفرعوني هي فكرة رائعة بامتياز.

شعرت بالخجل من إطراء فريد فقالت بارتباك:

- شكرًا لك، يسعدني أنه أعجبك.

ثم التفتت إلى إبراهيم وقالت متسائلة بقلق:

- سيد إبراهيم، لم تقل شيء إلى الآن! ألم يعجبك الديكور؟

نظر لها مطولًا فزاد هذا من قلقه، ثم قال بصدق شعرت به في كلماته:

- لقد تفوقتِ على نفسك يا ليالي، لم أتكلم لأنني لم أجد الكلمات التي يمكنها أن تعبر عن مدى دهشتي وإعجابي بعملك؛ أحسنتِ حقًا.

شعرت بقلبها يرقص فرحًا بين ضلوعها، وتهلل وجهها وقالت بسرور:

- يسعدني حقًا سماع تلك الكلمات منك، لقد أثلجت صدري، شكرًا جزيلًا لك سيد إبراهيم.

ثم أردفت قائلة:

- وبالنسبة للمطبخ لقد تعاقدت مع أكبر مطاعم بالبلد؛ اوه تذكرت، لقد كتبت لك قائمة ببعض الأشياء وأريد أن آخذ رأيك بها، ها هي، لو أردت أن تغير منها شيء فلتخبرني.

بعدما تمعن بها رفع رأسه إليها وقال وهو يناولها لفريد:

- بل هي مثالية، غدًا ستكون تلك الأشياء عندك.

أجابته قائلة:

- سأراهم غدًا بعدما أعود من الجامعة بمشيئة الله، والآن عليّ العودة للداخل، عمتم مساءً.

في صباح اليوم التالي توجهت إلى الشركة؛ دلفت إلى المصعد، وما إن كان الباب يغلق حتى وجدت يدًا توقفه قبل أن يُغلق، وعلى وجه صاحبها ابتسامة صفراء قائلًا:

- لم أركِ منذ فترة يا آنسة ليالي، عليّ أن أشكر المصعد على أن أتاح لي فرصة وجودي معكِ بمفردي.

كادت تخرج من المصعد وتتركه وحده فيه، ولكن الطابق الذي تريده كان في طابق مرتفع، فلم تجد بدأ من المكوث، ولكنها قررت تجاهله تمام؛ لم يغض طرفه عنها منذ أغلق باب المصعد، وحين شعر أنها تتجاهله بادرها قائلًا:

- لِم أشعر أنكِ لا تستسيغين الحديث معي يا ليالي؟

شعرت بالغضب منه لحديثه معها بحميمة ونزعه للألقاب وعدم

التقدير، فقالت له بصرامة:

- أستاذ نبيل يبدو أنك من النوع الذي لن أقول لا يفهم التلميحات لأنك شخص ذكي، وإلا لما وصلت لمكانتك التي أنت بها الآن في الشركة، ولكن من النوع الذي يتجاهل التلميحات، لذا سأتحدث معك بوضوح؛ مسألة أنني أستسيغك أم لا فهي لم ترد في بالي من الأساس لأنك ببساطة لا تشغلني، أي أنك لا تأخذ أي حيز من تفكيري لذا لا تعطي نفسك مكانة ليست موجودة من الأساس، وأيضًا لا ترفع التكلفة بيننا لأنني لا أحب ذلك، بمعنى لا تتجاوز حاجز الاحترام بيننا، أتمنى أن تكون فهمتني جيدًا.

قال بغضب:

- لا تحبينه مني وتحبينه من شخص آخر، أليس كذلك؟

سألته بغضب قائلة:

- ماذا تقصد وإلامَ تلمح يا هذا؟ أنصحك أن تحذر من كلماتك لكي لا تندم فيما بعد.

كان المصعد قد توقف في الطابق الذي تقصده، فخرجت على الفور ولكنه تجاوزها وهو يقول بتهكم:

- تبدين واثقة من نفسك، من تستندين إليه معك اليوم وسيرميكِ غدًا، وداعًا آنستي.

كادت تنادي عليه لتفهم منه ما يقصد، ولكن مرور جاسمين جعلها تبتلع لسانها على مضض، فهي إن عرفت بالأمر لن تمرره هكذا بدون أن تحوله لصالحها؛ أما نبيل ما إن دخل غرفته حتى أشعل سيجارًا ثم نفث دخانها ببطء قبل أن يقول محدثًا نفسه:

- حسنًا يا ليالي، أقسم أن أجعلك تندمين على ما فعلته وقلته لي، لقد منحتك فرصة أخيرة قبل أن أهدم حياتك ولكنكِ أهدرتِها، لذا لن يؤلمني ضميري عند مشاهدتك وقتها.

وهنا دخلت عليه جاسمين وهي تبتسم ابتسامة خبيثة وتغلق الباب

خلفها، وضع السيجارة جانبًا وهو ينظر بجشع إلى حقيبة يديها.

دخلت ليالي إلى مكتبها وهي ساخطة؛ ألقت بحقيبتها بعنف على المكتب وجلست وهي تتمتم بكلمات غير مفهومة، وفجأة علا رنين الهاتف، فقفزت في مكانها مذعورة؛ رفعت السماعة قائلة:

- أجل سيد إبراهيم هل هناك شيء؟

أتاها صوته يقول بهدوء:

- أريدك أن تجلبي لي الملف الأخضر سريعًا، وتعالي إلى قاعة الاجتماعات.

وقفت بسرعة وهي تقول بآلية:

- حسنًا، دقيقة ويكون لديك.

لم تمر الدقيقة إلا وليالي تدخل إلى القاعة؛ لاحظت وجود مجموعة من الأجانب لم ترهم من قبل، ناولت إبراهيم الملف وهي تقول:

- سيد إبراهيم، تفضل ها هو.

التقطته منها وهو يسألها بابتسامة ودودة:

- صباح الخير يا ليالي، كيف حالك اليوم؟

أجابته بخجل قائلة:

- بخير والحمد لله، وأطمئنك أنني انتهيت من كل شيء تمامًا.

نظر إبراهيم إلى فريد وقال له بخفوت:

- فريد أنت دون المناقشة بدلًا من ليالي، فأنت تعلم فهم لا يتحدثون العربية.

هز فريد رأسه متفهمًا، وضعت ليالي الحاسوب أمامه ثم مالت على فريد وقالت هامسة:

- لم أكن أعلم أنه لدينا عقد صفقة اليوم، متى حددتم هذا؟

أجابها قائلًا:

- تم تحديده قبل أن تأخذي مكان شذى منذ أكثر من شهر، كنا في مفاوضات كثيرة حتى تم الاتفاق على ما يرضي الطرفين؛

إنهـا أكبر صفقـة لنا هنا منذ تم افتتاح هذا الفـرع، كنا في صراع محتد مع شركات كثيرة حتى فُزنا بها نحن.

قالت بفضول:

- يبدو أنها صفقة مهمة جدًا!

قال لها باهتمام:

- بالطبع، يكفـي أن تعرفي أن أكثر من خمسـين شـركة حول العالم كانت تريد إقامة هذا المشروع لديها، ولكن إبراهيم ببراعته تمكن من الفوز بها.

هزت رأسـها متفهمـة وبدأ الاجتمـاع، أخذت تتابع مـا يحدث في صمت، وبعد مرور دقائق أخذت تخربش في مفكرتها بتململ، كان رجل الأعمال الكندي ذاك لم تنزل عينيه من على ليالي التي لم تنتبه على ما يحدث حولها، فقد كانت شاردة الذهن، بعد انتهاء الاجتماع حيّاهـا ذلـك الكندي، ردت بـأدب غير مبالٍ ثم تبعـت إبراهيم الذي لاحـظ اهتمـام ذلك الرجل بها، ولكنه شـعر بالارتيـاح حين وجدها غير مدركـة لذلك؛ دلف إلى مكتبه وهي تتبعه، ناولته أوراق ليوقع عليها، وما إن انتهى منها حتى ناولها إياها قائلًا بإعجاب:

- يعجبني حماسـك ودقتك لأهم التفاصيل؛أتطلع لبعد الغد بشوق يا ليالي.

ثم أعطاها الملف الأخضر وقال لها باهتمام:

- فلتحفظـي هذا الملف في مـكان أمين يا ليالي، فهو يحتوي على تعب ومجهود أكثر من عام كامل، إياكِ وأن يضيع منه شيء.

قالت بجدية:

- لا تقلق سيد إبراهيم.

ثم حيته بإماءة من رأسـها وخرجت وهي تشعر بسعادة غامرة لثقته بها.

بعد الظهيرة ذهبت إلى الكافيتريا لتناول غدائها، وعند المصعد

تذكـرت أنها نسـيت حقيبتها فعادت أدراجها إلـى المكتب، وما إن دخلـت حتـى فوجئت بنبيل وهو يخرج مـن مكتبها، وما إن رآها حتى شعر بالارتباك؛ شكّت ليالي به وقالت متسائلة:

- نبيل! ماذا كنت تفعل في مكتبي؟

أجابها بتلعثم:

- ل...لا شـيء، كنت..كنـت أريـد أن أعتـذر لكِ عمـا حدث في الصباح، ولكني لم أجدك فخرجت على الفور.

لم تشـعر بالارتياح لحديثه وشـعرت أنه يكـذب، ولكنها أجابته قائلة:

- حسنًا لا عليك، لقد نسيت الأمر، ولكن عليك أن تنتبه لأفعالك مستقبلًا.

قال بابتسامة لم ترتح لها أبدًا:

- حسـنًا شـكرًا لـكِ يـا ليالـي، والآن سـأتركك وأرحل لكي تذهبي لتناول غدائك، فأنا أعلم أنكِ تتناولينه الآن.

لـم يمهلها لتجِبه ومد الخطى مبتعـدًا، تابعته ببصرها وهي تتمتم بقلق قائلة:

- ولـم أتيـت في ذلك الوقـت وأنت تعلـم أنني لن أكـون متواجدة بالمكتب؟ ليحفظني الله منك ومن شروك.

عادت ليالي إلى البيت مسـاءً، فوجدت السـيدة هويدا بالحديقة، وما إن رأت ليالي حتى بادرتها قائلة بابتسامة حنونة:

- ليالي مرحبا يا ابنتي، كيف حالك؟

قبلتها من جبينها وهي تقول:

- بخير يا سيدتي.

ثم أشارت إلى الحديقة وهي تقول:

- ما رأيك هل أعجبك؟

أجابتها بانبهار:

- كلمة رائعة لا تصفه يا ابنتي، أجزم أنكِ ستكونين مصممة ديكور مشهورة في المستقبل وبوقت قصير.

قالت ليالي بارتباك:

- أتمنى أن يتحقق ذلك بإذن الله، سأذهب لأرتاح قليلًا لأن غدًا يوم مليء بالعمل.

استيقظت ليالي مع خيوط الفجر الأولى وظلت تعمل طوال اليوم إلى أن حل المساء ولم تشعر بمرور الوقت، حتى تنبهت على صوت إبراهيم وهو يقف على باب المطبخ ويقول بدهشة:

- هل مازلتِ تعملين إلى الآن؟

فوجئت بوجوده فرفعت بصرها لترى كم الوقت، ودهشت حين رأتها الواحدة بعد منتصف الليل، قالت له باستغراب:

- لم أشعر بمرور الوقت حقًا، لقد قاربت علي الإنتهاء.

قال لها والإرهاق يبدو باديًا على وجهه:

- حسنا , سأصعد أنا لأرتاح قليلًا.

بعدما خرج وضعت ليالي اللمسات الأخيرة في المطبخ ثم نظرت إليه برضى وخرجت وأطفأت الأضواء وصعدت إلى غرفتها، وما إن استلقت حتى أخذت تدعوا الله أن يوفقها في يوم الغد.

استيقظت ليالي على صوت طرقات عنيفة على غرفتها فتحت عينيها بجهد لترى كم الوقت، فوجدت أنها لم تتجاوز التاسعة صباحًا؛ صاحت تسأل من الطارق، فأتاها صوت إبراهيم يقول بغضب:

- أريدك في الأسفل بعد خمس دقائق.

شعرت بالقلق وأخذت تتساءل عما أثار غضبه هكذا! بدلت ثيابها على عَجل وأخذت تبحث عنه، فأشارت لها حليمة بصمت إلى غرفة المكتبة؛ توجهت إليها، طرقت الباب ثم دخلت، حيته قائلة:

- صباح الخير سيد إبراهيم، ما الأمر خيرًا إن شاء الله؟

كان وجهه غاضبًا للغاية، أشار لها أن تجلس ثم قال محاولًا

السيطرة على غضبه:

- لقد اتصل بي أحد المدعوين، وفوجئت من حديثه أنه سيأتي على القاعة التي لم نتمكن من حجزها، أي أنه لم يبلغه أحد بتغير المكان؛ هلا شرحتِ لي الأمر، فلا أظنه قد فات عليكِ أبدًا.

أجابت بثقة:

- بالطبع لم يمر عليّ، ولكن لو أخبرت الجميع بتغير المكان سيفتر حماس الكثيرين منهم ولن يأخذوا الأمر على محمل الجد، بل وقد يتكاسل بعضهم عن الحضور ظنًا منهم أننا لسنا أهلًا للمسؤولية، لذا تواصلت مع مدير مكتب كل شخص فيهم وعلمت أن منهم من سيأتي يوم الحفل، والبعض الآخر سيأتي اليوم السابق له، أي حضروا يوم أمس، وهنا أتتني فكرة في أن نرسل لهم سيارات تجلبهم إلى الحفل، خصوصًا أن عددهم قليل، عندها لن نضطر إلى إحراج أنفسنا أمامهم، وسيكون الأمر كما لو أننا جعلنا لهم الأمر كمفاجأة.

أخذت نفسًا ثم أكملت بنفس الجدية:

- وبالنسبة للسيارات فلقد رتبت الأمر مع أخي، وقد وفرها لي تمامًا وبأقل تكلفة.

كان يستمع لها وهو منبهر بها وبحديثها وقال:

- تفكيرك سليم للغاية وحلك للمشكلة مثالي، أحسنتِ ليالي، أنتِ تدهشيني كل يوم عن سابقه.

أجابت قائلة بتأسف:

- شكرًا لك سيدي، ولكني حقًا لا أستحق مديحك، لقد أخطأت وكان عليّ ببساطة تصحيح هذا الخطأ بدون أية خسائر، وأحمد الله على أن هداني لهذه الحلول.

ثم قالت:

- عليّ المغادرة الآن.

مـر الوقـت وليالي تنظـر إلى السـاعة كل دقيقة؛ أخـذت هاتفها لتتصل بشقيقها الذي قال بضراعة:

- ليالي ارحميني، هذا الاتصال الخامس عشر اليوم، أقسم لكِ لا يوجد أية مشاكل والأمور تمضي بسلاسة، السيارات كلها جاهزة، والعناوين واضحة، وكلنا في الطريق لننقلهم الآن، اهدأي ولا تقلقي.

أجابته بقلق:

- معذرة يا زياد، ولكن أنت تعلم أنها أول مرة لي لأصبح مسؤولة عن شـيء بهذا الحجم وتلك الأهمية، وأشـعر بالخوف والقلق بسـبب هذا.

قال لها مطمئنًا:

- أنا واثق أنه سيكون حفل لن ينساه الجميع بإذن الله.

وبالفعل لن ينساها الجميع أبدًا!!!

❖ ❖ ❖

الفصل العاشر

«اعتراف جنوني»

عند الساعة الخامسة مساءً بدأ الجميع في الحضور، وكان إبراهيم وفريد يقفان في استقبالهم، وكان آخرهم وصولًا هو المصمم دييغو ألباسيتو الذي صافح إبراهيم وهو يقول بامتنان:

- شكرًا لك على لمستك اللطيفة في إرسال سيارة لإيصالي إلى هنا.

رد عليه إبراهيم بابتسامة ودودة قائلًا:

- لا داعي للشكر تفضل، وأتمنى أن يعجبك الحفل.

وما إن خطا إلى داخل الحديقة حتى اتسعت عينيه دهشة، ثم التفت إلى إبراهيم وقال بإعجاب:

- يا له من تصميم رائع! أحسنت اختيار مصممك للحفل؛ لقد أعجبني حقًا عمله، إذا رأيته فيما بعد أخبره أنني أريد رؤيته.

قال له إبراهيم بزهو:

- لحظة سأجلبه إليك الآن.

ذهب إبراهيم إلى ليالي بالمطبخ، فقالت له إحدى النادلات التي جلبتهم ليالي لأجل الحفل:

- لقد صعدت الآنسة ليالي إلى غرفتها لترتدي ثيابها.

شكرها ثم صعد إلى ليالي وطرق الباب قائلًا:

- ليالي هذا أنا، هل انتهيتِ؟

فتحت الباب على الفور وهي تقول:

- أجل سيد إبراهيم لقد انتهيت.

تطلع إليها في إعجاب، كانت ترتدى عباءة بيضاء مطرزة بخيوط ذهبية على الخصر والأكمام، وكان حجابها كبير وطويل من نفس قماش العباءة، كان يبدو على رأسها كالتاج، ومما زاد من إعجابه بها أنها لم تضع أي شيء من مساحيق التجميل على بشرتها، كانت تبدو في غاية الجمال والرقة؛ تنبه من تمعنه بها على صوتها وهي تتساءل قائلة:

- هل حضر الجميع، أم تخلف أحد منهم؟ هل قام أخي بفعل شيء خاطئ؟ هل....

قطع سيل الأسئلة وقال بابتسامة عذبة:

- اهدأي ولا تقلقي، لقد حضر الجميع وشكروني على فكرة السيارات، ودوري الآن لكي أشكركِ عليها؛ هيا لدي مفاجأة لكِ بالأسفل.

استدار على عقيبه بخطوات سريعة، لحقت به وهي تتساءل:

- ما هي تلك المفاجأة أخبرني، لقد أشعلت فضولي!

ضحك وهو يقول:

- تحلي بالصبر، لم يتبقَ سوى عشرة خطوات عليها.

تيقنت أنه لن يخبرها بشيء، لذا تبعته بصمت؛ ما إن دخلت الحديقة حتى شعرت بالرهبة قليلًا، فبالرغم من علمها بمن هم الحضور لكن رؤيتهم شيء آخر؛ بحث إبراهيم بعينيه عن السيد دييغو فوجده يقف مع مجموعة من المدعوين يتوسطهم فريد وجاسمين؛ اقترب بها وقدمها إبراهيم إلى المصمم دييغو قائلًا له بفخر:

- أقدم لك الآنسة ليالي، هي من قامت بعمل ديكور الحفل.

حياها قائلًا:

- تشرفت بمعرفتك يا آنسة ليالي، لقد أبهرني تصميمك الرائع.

تهيأ إبراهيم ليترجم لليالي ما يقوله السيد دييغو، ولكنه فوجئ بها تجيبه بإنجليزية سليمة:

- شكرًا لك سيد دييغو، مديحك هذا وسام لي بالتأكيد.

كانت دهشة إبراهيم لا تقل عن دهشة فريد وجاسمين، وبدأ الواقفون مع فريد يتحدثون مع ليالي ويمدحون عملها؛ كانت تقف بينهم بثبات وتجيبهم بطلاقة، بينما جاسمين تشتعل من داخلها غيرة وحقدًا فعدم رؤيتها لليالي تتحدث بالإنجليزية في الجامعة جعلها تظن أنها لا تتقنها أبدا وأنها تدرس فقط المقرر، فحاولت أن تلفت الأنظار إليها وبالفعل نجحت في ذلك؛ مال فريد على إبراهيم وقال ساخرًا:

- أتلك التي لا تجيد الإنجليزية يا رجل؟ من يسمعها يظن أنها أجنبية مائة بالمائة.

لم يجبه إبراهيم، بل همس لليالي قائلًا بغيظ:

- تعالي معي أريدك بكلمة.

كانت تعلم لم يريدها، تظاهرت بالبراءة قائلة:

- ما الأمر سيد إبراهيم هل هناك شيء.

ساقها أمامه حتى وصل إلى زاوية بالمكان بعيدة عن الأعين وقال لها بغيظ:

- لم جعلتني أظن أنكِ لا تجدين الإنجليزية؟

رفعت حاجبها بدهشة وقالت بكبرياء:

- أنت من استنتج عدم معرفتي بها، ولست أنا من جعلك تظن ذلك!

قال لها:

- لابد أنكِ كنتِ تضحكين عليّ بسرك حين كنت أتحدث مع فريد ذلك اليوم.

هزت كتفيها بابتسامة خبيثة أشعلت من غضبه أكثر، وهمّ بأن يوبخها ولكن فريد قاطعه وهو يقول:

- فؤاد الإسماعيلي يبحث عنك.

قال له وهو ينظر لها بغيظ:

- حسنًا، أنا قادم خلفك.

وما إن رحل فريد حتى قال لها متوعدًا:

- سنكمل حديثنا فيما بعد، لا تظني أنني سأمرره هكذا.

ابتسمت وهي تراه يرحل هناك، وأخذت تلف بين المدعوين لترى هل يحتاج أحد منهم شيء، وأثناء مرورها اصطدمت بأحدهم، فالتفتت لتعتذر ففوجئت بأنه هيثم؛ارتفع حاجباه دهشة وقال لها بتعجب:

- ليالي! بحق الله ماذا تفعلين هنا؟

أجابته قائلة:

- إنني أعمل مع السيد إبراهيم، فأنا سكرتيرته الخاصة.

سمعا صوتًا ينادى على هيثم، فالتفتا معًا إلى صاحب الصوت فوجدت إبراهيم وفريد يقفان معه، فعلمت أنه فريد الإسماعيلي، التفت هيثم إليها وقال لها:

- تعالي معي لأعرفك على والدي.

تبعته إلى حيث يقف إبراهيم الذي كان يتابع ما يحدث بعين لاهية؛اقترب هيثم فقال والده لإبراهيم:

- أقدم لك ابني الأكبر هيثم، طالب جامعي.

صافحة إبراهيم وهو يقول بابتسامة باردة:

- مرحبًا تشرفت بمعرفتك.

رد هيثم التحية لإبراهيم بأدب:

- شكرًا لك سيد إبراهيم.

ثم التفت لوالده وقال مشيرًا إلى ليالي بحماسة:

- أقدم لك يا والدي ليالي، وصادف أيضًا أن تكون السكرتيرة الخاصة بمكتب السيد إبراهيم.

حياها الرجل وقال بوقار:

- مرحبًا بكِ يا ابنتي، هيثم لا ينفك يتحدث عنكِ بالبيت هو وأخته سهام، حتى شعرنا بالفضول لرؤيتك.

شعرت ليالي بالإحراج وقالت بخجل:

- شكرًا لك يا سيدي، إن الآنسة سهام والأستاذ هيثم لابد وأنهما يجاملاني فقط.

ضحك الرجل وقال:

- لو كنتِ تعرفين ابني حق المعرفة لعلمتي أنه لا يجيد فن المجاملة على الإطلاق.

كان فريد يختلس النظر بين إبراهيم وليالي وهيثم، ثم ابتسم بخبث وقال محدثًا نفسه:

- إذن هي ليالي يا إبراهيم، لقد كشفتك يا رجل.

وفجأة قال إبراهيم:

- والآن هيا إلى الطعام.

استأذنت ليالي من هيثم ووالده لتغادر، ثم توجهت على وجه السرعة إلى المطبخ لتتحدث مع الشيف وتعلمه أنه حان وقت تقديم الطعام. جلس الجميع حول مائدة الطعام، كانت عامرة بأشهى المأكولات الرائعة سال لها لعاب الجميع، وقال أحد الموجودين الأجانب:

- رائحة الطعام شهية للغاية يا سيد إبراهيم.

أجابه بابتسامة:

- أتمنى أن تنال إعجابك، وإعجابكم جميعًا.

بدأوا في تناول الطعام وراقب إبراهيم ليالي لكي ينجدها إذا ما احتاجت لمساعدته، فهو يعلم أنها لا تجيد استخدام أدوات المائدة، ولكن يبدو أن ليالي أقسمت على إثارة دهشته تلك الليلة، فلقد كانت تأكل بكل أريحية وتجيب أسئلة الحضور بلا أي تردد أو ارتباك، سره رؤيتها بهذا الاطمئنان؛ تنبه على صيحات الإعجاب التي أبداها الجميع عن الطعام نظر إبراهيم إلى ليالي بامتنان؛ علمت من نظرته أنه يقول لها:

- شكرًا لكِ.

تخضب وجهها بحمرة الخجل، فحولت نظرها إلى مكان آخر

فصدم بعمر الذي لم تكن تعلم بوجوده؛ كان ينظر إليها نظرة ساخرة، فقطبت حاجبها بغضب وخفضت بصرها إلى طبقها، وهنا تحدث أحد الحضور موجهًا حديثه إلى من يجلس بجانبه:

- أخبرني كيف الأمور معك بمطعمك؟

أجابه ذلك المسن قائلًا بأسى:

- لا أفشيك سرًا، الأمور ليست على ما يرام، تم افتتاح العديد من المطاعم بجانبي وأثر هذا بالسلب عليّ بالتأكيد.

هز الأول رأسه قائلًا بحزن:

- لقد كان مطعم الأصيل رائعًا، كنت أزور مدينتكم لأجله فقط.

فقال المسن متجهًا بنظره إلى إبراهيم وقال بأمل:

- لهذا طلبت مشورة السيد إبراهيم فهو بارع للغاية.

نظر الجميع إلى إبراهيم الذي قال بدبلوماسية:

- لتأمل خيرًا سيدي.

تذكرت ليالي اسم المطعم على الفور، فبسببه دخلت في تحدٍ مع إبراهيم واختزلت ملف به أكثر من ثلاثمائة ورقة في يوم واحد، لذا تنحنحت ثم قالت بحياء:

- سيد إبراهيم، هل يمكنني إبداء رأي يفي هذا الأمر؟

وضع إبراهيم الشوكة من يديه وقال لها وهو دَهش:

- تفضلي يا ليالي بالتأكيد، هذا إن لم تمانع يا سيد شاهين، فهو أمر يخصك وحدك.

أجابه الرجل بود قائلًا:

- لا مانع لدي طبعًا، تفضلي يا ابنتي هاتِ ما لديكِ.

فوجئت بنظرات الجميع تلتفت نحوها، وشعرت بالرهبة بداخلها، ولكنها لم تجعل شيئًا يظهر عليها وقالت بثقة:

- لقد قرأت الملف الخاص بمطعمك، ولدي عدة اقتراحات

يمكنها أن تحسن من وضعه وتعيده ثانية إلى سابق عهده.

التقطت أنفاسها ثم أكملت قائلة:

- ما علمته أن مطعمك مكون من ثلاثة طوابق، وهذه ميزة رائعة يمكنك أن تستفيد منها بجعل كل طوائف المجتمع تكون لديك، فمثلًا يمكنك أن تجعل طابق خاص بالعائلات، وآخر لطلبة الجامعة، فموقع المكان على مقربة من إحدى الجامعات، والآخر يمكنك أن تجعله لزبائنك المنتظمين، ويمكنك.

قاطعها المسن قائلًا بدهشة:

- يبدو أنكِ بحثتِ عن المطعم ليمكنك معرفة وجود الجامعة.

قالت بابتسامة هادئة:

- أجل بالفعل.

قال لها بإعجاب:

- حسنًا أكملي يا ابنتي.

عادت إلى جديتها وتابعت قائلة:

- يمكنك جذب الزبائن بتحديث الديكور الخاص بالمطعم، تدخل فيه تصميمات حديثة تحافظ على تراثه، وفي الوقت ذاته تواكب متطلبات العصر؛ قائمة الطعام أعلم أنها لم تتغير منذ جد والدك وأنها تراث يسلمها جيل إلى جيل، ولكن عليك أن تدخل فيها مأكولات أخرى، فالمكان الذي يحتله المطعم بقرب حي للتسوق، وهذا يعني أن أغلبية القادمين هم زبائن غير منتظمين، ويريدون الأكل سريعًا للعودة، إما لتكملة التسوق أو للبدء بالتسوق، لذا خيار الوجبات السهلة الأكل سيكون حلهم المثالي، وستكون هكذا استفدت في كل الأحوال؛ طعامك التراثي كما هو، وأيضًا واكبت التغيرات المحيطة بك.

حل الصمت على الحضور شعرت ليالي بالإحراج لهذا، ثم لم يلبث المسن أن قال مبهورًا:

- أنتِ كنز رائع يا ابنتي، لقد حللتِ الأمر بسلاسة وبدقة، أحسنتِ بحق.

ثم التفت إلى إبراهيم وقال له:

- أحسدك عليها يا سيد إبراهيم، أحسنت اختيار مساعدتك.

وقال الكندي بإعجاب:

- شكرًا لك يا فريد على الترجمة، وأنتِ يا ليالي لقد أعجبني تحليلك للأمر وطريقة حلك للمشكلة.

كلما أبدى أحدهم إعجابه بحديث ليالي كلما اشتعلت نار الغيرة بصدر إبراهيم، والذي ندم على جعلها تتحدث، فنظرات الإعجاب التي انهالت عليها من الحضور بما فيهم الأجانب، حيث كان فريد يترجم لهم الحديث وود لو خنقه بيديه؛ أما جاسمين فكان الحقد يظهر على وجهها ولاحظت اهتمام الكندي بها، فمالت على إبراهيم وقالت تنفث سمها:

- يبدو أن ليالي حققت ما كانت تصبو إليه ولفتت انتباه رجل الأعمال الكندي لها، فمنذ الاجتماع الذي عقدت فيه أنت الصفقة معه وهي لا تنفك تتحدث عنه وأخبرتني أنها تجاهلته عن عمد لكي يهتم بها أكثر، تلك الفتاة ذكية بحق، تعرف كيف تدبر أمورها!

ثم انطلقت تضحك ضحكة خبيثة ماكرة؛قطب إبراهيم حاجباه وتساءل أحقًا هذا هو بالفعل! لاحظ اهتمام الرجل بها، ولكنه لم يلحَظ عليها هي أي اهتمام به؛ نظر صوب ليالي فوجدها تتحدث معه، اضطربت دقات قلبه لرؤيتها تتحدث معه. ما إن انتهى الجميع من تناول الطعام حتى ساقتهم ليالي إلى الحديقة المطلة على الشاطئ ليتناولوا هناك القهوة، وبينما كانت ليالي تقف مع هيثم ووالده جاءت إحدى النادلات بالقهوة، كانت متوترة للغاية ويبدو عليها الخوف، كادت أن تتعثر واصطدمت بجاسمين التي صاحت بها بغضب قائلة:

- أيتها البلهاء، ألا تملكين عينًا لتنظري أين تذهبين!

تلعثمت الفتاة وتحجرت الدموع في عينيها، أسرعت ليالي إليها وأخذت منها الأقداح وقالت لها بابتسامة:

- هيا عودي أنتِ إلى الداخل، سأقدمه أنا بدلًا عنكِ.

شكرتها الفتاة ورحلت على عَجل، ثم التفتت إلى جاسمين وقالت معاتبة:

- لم يكن الأمر يستحق أن توبخيها هكذا أمام الجميع.

نظرت لها بغرور وقالت:

- كادت أن تسقط القهوة على ردائي وتقولين لا يستحق!

هزت ليالي رأسها بيأس ثم ناولتها فنجان القهوة وقالت:

- حسنًا يا جاسمين لقد مر الأمر على خير، تفضلي فنجانك.

أخذت جاسمين الفنجان، وما إن التفتت ليالي لتعطي هيثم ووالده قهوتهما حتى قالت بسخرية:

- لم أكن أعلم أنكِ تشتاقين لعملكِ كنادلة بمطعم إلى تلك الدرجة، يبدو أنه مهما ارتقى المرء لن يتغير أصله أبدًا.

ظهر الاشمئزاز على والد هيثم كثيرًا وعلى الكثيرين من المحيطين بها، وقال والد هيثم بصرامة:

- العمل شيء لا يعيب أحد يا ابنتي، بل العيب أن نعتمد على أموال آبائنا ونتصرف بغرور مع من هم أفضل منا، فهم ينتجون ونحن نستهلك فقط.

شعرت ليالي بالامتنان لوالد هيثم الذي غمز لها بمرح؛ نظرت له بامتنان وتذكرت مقولة الابن سر أبيه، وزعت فناجين القهوة على المدعوين ثم توجهت إلى الشاطئ؛ كانت جاسمين تراقبها، وما إن رأتها تبتعد حتى أشارت لعمر الذي فهم مقصدها وتحرك على الفور ليستغلا الفرصة التي سنحت لهما بدون مجهود. جلست على إحدى الصخور، أخرجت تنهيدة وهي تنظر إلى البحر، كانت تشعر بالغبطة لأن الحفل يمر على خير إلى الآن، وأخذت تدعو الله أن يظل كذلك

إلى أن ينتهي؛ سمعت صوت خشخشة آتية من خلفها فاستدارت لتجد ذلك الكندي يقترب منها وعلى وجهه ابتسامة غامضة.

ما إن شاهدت جاسمين ليالي تبتعد حتى بدأت هي وعمر في نسج شباكهما مستغلين تلك الفرصة الذهبية للبدء في خطتهما الشيطانية. توجه عمر إلى رجل الأعمال الكندي وهمس في أذنه بكلمات رفع رأسه على آثارها تجاه ليالي فابتسم بظفر وهز رأسه لعمر الذي حياه وابتعد ، كانت جاسمين قد تحركت من مكانها لتستقر بآخر وهي تتابع ما يحدث من بعيد ، وما إن شاهدته يذهب خلف ليالي حتى قالت وكأنها تحدث نفسها :

- يا لك من فتاة يا ليالي! ها هو الرجل يسقط في شباكك ويتبعك كما خططت.

ثم ذهبت إلى أبيها وهي تغمز لعمر الذي ابتسم ابتسامة صفراء ، كانت تعلم أن إبراهيم وفريد يجلسان خلفها تمامًا ؛ نظر الاثنان نحو ليالي التي لم تكن تعلم ما يدور حولها. جلست على إحدى الصخور ثم شعرت بشيء ما خلفها ، فاستدارت لتجد رجل الأعمال الكندي يلحق بها وعلى وجهه ابتسامة ماكرة ، وقفت سريعًا وهي تشعر بالارتباك والخوف وقالت متسائلة :

- هل هناك شيء؟

أجابها وهو ينظر لها بطريقة لم تعجبها :

- بالتأكيد هناك أشياء يا آنسة ليالي.

اقترب منها للغاية ، فبعدت عنه للخلف وقالت باضطراب :

- ماذا تقصد لم أفهم؟

قال لها بتهكم وهو يغمز بعينيه :

- لا داعي للتظاهر يا عزيزتي ، فلتعلمي أنني لأول مرة أسعى خلف إحداهن ، وأنتِ نلت هذا الشرف.

شعرت بالغضب وقبل أن تفتح فمها سمعت صوت إبراهيم يقول

من خلفهما:

- ترى أي شرف يتحدث عنه يا ليالي؟

شعرت بغضبه من نبرة صوته فقالت مدافعة عن نفسها:

- لا أدري، لقد وجدته يلحق بي.

أخذ نفسًا عميقًا ثم قال لها وهو ينظر إلى الرجل:

- عودي إلى الحفل. فهي ليست من ذلك النوع من الفتيات.

ابتسم بسخرية وقال له متهكمًا:

- وما قولك في أنها هي من طلبت مني أن أتبعها إلى هنا يا عزيزي إبراهيم!

ثم تحرك عائدًا إلى الحفل، وما إن حاذاه حتى قال له بنبرة غامضة:

- يا عزيزي، النساء يلهثن خلف المال، وأنت خير من يعرف هذا.

ثم ربت على كتفيه وغادر بهدوء، قبض إبراهيم على يديه بقوة حتى كاد يفتت عظام أصابعه، كان وجهه قد تحول إلى بركان غاضب يكاد ينفجر في أي لحظة، وتتالت الذكريات أمام عينيه تباعًا؛ استدار ليلاحق ليالي ببصره من بعيد وقد اكتسى وجهه ببرود قاسٍ وقال:

- ترى يا ليالي هل أسأت الحكم عليكِ أم أنتِ مثلها تمامًا!

بعد رحيل آخر المدعوين جلست على أقرب مقعد وقالت بزفرة ارتياح:

- وأخيرًا، الحمد لله انتهت على خير.

قال فريد بمرح:

- لقد كنتِ نجمة الحفل يا ليالي بامتياز.

قالت بخجل:

- لا نجمة ولا شيء، هذا كله من تقدير الله فقط.

كان إبراهيم يدور في داخله صراع؛ هل ليالي حقًا فتاة لعوب؟

ولكنه لم يرَ منها أي شيء يدل على ذلك، فهي فتاة ذات أخلاق حميدة، ولكن ما حدث الليلة جعله يشكك في ذلك، وأنها تدعي البراءة حتى تصل لصيد ثمين تؤمن به مستقبلًا؛ كان رأسه يكاد ينفجر من كثرة التفكير، لاحظت ليالي شروده فقالت بريبة:

- سيد إبراهيم، ما بك هل حدث شيء؟

حدق بها قبل أن يقول ببطء:

- لا شيء، سأصعد لأنام الآن تصبحان على خير.

نظرت ليالي إلى فريد باستغراب وهي تتابع إبراهيم يغادر ثم قالت متعجبة:

- أستاذ فريد هل حدث شيء؟ لم السيد إبراهيم يبدو مكتئبًا هكذا؟

هز كتفيه بحيرة ثم قال:

- لا أدري حقًا.

ثم أكمل قائلًا:

- عليّ الذهاب أنا أيضًا تصبحين على خير، وأحسنتِ اليوم.

شكرته ثم حيته وغادر على الفور. استيقظت ليالي مبكرًا كعادتها، اغتسلت ثم توجهت إلى غرفة السيدة هويدا، طرقت الباب فسمعت صوتها يقول من الداخل:

- تفضلي يا ليالي.

دخلت فوجدت السيدة تطالعها بابتسامة حنونة:

- صباح الخير، لقد أخبرتني نعيمة بتألقكِ ليلة أمس.

قالت مازحة:

- نعيمة نشرة أخبار متجولة.

ضحكت السيدة هويدا وقالت موافقة:

- أجل صدقتِ والله.

ثم أشارت لها لتجلس بجانبها قائلة:

- تعالي وقصي عليّ كل ما حدث، أريد أن أسمع منكِ.

فتحت ليالي فمها لتتحدث، ولكن نعيمة طرقت الباب ودخلت لتخبر السيدة هويدا بمجيئ الطبيب، نظرت لها ليالي بقلق:

- الطبيب! ولم؟ هل أنتِ مريضة؟

طمأنتها قائلة:

- لا تقلقي يا ابنتي أنا بخير، إنها الزيارة الشهرية، يأتي ليطمئن على حالتي فقط لا غير.

شعرت ليالي بالارتياح وعلا وجهها ابتسامة وردت:

- حمدًا لله، لقد شعرت بالخوف عليكِ.

ربتت على ظهرها وقالت بامتنان:

- شكرًا لكِ على قلقكِ، والآن اذهبي ولنكمل حديثنا فيما بعد.

قالت ليالي باهتمام:

- سأرحل حين يذهب الطبيب، لربما يحتاج لشيء.

اضطربت السيدة هويدا وخشيت أن تعلم ليالي بأنها بخير ولم تكن تحتاج إليها من البداية فقالت بارتباك:

- لا تقلقي نعيمة معي، هيا اذهبي أنتِ، فأنا متأكدة أن لديكِ أعمال كثيرة بانتظارك.

لم ترتح ليالي لحديث السيدة وشعرت أنها تريد منها عدم الحضور لسبب ما، وخشيت أنها تخفي عنها أنها مريضة، ولكنها انصاعت لها وقالت:

- حسنًا كما تشائين.

وخرجت وهي تبحث عن الطبيب، وما إن قابلته حتى قالت له بقلق:

- سيدي أخبرني بحالتها أرجوك، لم استدعتك؟ هل الأمر خطير؟

تعجب الطبيب من قلق ليالي وقال لها مطمئنًا إياها:

- هي لم تستدعني، إنه موعد زيارتي لها الشهرية، ثم إن السيدة هويدا بخير والحمد لله.

شعرت بالاطمئنان وقالت بارتياح:

- حسنًا، حمدًا لله.

ثم استأذنت منه وتوجهت إلى عملها؛ تعجبت حين لم تجد إبراهيم بمكتبه، فتلك هي أول مرة منذ استلمت العمل بالشركة يأتي متأخرًا عن موعده؛ انتابها القلق لذلك، وزاد قلقها بسبب حالته التي كان بها بالأمس. أخذت تدعوا الله أن يكون بخير، وبدأت في عملها، وبعد فترة رأته يدخل إلى المكتب وعلى وجهه الإرهاق؛ ألقى عليها التحية وتوجه إلى مكتبه؛ اجتاحتها موجة من الارتياح لرؤيته معافى، لحقت به، وماإن استقر خلف المكتب حتى وضعت بعض المستندات أمامه وهي تقول مازحة:

- ليس من عادتك أن تتأخر هكذا، المدير قد يخصم من راتبك فلا تعيدها ثانية.

نظر لها ببرود وقال متجاهلًا حديثها:

- خذي، لقد انتهيت من توقيع تلك المستندات، أرسليها إلى المحامي ليوثقها.

كاد يغشى عليها من الإحراج وقالت وهي تدفع عَبراتها:

- ح.... حسنا.

واستدارت على الفور لتغادر؛ شعر بالضيق من نفسه لمعاملته إياها هكذا، فقام من مكانه وهو يستوقفها قائلًا:

- ليالي انتظري.

وقفت مكانها ورفعت يديها لتمسح دمعه تسللت على خدها قبل أن تستدير، وقالت دون أن ترفع عينيها إليه:

- ما الأمر سيد إبراهيم؟

قال لها بحرج:

- لا تغضبي مني، أنا لا أدري ما بي! أشعر بالضيق والغضب، أشعر وكأن على صدري جبل يسحقني ولا أدري ماذا أفعل!

رفعت رأسها إليه وقالت باندفاع:

- ما بك؟ هل أنت بخير؟ أخبرني ما الذي يضايقك.

عضت على شَـفتِها السـفلى بنـدم على اندفاعهـا وتخضب وجهها بحمرة الخجل، تسلل إلى صدره بعض النشوى وشعر بالسعادة لقلقها عليه، تقدم منها خطوة وهو يقول بهدوء:

- وهل ستستمعين لي؟

قالت بصدق:

- بالتأكيد، وهل لديك شك في ذلك!

فافتغر ثغره عن ابتسامة جذابة وهو يقول:

- حسـنًا يا ليالـي، بعد الانتهاء من الدوام سـنعود إلى البيت معًا، وربما قد أقص عليكِ ما بصدري، أقول ربما، موافقة؟

شعرت بالخجل والسعادة في الوقت ذاته وقالت بخفوت:

- حسنًا لك ذلك.

ظل ساكنًا في مكانه بعدما خرجت ثم قال لنفسه بحزم:

- لتنهي تلك المعاناة اليوم يا إبراهيم لكي يرتاح قلبك.

ثم قال هامسًا:

- ودع مـا مضـى لما مضـى ولا تأخذها بذنب هي لـم تقترفه، ولا تحاسبها على فعل غيرها.

بعد حوالي السـاعتين وجدت ليالي أمامها المصمم دييغو بنفسـه؛ قامت من مكانها على الفور ورحبت به قائلة ببشاشة:

- مرحبًا سيدي، أهلًا بك.

قال لها بحرج:

- أعتذر لأنني أتيت بدون ميعاد.

قالت سريعًا:

- لا داعي لذلك، أنت مرحب بك دائمًا؛ لحظه أخبر السيد إبراهيم بمجيئك.

قاطعها بإشارة من يديه وقال باسمًا:

- أنا لست هنا لأجل إبراهيم، أنا جئت لأجلك أنتِ.

رفعت حاجبيها دهشة وقالت:

- ماذا تقصد لم أفهم؟

تنهد ثم قال لها:

- هل يمكننا أن نجلس قليلًا؟

جلست على إحدى المقاعد، واختار هو المقعد المقابل لها؛ أخذ نفسًا عميقًا ثم قال بهدوء:

- منذ يوم الحفل وأنا لا أنفك أفكر بكِ وبموهبتك، أعجبني للغاية عملك؛ لمست فيه شغفك وحبك له، أنا أعلم أنه لم يكن احترافي، ولكن هناك شيء يسمى مشاعر الفنان؛ مشاعرك تظهر من خلال عملك، وأنا لمست الدفء فيه ويحزنني أن تذهب موهبتك تلك سدى، وجئت لأعرض عليكِ شيء وأتمنى ألا تضيعي تلك الفرصة من بين يديكِ.

أجابته متسائلة:

- وما هي؟

تنحنح ثم أكمل قائلًا:

- لا أدري إذا كنتِ تعلمين أم لا، ولكنني رئيس لإحدى الجامعات العالمية، وهي"سيترال سينت مارتينز" وهي تتخصص في الفنون، وأنا أريدك أن تثقلي مهاراتك بها، ستجدين هناك كل ما يجعلك تتقدمين، ستجدين المعلمين المخضرمين والمنافسين الموهوبين أيضًا، وكلما زاد منافسك قوة كلما ازددت أنتِ أيضًا قوة.

حاولت أن ترد ولكنه قال وهو يقف:

- لا داعي لتجيبني الآن، خذي وقتكِ في التفكير ونصيحتي لكِ لا تفرطين بها، ففرصة مثل تلك لا تأتي سوى مرة واحدة بالعمر، وأحيانًا لا تأتي لأحد، لذا فكري جيدًا.

حياها ثم خرج وجلست هي تفكر في حديثه؛ لم تشعر ليالي إلا

وإبراهيم ينادي عليها قائلًا:

- ليالي أين عقلك! أنادى عليكِ منذ فترة.

تنبهت على صوته وقالت:

- سيد إبراهيم عذرًا لم أنتبه على مرور الوقت.

أجابها قائلًا بابتسامة ودودة:

- يبدو أن هناك ما يشغل فكرك يا عزيزتي.

ردت قائلة:

- أنت على حق تمامًا.

قال:

- تفكرين بشيء حزين أم سعيد؟

أجابته وهي تلملم حاجياتها:

- الحياة هي خليط منهما، قلما تجد واحد منهم فقط بحياتك.

هز رأسه موافقًا وقال:

- معكِ حق، والأن اذهبي أنتِ وانتظريني عند السيارة دقائق وسألحق بكِ.

توقف بها المصعد في الطابق الأرضي وتوجهت إلى حيث سيارة إبراهيم فلم تجد فريد هناك فوقفت بجوار السيارة تنتظرهما، وبعد برهة إذا بسيارة تقف بجوارها وقائدها يصيح بدهشة:

- آنسة ليالي! لم تقفين هكذا؟

أجابت وقد تملكتها الدهشة هي الأخرى:

- أستاذ هيثم! كيف حالك؟ أنا أنتظر السيد إبراهيم.

نزل من سيارته وقال بريبة:

- ولم هل هناك شيء؟

تلعثمت فلا أحد يعلم بأنهما يسكنان بنفس البيت، فقالت بارتباك:

- ل.. لا شيء، سنجتمع لأجل العمل، والسيد فريد سيكون هناك أيضًا.

وقف أمامها ونظر في عينيها مباشرة وهو يقول بجدية:

- ليالي هل تخفين شيئًا عني؟

هزت رأسها بالنفي وقالت مازحة:

- ولم سأخفى شيئًا؟توقف عن تقمص دور كونان.

لم يقتنع بحديثها ولكنه قال باستسلام:

- لا أقصد، ولكن انتابني هذا الشعور فأخبرتك به.

وقال مغيرًا مجرى الحديث:

- حفل الزفاف نهاية الشهر الجاري لا تنسي، ولا داعي لأن تجلبي معكِ شيء، فأنا أقصد أختي يكفيها حضورك يا ليالي.

كانت أول مرة ينطق اسمها مجردًا هكذا فشعرت بالخجل، ولم يسمع أيًا منهما صوت المصعد وهو يفتح ويخرج منه إبراهيم الذي قطب حاجبيه بغضب لرؤيتهما معًا، وسمع هيثم يقول:

- لم تجيبيني موافقة أم لا! ولتعلمي إنني سأكون أسعد لو وافقتي يا ليالي.

كانت الدماء تفور في عروق إبراهيم وأخذ يتساءل ما الذي يقصده هيثم؟ ولم وجهها مخضب بالاحمرار هكذا ويبدو عليها الخجل؟ لم يتمكن من الوقوف صامتًا أكثر من هذا، لذا قال وهو مقبل عليها بخطوات يكاد يثقب بها الأرض:

- أستاذ هيثم خيرًا! هل هناك شيء؟

استدار الاثنان بحدة إليه وقال هيثم:

- أستاذ إبراهيم مرحبًا، لقد أتيت لأخذ بعض الأوراق كنت قد نسيتها في اجتماع اليوم.

أومأ إبراهيم برأسه متفهمًا ثم نظر إلى ليالي بحدة وقال:

- هيا بنا.

نظرت له بدهشة وقالت:

- والسيد فريد ألن يأتي؟

نظر لها بغيظ وقال:

- فريد جاءته مكالمة مهمة ولن يأتي معنا، والآن هلا تكرمتِ وصعدتِ إلى السيارة، وتوقفتِ عن تلك الأسئلة المستفزة؟

أحست بالغضب من طريقته في الحديث فأغلقت الباب بعنف وهي تقول بانزعاج:

- إذن لا داعي لأن تتحمل واحدة مثلي مستفزة، يمكنك أن تعود وحدك، سأعود أنا بسيارة أجرة.

ثم التفت إلى هيثم وقال بأدب غاضب:

- وداعًا أستاذ هيثم.

وقف هيثم أمامها وقال معترضًا:

- إلى أين ستذهبين؟ هيا اصعدي سأوصلك أنا إلى وجهتك، لن أتركِك ترحلين مع شخص غريب.

قالت له شاكرة:

- لا داعي لذلك، شكرًا لك.

فتح لها الباب وهو يقول بحسم:

- لا مجال للنقاش يا ليالي هيا اصعدي.

ترددت قليلًا ثم استسلمت بالأخير، وما إن همت لتضع قدميها في السيارة إلا وشعرت بيد تجذبها للخلف؛ أطلقت صرخة فزعة لتجد أنه إبراهيم والذي أغلق باب سيارة هيثم بعنف وهو يقول لها:

- لن تركبي مع أحد سواي.

وفتح باب سيارته وهو يقول لها بانفعال:

- اصعدي إلى السيارة الآن.

شعرت بالصدمة لتصرفه هذا وصاحت به محتدة وهي تحاول نزع يديها منه:

- ما هذا الجنون! لن أركب معك واترك يدي حالًا.

وقبل أن يجيب تدخل هيثم وقال محاولًا السيطرة على أعصابه والبقاء هادئًا:

- سيد إبراهيم، كما ترى ليالي لا تريد الرحيل معك، لذا فلتتركها لا داعي لتصرفك هذا أبدًا.

شعر إبراهيم بالغضب يشتد بداخله حين نطق هيثم اسمها هكذا أمامه، فصاح به محذرًا:

- اركب سيارتك وارحل من هنا.

اكفهر وجه هيثم وقال غاضبًا:

- ما هذا الذي تقوله سيد إبراهيم؟الآن أنا أتحدث معك بهدوء، فلا داعي لتجعلني أتصرف بطريقة لن ترضينا نحن الاثنين.

ضاقت حدقتا إبراهيم وبرقت عينيه غضبًا بطريقة خلعت قلب ليالي وسمعته يقول ببطء:

- هل تهددني يا فتى؟!

شعرت ليالي باحتدام الموقف واشتعاله، ورأت أن كلًا منهما متحفز للإطاحة بالآخر، ولأنها متيقنة بأن هيثم لا فرصة له أمام إبراهيم صاحت بهيثم قائلة محاولة تهدئة الموقف:

- هيثم، ارحل أنت الآن.

صاح بها بحنق:

- لن أذهب يا ليالي وأتركك معه.

ترجته قائلة:

- هيثم أرجوك، قلت لك لا تقلق، اذهب أنت لن يحدث لي شيء اطمئن.

قلب بصره بينهما ثم زفر بامتعاض قائلًا:

- اتصلي بي حين تصلين إلى البيت.

ثم ألقى نظرة ساخطة على إبراهيم الذي دفع ليالي إلى السيارة

وأغلـق البـاب خلفهـا ثم يعود إلى مقعـده خلف المقود ويدير السـيارة وينطلـق على الفور وهيثـم يتبعهم بنظره في سـخط. بعد دقائق كان ذهن ليالي مشوش وهي تلهث من فرط الانفعال، وما إن انقشع ضباب الصدمة مما حدث قبل قليل من مخيلتها صاحت به:

- أوقف السيارة الآن.

لـم يجـب عليهـا وظـل يمضي فـي طريقـه، ففتحت باب السـيارة وصرخت فيه:

- أوقفها وإلا أقسم أن ألقي بنفسي منها!

وقف على مضض، فنزلت من السيارة وأغلقت بابها بقوة، فأصدر صوتًا مدويًا ورحلت بعيدة عنه؛ نزل من سيارته وصاح بها:

- إلى سـتذهبين؟ نحـن الآن في الصحراء أيتهـا الحمقاء وقد حل المساء، ولن تجدى هنا أحد ليقلك سوى عبثاء الطريق، هيا اصعدي ولا تكوني عنيدة.

صرخت فيه وهي تالي من الغضب:

- إذن هذا تحذير لي لكي لا أركب معك، فلا أراك مختلفًا عن عبثاء الطريق الذين تقصدهم أنت بكلماتك.

قال لها بذهول:

- أنا!

ثم قال متهكمًا:

- ولم كل هذا؟ أبسبب أنني لم أتركِ ترحلين مع حبيبك!

ضربت على فخذيها بتعجب وقالت:

- أنت لابد وأن تكون مجنون، أنت لست طبيعيًا أبدًا.

ضرب على مقدمة السيارة بيديه بقوة وهو يصرخ بها:

- مجنون! هذه كلمة بسيطة أمام ما أشعر به أنا الآن بسببك.

صاحت مستنكرة:

- بسببي أنا!

قال بنفس الحدة:

- أجل، كلما رأيتكِ أجدكِ محاطة بالرجال هنا وهناك.

صعقت لحديثه وقالت بانفعال:

- رجال! أنت أسوأ شخص قابلته في حياتي، لن أدافع عن نفسي لشخص ذا تفكير متدني مثلك، فما أفعله لا يخصك.

اقترب منها وأمسكها من ساعديها وصاح بها:

- بل كل ما تفعلينه يخصني، أنتِ ملك لي ولن أسمح لكِ بفعل أي شيء لا يعجبني.

قالت له وقد وصلت إلى أعلى مراتب الدهشة والاستغراب:

- ملكك! هل فقدت صوابك! أنا أفعل ما أريد، من أنت لتملي عليّ ما أفعل؟ هه، أخبرني من أنت لتتدخل بحياتي هكذا!

صرخ بها قائلًا وقد تملكه الغضب لأقصى حدوده وصاح بدون تفكير:

- أنا من يحبك ويغار عليكِ، ولن أسمح لكِ بأن تكوني لشخص غيري.

أسقط في يديها وأخّذ قلبها يخفق بعنف وشعرت بالحرارة تغزو خديها وأخذ صدرها يعلو ويهبط وهي تتحاشى النظر في عينيه بذهول، وأكمل هو وقد قلت حدته:

- أجل أيتها البلهاء أحبك، أيًا من أفعالي لم تفهمكِ هذا! رؤيتك تتحدثين مع هيثم هذا كانت كالفتيل الذي أشعل ناري، خجلك أمامه واحمرار خديكِ وانتظاره لردك بالموافقة على شيء لا يصعب استنتاجه جعلني أشعر أنكِ ستضعين من بين يدي، وهذا جعل عقلي يذهب وأفعل ما فعلت، أفهمتِ الآن؟

ترك يديها ثم خلل شعره بأنامله وهو يقول واللوعة تظهر في نبراته:

- لا أدري متى أو كيف ولماذا! كل ما أعرفه هو أنني أحببتك وأصبحتِ جزءًا لا يتجزأ من حياتي يا ليالي، ولن أتحمل رؤيتك مع رجل آخر غيري.

كانت للآن لم تنطق بكلمة واحدة، فلقد ذهلت من حديثه الذي أخذ يتدفق كالسيل ولا يستطيع أحد إيقافه، ولكنه صاح بها بترجي قائلًا:

- لا تصمتي هكذا قولي شيئًا، صمتك هذا يحيرني.

حاولت السيطرة على مشاعرها المضطربة ثم أخيرًا خرجت الكلمات من بين شفتيها وقالت بخفوت:

- أريد العودة للبيت هيا بنا.

سقط قلبه بين جنباته وقال لها بقلق:

- لن نرحل حتى تعطيني ردك يا ليالي، ولن أقبل بالرفض أفهمتِ؟

فتحت الباب وهي تقول له:

- عليك أن تعتاد على طباعنا وعادتنا نحن المصريين سيد إبراهيم.

ثم أكملت بخجل ماكر:

- ردي ستحصل عليه حين تأتي لتتقدم وتخطبني من أخي.

ابتسم ثم صعد إلى سيارته ليقودها بهدوء وقد اطمئن قلبه، وهنا رن هاتف ليالي؛ سألها من المتصل فابتسمت بخبث وقالت له:

- هيثم، لابد وأنه قلق عل...

أخذ منها الهاتف وفتحه ليجيب على هيثم ببرود قائلًا:

- خير يا أستاذ هيثم، هل تريد شيئًا؟

كتمت ليالي ضحكة وهي تراه يقول بغيظ:

- تريد الاطمئنان عليها! حسنًا أنا اطمئنك هي بخير.

ثم أكمل ساخرًا:

- مع خطيبها، إذن لا داعي لأن تقلق عليها، وداعًا.

أغلق الهاتف وألقاه إليها بلا مبالاة ولكنها قالت بغضب:

- كيف تقول له ذلك؟ نحن لم نخطب بعد.

قال لها بمكر:

- حسنًا طالما هناك قبول فلا داعي للتأخير عزيزتي.

ثـم أخرج هاتفه ليتصل بشـخص مـا ، ولكنه وجـد فريد يتصل، أجابه قائلًا بمرح:

- اتصلت في وقتك يا صديقي.

عبس وهو يستمع إلى فريد ثم قال:

- وهل علمت من الفاعل؟

استمع إلى فريد ثانية ثم قال بتفكير:

- حسنًا غدًا عندما نلتقي سنرى ماذا سنفعل، وداعًا.

سألته ليالي بقلق:

- ما الأمر هل حدث شيء؟

قال لها بابتسامة:

- مشاغل العمل كما تعلمين.

ثم أخرج هاتفه وأرسـل رسـالة نصية ثم انتظر الرد، وما أن أتاه حتى وضع الهاتف وأكمل طريقه والابتسامة تعلو شفتيه والارتياح يجتاح قلبه؛ رأت ليالي إبراهيم يتجاوز الطريق المؤدي إلى منزله فقالت منبها إياه:

- سيد إبراهيم، لقد فوتت الطريق انتبه.

قال لها بهدوء:

- أعلم، ولكنني متوجه إلى بيتكِ أنتِ.

صاحت بدهشة:

- بيتي أنا!

مال عليها برأسه وهو يقول بمكر:

- لكي تصبحين خطيبتي رسميًا.

شعرت بالسعادة وأحست وكأنها بحلم جميل لا تريد أن تستيقظ منه. أخرجت هاتفها لتتصل بأخيها لتخبره بقدوم إبراهيم فقال أخيها ضاحكًا:

- كنت أعلم أن هذا سـيحدث بعد واقعة الشـاطئ، ولكنه يبدو مجنونًـا أكثـر منـكِ ليأتي ليتقـدم لفتاة في الحادية عشـرة مسـاءً،

وهكذا بدون مقدماتَ!

قالت له بارتباك:

- توقف عن الحديث هيا وانزل لكي تستقبله أنت، فأنت تعلم أن والدك ووالدتك....

صمتت ففهم ما ترمى إليه فقال لها بحنان:

- أنا معكِ دائمًا ياليالي، وثقي تمامًا أن كل ما تتمنينه أقسم على أن أحققه لكِ، فأنتِ نور عيني.

دمعت عينيها وقالت بتأثر:

- أعلم يا زياد، ليبارك الله لي في عمرك يا أخي، فأنت سندي في هذا العالم.

لاحظ إبراهيم تأثرها ولكنه لم يشعرها بذلك؛اقترب من منزلها ووجدت زياد ينتظرها عند باب البيت، وما أن رآه إبراهيم حتى ابتسم برضى وعلم أنه هو من كان يحتضن ليالي على الشاطئ في صباح ذلك اليوم؛ ترجلت من السيارة وارتمت في أحضان أخيها الذي عانقها بحنان وقال:

- مبارك لكِ يا ليالي، فأنتِ تستحقين هذا وأكثر.

ثم صافح إبراهيم بود وهو يشير له قائلًا:

- تفضل، أبي في انتظارك.

تعلقت عينيها بأخيها فأشار لها أن اطمئني. صعد إبراهيم خلف زياد الذي اصطحبه إلى شقته وأدخل أخته إلى الداخل وجلس هو معه ووالده، وجدت ليالي عائشة في انتظارها التي استقبلتها بالأحضان وقالت بسعادة:

- مبارك يا ليالي، أنتِ فتاة طيبة، كنت أعلم أن الله سيعوضك خيرًا.

وهنا سمعت ليالي صوت والدة زياد تقول بحنق:

- هو خير فقط! انظري إلى هيئته، يبدو عليه الغنى الفاحش، اللهم لا اعتراض ولكن ألم تكن واحدة من بناتي أحق بذلك!

صعقت عائشة من حديث والدة زوجها ونظرت إلى ليالي بخوف، فلابد وأن تلك الكلمات ستؤثر فيها ولكنها وجدتها تبتسم لها وكأنها تقول لا تشغلي عقلكِ فأنا أعرفها جيدًا؛ ربتت عائشة على كتف ليالي بمحبة ثم تابعتا الحديث الذي يدور بين الرجال، وأثبت إبراهيم أنه يريد ليالي بحق، وأنه لا يريد منهم شيء سواها، وهنا أعلن الوالد موافقته وقال:

- مبارك عليكم يا ولدي، غدًا إن شاء الله تجلب والدتك ونحدد موعد الخطوبة.

فقال له إبراهيم بهدوء:

- ولم غدًا؟ لم ليس اليوم؟

فقال الوالد متعجبًا:

- كيف! ماذا تقصد يا ولدي؟

فأتاه صوت امرأة تقول بوقار:

- يقصد أن خير البر عاجله يا سيد عبد الرحمن.

فوجئت ليالي بالسيدة هويدا تدخل إلى المكان ومعها نعيمة وعبد الجليل يحملان علبة كثيرة من الحلويات ويضعاها على الطاولة، وتطلق نعيمة الزغاريد بفرحة وسعادة، وسمعت ليالي السيدة هويدا تقول بسرور:

- والآن فلتجلبوا العروس لتلبس شبكتها.

وأخرجت من حقيبتها علبة مجوهرات قطيفة وتضعها أمامها على الطاولة؛ قام زياد فرحًا ودخل إلى إخوته وهو يقول بغبطة:

- يبدو أن والدته أشد جنانًا منه يا عزيزتي! هيا تعالي.

ونظر إلى أمه وأكمل قائلًا:

- تعالي أنتِ أيضًا معها يا أمي.

زوت أمه شفتيها على جانب بتهكم وقالت:

- من يراك يظن أن واحدة من أختيك هي من ستتزوج!

قطب حاجبيه بغضب وهم ليرد على والدته، ولكن ليالي أمسكته من ساعده فنظر لها فوجدها تنظر له بابتسامة حنونة، فهز رأسه بتأسي واحتضن كفها التي تأبطت به ساعده، وخرج بها إلى الصالة لتستقبلها نعيمة بالزغاريد ثانية، ووقفت السيدة هويدا تحتضنها بسعادة غامرة وهو تقول:

- مبارك يا ابنتي، لا تعلمين كم كنت أحلم بذلك اليوم! وأحمد اللّه على أنه قد جاء أخيرًا.

جلست بجوار والدها الذي اكتفى بابتسامة مقتضبة، فتحت السيدة هويدا علبة المجوهرات، وما إن فتحتها حتى سمعوا جميعًا شهقات الأم من الداخل، هز زياد رأسه وهو يبتسم بحرج؛ كانت ليالي تشعر بالدهشة، فالعلبة كانت تحتوي على طقم ألماسي رائع، يحتوي على عقد وقرط وأسورة؛ كان منظره بديعًا، ألبستها السيدة هويدا شبكتها وإبراهيم يتابع ما يحدث بحب وهيام، وما إن ألبستها الأسورة حتى قالت لها وهي تخرج علبة مخملية من حقيبتها:

- وهذا هو هديتي لكِ يا ابنتي.

نظر إبراهيم بدهشة إلى والدته التي فهمت نظراته وقالت:

- هذا إرث ورثته من أمي، أعطيت ابنتي شذى واحد وأنتِ لكِ الآخر.

نظرت ليالي إلى ذلك الخاتم البديع، ثم رفعت بصرها إلى السيدة هويدا وقالت والدموع تتجمع في عينيها:

- شكرًا لكِ يا سيدتي.

صاحت بها مستنكرة:

- أمي يا فتاة أمي، أفهمتِ؟

أومأت برأسها فرحًا ثم احتضنتها وهي تشعر بأن قلبها سيتوقف من السعادة؛ بعد دقائق وقف إبراهيم وقال:

- علينا أن نرحل الآن، لقد تأخر الوقت كثيرًا، أعتذر عن هذا.

صافحه زياد بابتسامة وقال مازحًا:

- لا تقلق فأنا أعذرك، فليالي فتاة لا تعوض.

ثم غمز له بعينيه، فضحك إبراهيم وقال موافقًا:

- صدقت يا زياد.

رحل إبراهيم ووالدته، وطلبت ليالي أن تبيت الليلة مع أهلها، فوافقت السيدة هويدا على ذلك؛ بعد رحيلهم التفت الوالدة وابنتيها بحقد إلى ليالي وقالت إحدى الفتاتان بغل:

- لا أدري ما الذي يراه بكِ!

وصاحت الأخرى باشمئزاز:

- ملابسك بشعة وذوقك سيئ وعباءتك تحتاج لثلاثة يرتدينها معكِ، لا تعرفين الموضة ولا تحسنين أي شيء فيها.

فقالت عائشة تخرسهم:

- وهذا ما أعجبه بها، فتاة محترمة خلوقة، لم تتأثر بالمظاهر الخداعة وتتلوث بما يسمونه الموضة، أفهمتم يا عزيزاتي لم هي فقط؟

وقبل أن ترد الفتاة قال زياد بحسم:

- هيا فلتنزلوا ليرتاح الجميع، الوقت أصبح متأخرًا.

همت ليالي لتنزل ولكن زياد استوقفها وقال:

- فلتبيتي معنا الليلة يا ليالي.

ثم مال عليها وقال هامسًا:

- أمامنا سهرة طويلة، ستقصين عليّ فيها كل شيء لكي أفهم لم هذا المجنون جاء ليطلب فتاة في منتصف الليل، بل ويلبسها الشبكة أيضًا.

ضحكت ليالي بخجل وقالت:

- حسنًا يا زياد سأروي لك كل شيء.

❖ ❖ ❖

الفصل الحادي عشر

«وسقطت في المصيدة»

ماذا! أعد ثانيًا ما قلت.

صاح إبراهيم بدهشة ولم يستوعب ما قاله فريد الذي قال باستياء:

- كما أخبرتك، وجدت زاهر يتصل بي ويخبرني أنه تلقى طرد موجود فيه صور للاتفاقية التي وقعت أنت عليها مؤخرًا مع رسالة محتواها سطر واحد يقول (سأتصل بك غدًا لتحديد موعد للمقابلة).

قال زاهر والذي كان يتابع حديث فريد، وقال يشرح وجهة نظره:

- أعتقد يا إبراهيم أن من فعلها لا يعرف أننا أصدقاء طفولة وهذا يعني شيء واحد، أنه شخص جديد في الشركة، ومن هنا عليك أن تحصي عدد الموظفين الجدد الذين يمكنهم أن يدخلوا إلى مكتبك بحرية دون أن يشك بهم أحد.

هز إبراهيم رأسه بالنفي قائلًا:

- لم أوظف سوى اثنتان، واحدة فوق مستوى الشبهات والأخرى يكون والدها شريك بالشركة، أي أنها ستضر نفسها لو فعلت ذلك.

ثم أكمل بتفكير:

- لا تقلقا الإيقاع به سيكون سهلًا، ننتظر الاتصال والذي من المفترض أن يكون اليوم ونحدد الموعد، وهناك نقبض عليه.

وفجأة قال فريد:

- كاميرات المراقبة أيضًا ستخبرنا من هذا الخائن بيننا.

قال إبراهيم موافقًا:

- حسنًا هذه المهمة لك يا فريد، هي ستكون متعبة للغاية

ولكنني أعتمد عليك بها.

ربت فريد على كتف إبراهيم، ثم صافح زاهر وخرج على الفور ليبدأ مهمته الصعبة، وهنا وقف زاهر وهو يقول بأسى:

- يؤسفني ما حدث يا إبراهيم، ولكن فلنحمد الله أنها جاءت لي أنا ولم ترسل لأحد آخر، وإلا كان ضاع كل تعبك سدى.

احتضنه إبراهيم وقال باسمًا:

- شكرًا لك زاهر، أنت نعم الصديق.

لكزه في كتفيه برفق وهو يقول بتأثر:

- نحن أصدقاء منذ أكثر من خمس وعشرون عامًا يا إبراهيم، فكيف تشكرني يا رجل!

نظر له إبراهيم بامتنان وتابعه وهو يغادر، وما إن فتح زاهر الباب حتى قال له وهو يشير إلى خاتم الخطبة:

- مبارك لك على خطبتك.

ثم أكمل معاتبًا:

- مع أنى أشعر بالحزن لعدم دعوتك لي.

قال له إبراهيم مفسرًا:

- لم أقم بدعوة أحد، لقد تقدمت لها البارحة وخطبتها.

رفع زاهر حاجبيه بدهشة ثم قال متهكمًا:

- مازلت مجنونًا كعادتك يا صديقي، سأرحل أنا الآن وبعد مرور تلك الأزمة ستحكى لي كل شيء بالتفصيل الممل.

أومأ له برأسه موافقًا، خرج زاهر وأغلق الباب خلفه؛ لم تمر دقائق حتى سمع صوت طرقات على الباب وشاهد ليالي تدخل، أشرق وجهه ما إن رآها فابتسم لها مما زاد من خجلها؛ وضعت أمامه بريد اليوم وهي تقول بصوت لا يكاد يسمع:

- تفضل بريد اليوم وبعض الأوراق التي تحتاج إلى توقيعك.

كانت تعجبه نظراتها الخجلة تلك واحمرار خديها عند خجلها أو

غضبها ، هذا هو أول ما جذبه لها ، تنهد ثم تناول منها الأوراق وهو يقول بمكر:

- ترى هل استطعتِ النوم بالأمس يا عزيزتي أم تراكِ طار النوم من عينيكِ غير مصدقة!

أغضبها قليلًا تلميحاته وكأنها هي من كانت تتطلع لتلك الخطبة وحدها ، فرفعت حاجبيها بكبرياء وهي تقول:

- بل نمت ملء جفوني لأن أحدهم سيتوقف عن إزعاجي بغيرته لأنه ضمن أنني أصبحت ملك له!

نظر لها ثم وقف وادر حول مكتبه ليقف أمامها وهو يقول:

- وما أدراكِ أنه كان يغار! ربما كان يلاحظ نظراتك التي كنتِ تختلسينها من آن لآخر ، لذا أشفق عليكِ وتقدم لكِ.

هزت رأسها بتهكم وعقدت ساعديها أمام صدرها وقالت ساخرة:

- إذا سأحله من شفقته تلك وأجيب على هيثم أنني موافقة على طلبه ، وهكذا يحل كل شيء.

اختفت الابتسامة من على وجهه وحل مكانها الغضب وقال من بين أسنانه:

- اسمعيني جيدًا ، هذا الفتى لن تتحدثي معه ثانية , هل فهمتِ!

كتمت ضحكة كادت تخرج ثم قالت له:

- حسنًا فهمت، ولكنني مجبرة على إجابة الفتى.

رأت عينيه ترسلان حممًا فقالت متداركة وهي تغالب ضحكاتها :

- حفل زفاف أخته قد اقترب وهو طلب مني الحضور وألا أجلب معي هدية ، هذا كل ما في الأمر سيد إبراهيم!

ثم خرجت سريعًا تاركة إياه في ذهوله ، وما إن أغلقت الباب خلفها حتى جلس على أقرب مقعد ثم انفجر ضاحكًا وهو يقول لنفسه:

- كشفت أمرك لأجل هدية يا إبراهيم.

كانت ليالي تتطلع بسعادة إلى خاتمها وهي لا تصدق أنها أصبحت خطيبة لإبراهيم؛ كان الأمر أشبه بحلم بالنسبة لها، وبينما هي سارحة بخيالها رن جرس هاتفها النقال، فأسرعت لتجيب فأتاها صوت السيد دييغو يقول:

- مرحبًا يا آنسة ليالي، ترى هل يمكنني رؤيتك غدًا.

قالت له متعجبة:

- هل هناك شيء؟

أجابها مطمئنًا:

- لا لا، فقط أريد الحديث معكِ قليلًا بخصوص ما عرضته عليك لأنني سأغادر في مساء الغد.

حاولت الاعتذار في الهاتف لكنه أصر على رؤيتها وجهًا لوجه، فقالت له وقد أسقط في يديها:

- حسنًا سأراك غدًا في الفندق الذي تقيم فيه. أجل أتذكره، فندق اللؤلؤة. سأكون عندك في تمام الخامسة، وداعًا.

وضعت الهاتف وهي تفكر في كلماتها التي سترفض بها عرضه بدون أن تسبب له الحرج، فهي الآن لا حاجة لها لشيء من هذا العالم طالما إبراهيم سيكون معها، وهذا يكفيها تمامًا.

خرج نبيل من المصعد وتوجه إلى مكتب إبراهيم ليقدم له تقرير عن العمل الذي وكله به، وما إن هم ليدخل حتى سمع صوت ليالي تقول:

- حسنًا سأراك غدًا في الفندق الذي تقيم فيه. أجل أتذكره، فندق اللؤلؤة. سأكون عندك في تمام الخامسة، وداعًا.

اتسعت عيناه ثم ظهرت ابتسامة صفراء على شفتيه وهو يحدث نفسه قائلًا:

- يا لها من صدفة يا ليالي.

دخل نبيل كالإعصار في غرفة جاسمين التي صاحت به بغضب:

- أين تظن نفسك؟ هذا مكتبي وليس غرفة بيتكم يا هذا!

أمسكها من يديها ووجهه يكاد ينبثق منه الدم فرحًا:

- لن تصدقي ما حدث، أقسم إنكِ لن تتخيلنه ولا حتى في أحلامك.

قالت بضيق:

- إذا كنت تقصد المجلة التي نشرت الحفل وأفردت جزء كبير لتلك الساقطة ورأي المدعوين عنها فلقد أتيت متأخرًا، فهذا حديث الشركة بأكملها.

قال لها بلهفة:

- لا لا، بل شيء آخر أهم بكثير!

قالت متعجبة وقد هدأت حدتها وزاد فضولها:

- ما الأمر؟ أسرع وأخبرني، من وجهك يبدو أنها أخبار سعيدة.

قال لها بخبث:

- أتعلمي من ستقابل ليالي غدًا؟

قالت بضجر:

- وما يهمني منها تلك السافلة؟

قال لها ببغض:

- ولكن هذا سيهمك، ستقابل شخصًا من نزلاء فندقكم اللؤلؤة يا عزيزتي.

فتحت فمها مذهولة وقالت بفرح:

- تقصد أنها تقابل رجل الأعمال الكندي! إنه نزيل بفندقنا.

هز رأسه بالإيجاب وقال:

- أجل سمعتها وهي تحدد موعد معه، ومن طريقة حديثها يبدو أنها اعتادت على الذهاب له هناك.

ضربت جاسمين سطح مكتبها براحة يديها وهي تقول بانتصار:

- وأخيرًا يا ليالي ستظهرين على حقيقتك، كنت أعلم أنكِ لست بتلك الفتاة الطاهرة كما تدعين، وها هو القدر يضع أمامي الدليل

الذي سـأفضحكِ به أمام الجميـع، وأولهم ذلك الأحمق إبراهيم الذي فضل واحدة مثلك عليّ أنا.

ثم التفتت إلى نبيل وهي تقول:

- سنستغل تلك الفرصة لصالحنا يا نبيل.

ضاقت حدقتاه وهو يقول متسائلًا:

- ماذا تقصدين؟

قالت بكراهية:

- نضرب عصفورين بحجر واحد، نكمل خطتنا كما هي ولكن نضع عليها تعديل بسيط، بدلًا من أن نسحب ليالي للقاء زاهر فقط، بـل سـنحدد الميعـاد مع زاهـر وفي الوقت نفسـه يكـون في مكان لقاء ليالي بحبيبها الكندي، وهكذا نثبت عليها الجريمة، وسـيظن الجميع أنها حضّرت للقاء بين زاهر والكندي لأجل الاتفاقية.

ابتسم نبيل وقال لها منبهرًا:

- يـا لرأسـك العبقـري! وبذلك إبراهيـم يتأكد أنها هي من سـربت الاتفاقية، وأيضًا يتيقن من وجود علاقة مشينة بينها وبين الكندي.

أجابته بحماس قائلة:

- بالضبـط، والآن هيـا اذهب واتصل بزاهر وأخبره أنك سـتقابله غـدًا فـي فندق اللؤلؤة، ولا تنسـى جهاز تبديل الأصـوات، لا أريد أن نترك أي دليل خلفنا.

أجابها وهو ينهض متفاخرًا:

- لا تقلقي يا عزيزتي، لن أنسى بالتأكيد.

خرج من مكتبها وتركها. جلسـت على مقعدها وأسندت ظهرها للخلف ووضعت ساقًا فوق الأخرى، وقالت بشماتة كريهة:

- لا أكاد أطيق صبرًا لرؤيتك غدًا يا ليالي.

خرج إبراهيم من مكتبه وقال وهو يرتدى بذلته:

- هيا بنا، فأمي وشذى بانتظارك.

قالت معتذرة:

- أمامي عمل لم ينتهِ بعد، اذهب أنت وأنا سآتي خلفك مباشرة.

أخذ الأوراق من يدها ووضعها على المكتب وهو يقول بطريقة لا تقبل النقاش:

- أنا صاحب العمل وأنا آمرك بأن تتركِ ما بيدك وترحلين معي هيا.

تناولت حقيبتها وقالت وهي تلحق به:

- يبدو أن منصب زوجة مدير الشركة له مميزاته يا سيد إبراهيم.

وقف أمامها على نحو مفاجئ فاصطدمت به من الخلف وهمت لتعاتبه، ولكنه التفت لها وقال محذرًا:

- لن تنادى بهذا الاسم ثانيًا أفهمتِ؟

تصنعت الغباء وسألته قائلة:

- ماذا تقصد لم أفهم؟

وصل المصعد فأسرعت تدخله وهي تغالب الضحك؛ ضغطت على زر المصعد، وما إن أغلق الباب حتى ضغط هو على زر الإيقاف والتفت لها قائلًا:

- ليالي، توقفي عن التظاهر بالغباء، فهذا لا يليق بكِ يا فتاة.

قالت:

- سيد إبراهيم أنا لا أفهمك حقًا.

وضع يديه على جانب المصعد خلفها ثم قال ببطء:

- بل تفهمين يا عزيزتي أنا واثق من هذا.

كان قد اقترب بوجهه كثيرا منها، مما جعل ضربات قلبها تتسارع فابتلعت ريقها ثم همست قائلة:

- ح.. حسنًا فهمت، ولكن توقف عن تلك التصرفات فنحن مازلنا أغرابًا عن بعضنا البعض، ولا يجوز مثل تلك الأفعال.

وضع يديه الأخرى وهكذا أصبحت محصورة بين يديه وقال لها

متلذذًا بارتباكها:

- تقصدين هكذا! والآن هيا لنرى هل فهمتِ أم لا! ناديني.

تلعثمت وهي تحاول النطق باسمه:

- سي.... أقصد. يعني... إ إب.

لم تستطع أن تنطق باسمه هكذا مجرد، فهز رأسه قائلًا:

- حسنًا لا تتسرعي، أمامنا الليل بطوله.

اتسعت عينيها وقالت بريبة:

- ماذا تقصد؟ هل تقصد أنك ستحتجزني هنا إلى أن أنطقها!

استند على المصعد ولف ساقًا على الأخرى واكتفى بهز كتفيه، قالت له متعجبة:

- أأنت جدي؟

أومأ لها بالإيجاب، وضعت يديها على فمها لتخفي ابتسامتها وهي تقول:

- أنت حقًا مجنون.

رد مازحًا:

- جيد أنكِ تعلمين مسبقًا، والآن هيا فشذى ستقتلنا لو تأخرنا، فهي من الأساس غاضبة لأنها لم تحضر الخطبة.

نظرت له بتردد، حاولت النطق ولكن الكلمة لم تخرج من شفتيها، أخفت وجهها بيديها ثم أخذت نفسًا عميقًا، أعطته ظهرها ثم قالت هامسة:

- هيا بنا يا.إ..إبراهيم، فشذى كما قلت ستكون غاضبة.

ابتسم برضى ثم ضغط على المصعد ليتحرك؛ كانت تشعر بالحرارة تغزو خديها، ولم تحاول أن تلتفت له أبدًا منذ خرجا من المصعد، كان يتابعها فيصمت وهو يبتسم لرؤيتها خجله هكذا من مجرد نطقها لاسمه مجرد، وقال لنفسه:

- وأخيرًا يا إبراهيم وجدت الملاك الذي كنت تبحث وظننت أنه

لا وجود له في هذا العالم!

ما إن تجاوز باب الشـركة حتى رن هاتفه؛ نظر ليرى من المتصل وإذ هو فريد فناولها سلسلة المفاتيح وقال لها:

- انتظرينني في السيارة سألحق بك على الفور.

أخذت منه المفاتيح وتوجهت إلى السـيارة؛ ثم أجاب إبراهيم قائلًا باهتمام:

- أجل يا فريد ما الجديد؟

قال له بتوتر:

- لقد اتصل بزاهر وطلب منه اللقاء في فندق اللؤلؤة غدًا عصرًا.

تعجب إبراهيم وقال:

- فندق والد جاسمين! الأمر لا يبشر بالخير يا فريد.

أجابه موافقًا:

- أوافقك الرأي يا إبراهيم، ولا أدري لم أشعر أن خلف هذا الأمر شيء أكبر مما يبدو.

توجهت ليالي إلى السـيارة ومـا إن فتحت الباب حتى جاءها صوت من خلفها يقول بهدوء:

- ها قد التقينا من جديد يا آنسة ليالي.

التفتـت لتفاجـأ بذلـك الرجل الذي تحـدث معها حيـن كانت مع سلوى في الكافيتريا فقالت له توتر:

- هل تراقبني يا هذا أم ماذا؟

نظر إلى الجهة المقابلة ثم نظر لها وهو يضع إحدى يديه في جيب بنطاله وقال بنبرة غامضة:

- يمكنكِ قول ذلك.

أغلقت البـاب بعنف وصاحت به:

- إذن هلا توقفت عن هذا، واحذرك خاطبي شـخص عصبي جدًا لن يمررها على خير لو علم بك.

ابتسم بسخرية قائلًا:

- لا تقلقي أعرف كل شيء عنه، والآن لنعود إلى موضوعنا.

فتحت باب السيارة ثانية وهي تقول محاولة أن تنهي الحديث:

- لا يوجد موضوع لنعود إليه، هيا اذهب من هنا.

وضع يديه على الباب ليمنعها من الصعود وهو يقول:

- بل يوجد، عمك هو موضوعنا.

توترت عضلات وجهها للحظة، وقبل أن تجيب سمعت صوت إبراهيم يقول بحدة:

- ما الأمر؟ ماذا يحدث هنا؟ ومن أنت؟

قالت ليالي مسرعة:

- لا شيء، كان يسألني عن مكتب المحامي الذي في البناية المقابلة، شكرني وكان يستعد للرحيل.

قالتها ثم رمقته محذرة؛ابتسم بتهكم ثم وضع نظارته الشمسية على عينيه ومضى في طريقه، التفت إبراهيم إليها وتساءل:

- ما الأمر؟ ومن هذا؟

صعدت إلى السيارة وهي تقول بلامبالاة:

- لا أعرف حقًا من هو، والآن هيا فشذى قد اتصلت بي عدة مرات.

لم يقتنع تمامًا بقولها، ولكنه آثر الصمت وقبل صعودها للسيارة سمعا صوت جاسمين تقول بلمحة سخرية لم تخطئها ليالي:

- يالكما من عصفوري حب.

لم تجيبها ليالي بشي بل التفتت إلى إبراهيم وقالت متجاهلة إياها:

- إبراهيم سأنزل في الطريق فلدي موعد مهم.

ابتسم حين سمعها تنطق اسمه هكذا نكاية في جاسمين فرد عليها قائلا:

- حسنًا يا عزيزتي.

صعـد خلفها للسـارة، لـم يتحدث إبراهيـم طوال الطريـق فعقله كان مشغول بتلك المكالمة التي تلقاها من فريد، وصدم حين علم بمكان اللقاء واستنتج فريد أن تكون جاسمين هي الفاعل، ولكن إبراهيم أخبره أنها ليسـت بذلك الغباء لتجعل اللقاء في فندقهم؛ رمق ليالي من طرف خفي وهو يتمتم:

- ولكن محال لأن تكون ليالي....

ثم كرر مؤكدًا لنفسه:

- محال!

بعد العشـاء جلس الجميع لتناول القهوة في حديقة الفيلا وجلسـوا يتسامرون لساعات، ثم استأذنت شذى في الرحيل فقلد تأخر الوقت، وما إن رحلت حتى ذهب الجميع إلى غرفهم لينامو؛ في الصباح كان فريد ينتظرهم كالعادة بالسـيارة؛ صعدوا ثم انطلقت بهم السـيارة، كان فريد صامتًا لا يتحدث على غير عادته فسألته ليالي بقلق:

- أستاذ فريد هل أنت بخير؟ هل هناك ما يقلقك؟

تعجب من سؤالها وقال:

- أنا بخير، لم هذا السؤال؟

قالت:

- ليس من عادتك أن تكون صامتًا هكذا، فقلت لنفسي لابد أن هناك شيء يقلقك!

ابتسم قائلًا:

- شكرا لكِ على قلقك عليّ، ولكنني حقًا بخير.

هـزت رأسـها متفهمـة وأعادت نظرها إلـى الخارج إلـى أن وصلت السـيارة إلى الشـركة؛خرج إبراهيم من السـيارة ثم التفت إلى فريد وهو يقول:

- سأترك لك لقاء اليوم، وأنتظر منك الأخبار بفارغ الصبر.

أومأ فريد برأسه وقال بجدية:

- يمكنك الاعتماد عليّ لا تقلق.

صعد إبراهيم وليالي إلى مكتبهم، وما إن دخل مكتبه الخاص حتى وجد جاسمين تنتظره هناك، نظر لها غاضبًا وقال:

- من سمح لكِ بالدخول إلى هنا؟

تظاهرت بارتباك وقالت متلعثمة:

- أنا أعتذر لك ولكن صدقني ما أردت قوله كان لم يكن يحتمل التأخير!

تمعن بها متعجبًا فهذه هي أول مرة يراها مرتبكة ومتلعثمة هكذا، أشار لها بالجلوس ثم جلس أمامها وقال متسائلًا:

- حسنًا أخبريني بهذا الأمر الذي لا يحتمل التأخير!

فتحت فمها لتتحدث ثم أغلقته وهي تشيح ببصرها بعيدًا عنه، ابتلعت ريقها وهي تقول:

- لا داعي لأن أشغلك أنا بالأمر أعتذر عن إزعاجك، سأتصرف أنا مع ليال...

ثم تظاهرت بالصدمة ووضعت يديها على فمها لتبتر كلماتها وتهب واقفة لتسرع الخطى نحو الباب، ولكن إبراهيم استوقفها قبل أن تضع يديها على مقبض الباب وهو يقول لها بصرامة:

- جاسمين عودي إلى مقعدك الآن، وأخبريني بكل شيء؟

ابتسمت بخبث، فلقد التقط إبراهيم الطعم وسقط في شباكها؛ أزالت البسمة سريعًا لتضع مكانها نظرة توتر وقلق، عادت إلى مقعدها وقالت وهي تفرك يديها:

- إبراهيم أرجوك، لم يكن يجب عليّ المجيء إليك، لا أريد أن أشعر بتأنيب الضمير أنا سأتصرف، مجيئي إلى هنا كان غلطة.

أخذ إبراهيم نفسًا عميقًا ثم أخرجه وهو يقول محذرًا إياها:

- جاسمين لا تختبري صبري، وهيا تكلمي ما الأمر؟

ازدرد لعابها قبل أن تقول بتردد:

- يوم أمس بعدما تركتكما أنت وليالي توجهت إلي فندقنا اللؤلؤة كما تعلم، وأثناء خروجي من الفندق مرت بجانبي سيارة ليموزين؛ نظرت أتساءل هي لمن، وصعقت حين رأيت من بداخلها!

كانت جاسمين ممثلة بارعة، اضطراب تنفسها جعل إبراهيم يخمن أن هناك قنبلة ستنفجر بوجهه بعد قليل، ولذا لم يحتمل صمتها فصاح بها يحثها على الاسترسال، فأكملت وهي تبعد نظرها عنه:

- كان بداخلها رجل الأعمال الكندي و..... وليالي، كانا في وضع حميمي للغاية و...

خبط إبراهيم على سطح مكتبه وصاح بها غاضبًا:

- أنتِ كاذبة، لا أصدق أن حقدك عليها يجعلك تتحدرين إلى تلك الدرجة!

وكأن دموعها شخص تأمره فيأتي، إذ أخذت دموعها تنهمر على وجنتيها وهي تقول بأسى:

- يا ليتني كنت كذلك إذ لم تكن لتصدم في فتاة خطبتها لتجعلها زوجتك وأم أطفالك، ولكنني للأسف أقول الحقيقة، وإن لم تكن تصدقني فلقد سمعتهما وهما يتفقان على اللقاء اليوم في الفندق، صدقني يا إبراهيم لولا حبي لك وإخلاصي لك ما كنت حدثتك، ولكني خشيت عليك أن تقع فريسة سهلة لتلك الفتاة ال...

أرادت أن تسبها، ولكنها تراجعت بعد حديثها؛ ساد صمت رهيب في الغرفة، كان الهواء فيها ثقيلًا للغاية، التفت لها إبراهيم وقال:

- حسنًا شكرًا لكِ يا جاسمين وغادري أنتِ الآن، أنا سأتصرف بهذا الأمر.

حيته بانكسار وخرجت من الغرفة، وما أن أغلقت الباب خلفها حتى ظهرت نظرة ماكرة على محياها وهي ترمق ليالي التي وقفت مذهولة من خروج جاسمين من غرفة إبراهيم، وخمنت أنها كانت تنتظر مجيئه في الداخل؛ لم ترتح لنظرة جاسمين الساخرة تلك،

فحملت بعض الأوراق التي تحتاج لإمضاء إبراهيم أو مراجعة وطرقت الباب ودخلت، فوجدته يجلس على مكتبه ويضع رأسه بين كفيه، اقتربت منه ووضعت الأوراق على المكتب ودارت حول المكتب ووكزت إبراهيم برفق قائلة:

- إبراهيم، هل أنت بخير؟ما بك؟

لم يكن قد شعر بدخولها، فانتبه على صوتها ورفع رأسه إليها؛ كان ينظر لها ولسان حاله يقول:

- ليالي، هل أنتِ حقًا هكذا! ولكنني لا أصدق هذا، أخبريني أنها كاذبة.

نظرته الغريبة لها جعلتها تعيد سؤالها قائلة:

- إبراهيم لِمَ تصمت؟ أخبريني ماذا قالت لك تلك الفتاة لتجعلك مهمومًا هكذا؟

قال لها محاولًا رسم ابتسامة على وجهه وهو يقول:

- لا شيء، لا تقلقي، اترك الأوراق تلك سأراجعها الآن.

غادرت وهي غير مقتنعة بأنه بخير، وما إن أمسكت مقبض الباب حتى نادى عليها قائلًا:

- ليالي.

التفتت له وقالت:

- نعم؟

تردد قبل أن يقول:

- أحتاجك معي في أمر ما عصر اليوم، فلتكوني جاهزة.

نظرت له بأسف وقالت معتذرة:

- للأسف يا إبراهيم لدي موعد مهم جدًا اليوم لا يمكنني أن أأجله، لو أحببت نذهب بعده ما رأيك؟

نهض من مقعده واتجه إليها وهو يقول:

- بل أجلي أنتِ موعدكِ يا ليالي.

كانت مندهشة من طريقة حديثه الغامضة، وشعرت أن هناك أمر ما، ولكنها للأسف لم يكن بإمكانها تأجيل لقاء السيد دييغو، فهو سيغادر في طائرة المساء، لذا قالت معتذرة:

- أقسم لو كان باستطاعتي لفعلت، فكّر لو يناسبك بعد الخامسة فأنا جاهزة تمامًا، والآن أستمحيك عذرًا، فلدي الكثير من الأعمال اليوم.

أغلقت الباب خلفها وهي لا تدري بذلك البركان الغاضب الذي يثور بداخل إبراهيم. اقترب موعد اللقاء، فأسرعت ليالي إلى المصعد وهي تنظر إلى ساعتها، ولم تكن تعلم شيء عن تلك العيون التي تراقبها؛ ما أن نزلت إلى ردهة الشركة حتى رن هاتفها، فأجابت لتجد أنها والدة زياد، فأجابتها بأدب قائلة:

- مرحبًا أمي كيف حالك؟

صاحت بها المرأة بسخط:

- لست لكِ بأم، ولم أتصل بكِ لنتسامر، فقط أريدك أن تخبري زياد أنكِ لا تريدين أن يشتري لكِ أي شيء خاص بزواجك، وأن عريس المستقبل هذا سيتكفل بكل شيء؛ ابني يريد أن يدين نفسه لأجلكِ أنتِ، وهو لن يحتمل دفع كل تلك الأقساط التي سيجلبها على رأسه أفهمتِ؟ فأختيه هم أولى بتلك المصاريف، وشيء آخر؛ سوف أرسل لكِ كل أشياءك التي بالشقة، فأنا أريد الشقة لأجل ابنتي هالة، فهي تريد أن تعيش بها لأجل مذاكرتها، وهذا يعني أنه لا داعي لعودتكِ هنا مرة أخرى.

تنهدت ليالي وقالت:

- لن أجعل زياد يشترى شيء، ليس لأنكِ أمرتني بذلك، بل لأني لا أريده يكلف نفسه فوق طاقتها فهو أخي، أما بخصوص الشقة فهي شقتكم ولا حق لي في الاعتراض.

قالت المرأة منهية الحديث:

- جيد أنكِ فهمتِ.

ثم أغلقت الخط بوجه ليالي؛ وضعت ليالي الهاتف في حقيبتها واستقلت إحدى سيارات الأجرة وتوجهت إلى موعد اللقاء، وما إن توقفت السيارة حتى خرجت منها مسرعة، ثم نقضت السائق أجرته وأسرعت الخطى إلى الداخل؛دلفت إلى المطعم وجالت ببصرها بين الحضور، فلم تجد السيد دييغو، فسألت النادل عنه فأخبرها أن هناك حجز طاولة باسمه وطلبه منه أن يقودها إليها لتنتظره حتى يأتي؛ تبعت النادل وجلست إلى حيث أشار لها لتنتظر وصول مضيفها ،ولم تمر دقائق حتى فوجئت بظل يقع عليها، رفعت رأسها لتجد الكندي يقف فوق رأسها؛ نظرت له باستغراب وقبل أن تسأله ما الذي يفعله هنا فوجئت بإبراهيم يأتي من خلف الكندي وعلى وجهه غضب شديد، ومما زاد من استغرابها أن فريد وجاسمين هما أيضًا معه، ولاحظت وجود شخص رابع معهما، ولكنها لم تكن تعلم من هو؛ اقترب إبراهيم منهما ثم قال بنبرة تحمل في طياتها العديد من المشاعر المختلطة:

- أنتِ يا ليالي! لو قيل لي إن فريد هو من فعلها لم أكن لأشعر بخيبة الأمل التي أصابتني الآن برؤيتكما معًا.

قالت له متسائلة:

- ما الذي فعلته أنا؟ لم أفهم! وماذا تقصد برؤيتنا معًا؟ لقد فوجئت بوجوده هنا مثلما فوجئت بوجودكم!

صاحت بها جاسمين بشماتة:

- لا تكذبي، لقد سمعتكِ وأنتِ تتحدثين معه وتحددين الموعد معه هنا، وأيضًا تلك ليست أول مرة تأتين له؛ لقد استهنت بكِ ولم أعطيكِ حقك فأنتِ فتاة ذكية فعلًا تعلم كيف تأمن مستقبلها.

قاطعها إبراهيم قائلًا بسخط:

- جاسمين اخرسي، والآن يا ليالي هلا شرحتي لم أنتِ هنا مع ذلك الرجل، وماذا كنتِ تفعلين بسيارته يوم أمس؟

وقبل أن تجيب سألها فريد بهدوء:

- ليالي، هل أنتِ من سرب الاتفاقية الأخيرة لمنافسين لنا؟ هذا هو ما يهمنا الآن!

ثم رمق إبراهيم بنظرة غاضبة، أخذت ليالي تجمع خيوط الحديث وتربطها ببعضها البعض؛صمتت قليلًا ثم قالت بهدوء ساخط:

- حسنًا، دعوني أسرد عليكم ما فهمته...

ثم نظرت إلى إبراهيم وأكملت:

- مما فهمته من حديثكم أن أحدهم قد سرب معلومات عن صفقتك الجديدة، وأنك تشك بأنني أنا من فعل ذلك، وأيضًا يوجد بيني وبين هذا الرجل علاقة غير مشروعة أو على الأقل مشبوهة، أليس كذلك يا سيد إبراهيم؟

كانت تضغط على حروف كلمة سيد تلك وشعرت بسكين ينغرس في قلبها حين طأطأ هو رأسه، ولم يجبها فقالت مذهولة:

- إذن هذا يعني أنني محقة؟ ألن تنكر كلماتي وتخبرني أنني خاطئة!

ثم صاحت بصدمة:

- لابد وأنك تمزح معي، نحن مخطوبين وكنا سنتزوج بعد فترة قصيرة فقط، والآن تأتى لتطعنني في شرفي وفي أمانتي! والله لا أصدق، أقسم إنني لا أصدق.

شبكت جاسمين يديها أمام صدرها وهي تقول بسخرية:

- يا عزيزتي لا داعي لهذا التمثيل، لقد سقطتِ وانتهى الأمر.

وهنا تكلم إبراهيم وصرخ بها:

- لا تقفي هكذا صامتة، دافعي عن نفسك يا ليالي وأخبريني أن كل هذا خطأ، أخبريني أن ما يقولونه عنكِ غير صحيح.

هزت رأسها باشمئزاز وقالت وهي تعود إلى مقعدها:

- لم يعد هناك داعي يا سيد إبراهيم، لقد كان من المفترض أن

تنكـر أنـت وليس أنا؛ أتعلم لو كنت رأيت فـي عينيك أنك لا تصدق مـا يقولونـه وتريد منـي توضيح الأمـر لهم هم لكنـت فعلت، ولكن صدقني لا داعي بما أنك أنت شككت بي معهم، فتبريراتي لا داعي لها أبدًالأني لم يعد يهمني رأيك في.

وما أن جلسـت حتى عادت لتقف أمام إبراهيم وسـحبت الخاتم من إصبعها ووضعته في راحة يديه وهي تقول بسخرية مريرة:

- وهكـذا سـتتخلص من الخائنة، سـواء فـي حياتـك العملية أو الشخصية.

ثم جلست وهي تقول لهم بلا مبالاة:

- والآن فلتغادروا، لقد انتهى الحديث الآن.

نظـر بعضهم إلى بعـض ثم رحلوا في صمت، وظل الكندي واقف مكانه، نظرت له بغضب وقالت ساخطة:

- لما مازلت واقفًا مكانك؟ هيا اذهب من هنا.

نظر لها باستغراب وقال:

- ألم يكن أنتِ من اتصلت بي ودعتني من البداية يا عزيزتي!

نظرت له ببلاهة ثم قالت مستنكرة:

- من؟ أنا؟ بالطبع أنت مخطئ، أنا لا أعرف رقم هاتفك، وأيضًا لو كنت أعرف فهذه التصرفات ليست من أخلاقي، لربما أنت أخطأت في الشخص.

احتـار فـي أمرها، فتارة تدعوه، وتارة أخرى تنكـر ذلك؛ قال لها وهو يرحل:

- لـم أرَ شـخصًا متناقضًـا مثلك يا ليالي من قبـل، لو غيرتِ رأيك فغرفتي رقم مئتان وواحد.

نهضـت لتكيل له الكلمات، ولكن مجيء السـيد دييغو جعلها تتوقف وقالت له مرحبة:

- سيد دييغو أهلًا بك.

نظر لهما الكندي من طرف خفي ثم ابتسم بسخرية ورحل. جلس السيد دييغو وهو يشير لليالي بالجلوس هي الأخرى وهو يقول معتذرًا :

- أعتذر على تأخري، ولكن أتاني اتصال مهم لم أستطع تجاهله.

أومأت برأسها متفهمة وقالت:

- لا عليك سيدي.

لم يجد أمامها شيء فقال لها وهو يشير إلى النادل:

- يبدو أنكِ لم تطلبي شيئًا بعد ، ماذا تودين؟

قالت معتذرة:

- لا شيء، شكرًا لك.

كان النادل قد وصل، أعطاه طلبه وسألها ثانية ولكنها اعتذرت؛ بعد ذهاب النادل قال لها مبتدأ الحديث:

- والآن يا ابنتي ما هي إجابتك؟ ولكن قبل أن تخبريني أريدك أن تعلمي أن بإمكاني أن أدبر لكِ أمر مرافق لو أحببتِ، وبهذا لن يكون لديكِ أي حجة للرفض.

كانت ليالي قد عزمت على الرفض من البداية لأنها حتى لو وافقت من سيرحل معها لا يوجد سوى أخيها ، وهو أصبح لديه مسؤوليات الآن ولا يمكنه تركها ؛أخذت نفسًا عميقًا أخرجته ببطء ثم أجابته قائلة:

- سيدي أنت لا تعلم كم أشعر بالفخر لمديحك ولتصميمك على رحيلي معك إلى تلك الدرجة فهذا جعلني أثق في نفسي كثيرًا وأعطاني دفعة للأمام لكي أطور من نفسي لأكون على الأقل عند حسن ظنك هذا بي.

رجع بظهره إلى الوراء وقال بهدوء:

- وصلنا عند كلمة *لكن*.

ابتسمت لكلمته وقالت:

- ولكن لا يمكنني السفر لظروف يصعب شرحها.

هز رأسه يمنة ويسرة قبل أن يقول:

- هـل هذا قـرارك الأخير يا ابنتي؟صدقيني تلـك الفرصة لا تأتي سوى مرة واحدة بالعمر.

قالت:

- ما قدره اللّه لي هو ما سأراه يا سيدي.

ثـم وقفـت وهـي تقول وقـد بلـغ الحـزن بداخلهـا مبلغـه فآخر ما ستفكر به الآن هو مسألة السفر والدراسة تلك، فما يحترك بداخلها هو أكبر من ذلك:

- يسـعدني لقائك، بل يشرفني سيد دييغو، ولكن أرجو أن تتقبل قراري، وأعتذر منك عليّ أن أذهب الآن.

حيتـه ثم انصرفـت لا تدري إلى أين، فبالطبع لن يمكنها الذهاب إلـى الفيلا بعـد الآن، لذا لم يكن أمامها مفر سـوى العودة إلى بيتها القديم؛ كان من حسـن حظها أن أحدًا لم يرها أثناء دخولها، دخلت وأغلقـت البـاب خلفهـا بإحـكام وكأنها تخشـى أن تدخـل أحزانها خلفها، ألقت بالحقيبة على الأريكة ودلفت إلى حجرتها وارتمت على سـريرها، ثم أطلقت العنان لدموعهـا التي كانت تمنعها من الانهمار طوال السـاعات الماضية؛ أخذت تبكي وتبكي وهي تقول لنفسـها من بين شهقاتها المتتابعة:

- آه يـا ليالـي، بعدما ظننت أن أخيـرًا الحياة بدأت بالابتسـام لي وأن اللّه عوضنـي خيـرًا بك يا إبراهيم، ظننت أنك سـتكون سـندي بالحياة بعد اللّه، لقد أحببتك ربما من أول مرة رأيتك بها؛ مشـاعر لم أعرفها من قبل سوى معك، فأنت أول من يقتحم قلبي البتول؛ أهكذا تكافئنـي بأن تتخلى عني وتتركني في مهـب الرياح! ما الذي صدر مني لتظن بي تلك الظنون التي أدمت قلبي؟ يعلم اللّه أنني طوال عمري مـا فعلت شـيء أخجل منه أمامه ثـم تأتي أنت لتتهمنـي بتلك الجرائم النكراء، أنا! أصادق الرجال وأخون الأمانات؟

وعنـد تلـك النقطة زادت دموعها انهمـارًا وزاد نحيبها ، وبينما هي علـى تلك الحالة إذ طرق الباب بشـدة ، وكأن الطـارق يريد أن يقتلع البـاب مـن مكانـه؛ كانت تريـد ترك الطـارق حتى يسـئم ويرحل ، ولكننـه يبدو أنـه مصمم على جعلها تفتح البـاب؛ قامت على مضض وكفكفـت دموعهـا وعدلت مـن هندامها ثم توجهت لتـرى من ذلك الطارق السـمج ، والذي لم يكن سـوى والدة زياد التي صاحت بها ما أن فتحت الباب:

- كل هذا الوقت حتى تفتحي الباب! هل كنتِ ميتة أم ماذا؟

لـم تكـن ليالي في مزاج يسـمح لهـا بتقبل أي كلمـة من أي أحد فقالت لها باقتضاب:

- شـيء كهذا ، ما الأمر الذي جعلك سـتقتلعين الباب من مكانه هكذا؟

لم تنتبه المرأة على نبرة ليالي الساخطة فقالت لها:

- ألـم أقل لكِ لا تأتين إلى هنا ثانية! لم عدت؟ ألا يكفيكِ القصر الذي تعيشين فيه.

زفرت ليالي بضيق وقالت لها:

- لـم يعد هنـاك لا قصر ولا غيره فلتريحي قلبك يا... أم زياد ، لقد فسخت تلك الخطبة ، أي لا مكان لي سوى هنا فهمتِ؟

لم تكتم المرأة فرحتها فتهلل وجهها وهي تقول ببشاشة:

- حقًا كنت أعلم أنها ستفشل.

رد فعل المرأة زاد من ضيق ليالي ، فقالت لها لتنهي الحديث بأدب:

- حسنًا تخمينك أصبح صحيح ، أنا متعبة للغاية واليوم كان شاقًا وأشعر أنني سأسقط من الأعياء وأريد النوم.

زوت المرأة بين حاجبيها وقالت بحقد:

- يا لكِ من فتاة! كيف تتحدثين معي هكذا؟ تطردينني من بيتي!

حاولـت ليالي أن تشـرح لهـا مقصدهـا ، ولكن المرأة لـم تعطها

الفرصـة ، بل أكملت وقـد ازداد صوتها ارتفاعًا جلـب معه والد زياد وابنتيها وجاءوا ليروا ما الأمر فقال الرجل:

- ما الأمر لم هذا الصياح؟

قالت له ليالي:

- لا شـيء يـا أبي، لقد قلت لها إنني متعبـة من عناء اليوم، فقالت إنني أطردها.

قالت المرأة تهاجمها:

- لا شيء أيتها الكاذبة! لقد قلتِ ليغادري لأنني متعبة.

تعجبت ليالي وأسرعت قائلة:

- أقسم إنني لم أقل هذا.

فصرخت المرأة:

- أتقوليـن أننـي كاذبة؟يـا لكِ مـن عديمة التربيـة ، ولكن الحق ليس عليكِ ، الحق على المرأة التي لم تربكِ وجعلتك مثلها تمامًا ، لهذا لم يحتملها زوجي وطلقها.

كانت ليالي سـتحتمل أي إهانات توجه إليها ، ولكنها لن تحتمل أن تسب أمها أمامها وتسكت، لذا قالت لها محذرة:

- إيـاكِ أن تتحدثـي عن أمي ثانية ،واعلمـي أنه لولا تربية أمي تلك لكنت رددت عليكِ جيدًا ، ولكنها ربتني على الأدب وعدم رد الإساءة بمثلها ،ومسـألة الطلاق تلك فوالدي كان رجلًا خلوقًا مؤدبًا ، وليس همجيًا يضربها صباحًا ومساءً.

وهنا تحدث الرجل بغضب وقال:

- كيف تتحدثين مع أمك بتلك الطريقة؟

فصاحت به ليالي:

- أمي ماتت، وهي ليست أمي!

ثم نظرت لها بسخرية وأكملت:

- أليس هذا ما تخبرينى به دائمًا كلما ناديتك أمي!

نظرت المرأة إلى زوجها وقالت والشرر يتطاير من عينيها:

- اسمعني جيدًا إما أنا أو تلك الفتاة هنا بالبيت، عليك أن تختار بيننا، لن أحتمل وجودها هنا ثانية واحدة.

قال لها الرجل مهدئًا إياها:

- لا تقلقي يا زوجتي، فبدون أن تطلبي أنتِ كنت سأطرد تلك الجاحدة الناكرة للجميل.

كانت تعلم ليالي أنهم يتمادون معها بطمأنينة، فزياد لديه نوبة عمل وسيبيت خارج البيت الليلة؛ تنبهت من شرودها على اقتراب الرجل منها وعينيه تطلق شررًا:

- هيا اجمعي أعراضك وارحلي من هنا، أو سأجعلكِ تتذوقين معنى الهمجية جيدًا.

رأت في عينيه صدق تهديده، لذا خرجت من البيت على الفور وهي تقول:

- لن أحمل شيء، لأنه سيجعلني أتذكر أيامى التعيسة معكم.

قابلتها عائشة على الدرج وقالت بصوت هامس تخشى أن يسمعها أحدهم:

- هيا تعالي يا ليالي انتظري زياد بشقتي، هو سيوقفهم عن حدهم.

قالت لها ليالي وقد تملكها الكبرياء:

- لا داعي يا عائشة، فهو إما سيجعلني أعود للعيش عندها وهذا ما لن يحدث، أو سيتكفل بجلب مسكن آخر لي، وهذا ما لا يستطيع هو تحمل تكاليفه؛ هيا اصعدي أنتِ قبل أن يروكِ ولا تقلقي أنا سأتصرف.

نظرت لها عائشة بشك وتساءلت:

- كيف ستتصرفين؟ هل تقصدين العودة لبيت خاطبك؟

أرادت ليالي أن تنهى الحديث لذا لم تصلح لها الأمر وتخبرها بفسخ الخطبة، لذا أومأت برأسها لتفهم عائشة أنها محقة، فتهلل

وجه عائشة وقالت:

- حسنًا هكذا يمكنني الاطمئنان عليكِ، اتصلى بي حين تصلين إلى هناك، لا تنسي.

احتضنتها ليالي وهي تعدها بذلك؛ خرجت ليالي إلى الطريق لا تدري إلى أين تذهب، فالوقت متأخر والطريق خالي، جلست على مقعد خشبي تفكر ماذا ستفعل؛ ثم رأت من بعيد سيارة تقترب ولا تدري لم انتابها الخوف حين رأتها، وقفت السيارة بجوار ليالي التي اختلج قلبها بين ضلوعها وأخذت تقرأ آيات قرآنية وتدعو الله أن يحفظها. نزل قائد السيارة، كانت تنظر إلى الأسفل فلم ترَ شيئًا، ولكن كانت تسمع صوت وقع أقدامه جيدًا ومع اقتراب الصوت تيقنت أن القادم متجهًا نحوها، فقامت لترحل وتمضي في طريقها ولكن.....

❖ ❖ ❖

الفصل الثاني عشر

«وضاعت»

سمعت صوت قائد السيارة يقول لها بهدوء:

- اهدأي يا آنسة ليالي ولا تقلقي، فأنا لا أريد بكِ شرًا.

تذكرت صاحب الصوت على الفور، إنه ذلك الرجل الذي رأته مرتين من قبل وحدثها عن عمها، أدارت رأسها إليه وهي تقول:

- ولا أشعر أيضًا أنك تريد بي خيرًا يا سيد.

ابتسم لكلماتها وقال وهو يضع إحدى يديه بجيب بنطاله:

- تعجبني ردودك، فهي دائمًا ممتعة ومثيرة للاهتمام.

ثم أكمل بجدية:

- والآن يا آنسة ليالي أريدك أن تأتي معي.

نظرت له وقال متهكمة:

- يبدو أنك معتاد على إطلاق الأوامر دائمًا يا سيدي، ولكن للأسف لست ممن ينصاعون للأوامر، خصوصًا إذا كانت من أشخاص لا تعرفهم.

اقترب منها وهو يقول بابتسامة:

- أعلم هذا جيدًا يا آنستي، ولكن لا تقلقي فكما أخبرتك لا أريد بكِ سوءًا.

ثم أكمل بنبرة غامضة:

- ولن أسمح أبدًا بذلك يا آنسة ليالي، فكما أخبرتك من يريدك هو عمك.

قالت بسخرية مريرة:

- عمى! لقد مات منذ زمن.

نظر لها بأسى ثم قال بخفوت:

- لم تبتعدِ كثيرًا عن الحقيقة يا آنسة ليالي، فعمك مريض للغاية، بل يحتضر بالفعل، وكل ما يريده هو رؤيتك وطلب مغفرتك.

تحرك شيء ما بداخلها شفقة على الرجل، فأدارت رأسها بعيدًا عنه وهي تقول:

- أسأل اللّٰه أن يتم شفائه على خير ليحيا من أجل أطفاله.

قال لها متعجبًا:

- أمن قلبك يا ليالي؟ أقصد آنسة ليالي.

قالت وهي تجلس على المقعد ثانية، فقدميها قد تعبتا من الوقوف:

- بالطبع من قلبي ياسيدي المرض والموت لا شماتة فيهما أبدًا.

نظر لها بإعجاب ثم قطب حاجبيه وسألها:

- كيف علمتِ أن لديه أبناء؟ فهو لم يجلب أحدًا منهم عندكم أبدًا.

أجابت:

- كان في زيارة لنا حين كنت صغيرة وسمعته تحدث عن أبناءه بفخر، ولكن لا أذكر الحديث جيدًا فقد كنت صغيرة للغاية، ولم أره بعدها إلا اليوم الذي جاء فيه يوم موت والداي و...ولم أره بعدها.

فهم ما كانت تريد قوله؛ تقصد يوم سرق الأموال وهرب، تنهد ثم قال بحسم:

- والآن هيا لنرحل، فالطريق طويل أمامنا.

قالت بحسم هي الأخرى:

- تقصد أمامك.

صاح بها وقد بدأ ينفعل بعض الشيء:

- كيف تريدين مني تركك هنا! فلا خطيب تعودين إليه وتم طردك من بيتك قبل قليل، وها أنت تهيمين على وجهكِ في الطريق.

فغرت فاهها بدهشة وهي تقول:

- و... وكيف عرفت كل هذا؟ من أنت؟

لانت ملامحه وعادت الابتسامة إلى وجهه وقال بنبرة لا تخطئ الصدق بها:

- ستعرفين كل شيء حين تصلين إلى عمك، والآن أرجو أن تثقي بي.

شعرت ليالي بالصدق في كلماته، ولكنها لم تستطع الموافقة، وبينما تفكر إذ مرت سيارة بها شباب أخذوا يصفرون ويتصايحون ونظراتهم تلتهمها، وأخذوا يطلقون الكلمات البذيئة، فشعرت بالخوف الشديد، فلو تركته يرحل ستظل وحيدة في هذا الليل المظلم والطريق حولها خالي؛ فكرت ماذا ستفعل لو مرت سيارة أخرى مثل تلك! عند تلك النقطة شعرت بقشعريرة في جسدها بأكمله وسار فيه تيارًا كهربائيًا من الرعدة؛لم تجد أمامها مفر من قبول دعوته، فخفضت رأسها قهرًا وقالت بخفوت:

- ح... حسنًا سوف آتي معك!

تهللت أساريره وقال لها هو يفتح الباب المجاور له لتركب:

- لقد أسعدتِني يا آنسة ليالي، لن تندمي أبدًا على قرارك هذا.

تجاهلت الباب الذي فتحه لها وركبت في الخلف وهي تتمتم:

- وهذا ما أرجوه.

توقعت أن يتضايق من فعلتها، ولكن كان العكس تمامًا، إذ أغلق الباب بهدوء وعاد إلى مكانه خلف مقود السيارة وقال مبتسمًا:

- اعذريني، ستكون آخر مرة.

شعرت بالاطمئنان قليلًا فهو لم يحاول أن يحتال عليها للجلوس بجانبه مثلما فعل عمر هذا من قبل، وطوال الطريق كانت تختلس النظر له لترى هل يتطلع فيها أم لا، ولكنه لم ينظر لها أبدًا، ولم يحاول أن يتحدث معها وتركها على راحتها تمامًا. بعد مرور ساعتين وصلا إلى استراحة على الطريق، أوقف السيارة وقال لها وهو ينزع حزام الأمان ويغادر السيارة:

- سأذهب قليلًا لو شئت أن تذهبي إلى غرفة استراحة السيدات فهي هناك عند تلك الشجرة؛ لن أغيب، خمس دقائق فقط.

ظلت جالسة مكانها ولم تبرحه، بعد ربع الساعة كان قد أتى ومعه أشياء كثيرة؛ صعد إلى السيارة ثم ناولها كيسًا كبيرًا وهو يقول مازحًا:

- أنا من النوع الأكول، أتناول الطعام كل ساعتان، ولكن لا يمكنني تناوله وحدي، لذا هل تكرمتِ عليّ وتناولتِ معي الطعام؟ وهذا ليس طلبًا إنه أمر.

أخذت منه الطعام وقالت شاكرة:

- شكرًا لك، ولكنني لا....

قاطعها وهو يتناول قضمه من طعامه:

- أظن أنني قلت إنه ليس طلبًا، إنه أمر يا عزيزتي.

كان إبراهيم قد اعتاد على مناداتها عزيزتي، اعتصرت الحسرة قلبها فوضعت الطعام بجانبها وقد ذهب عنها أي رغبة في تناول شيء؛ استدار إليها ولأول مرة تتقابل أعينهما عرفت أنها رأت هذا الوجه من قبل، ولكن لم تدرِ أين، كان هناك شيء من الألفة في وجهه محببة، تنبهت على صوته وهو يقول:

- إن لم تتناولينه وحدك ألقمتك أنا إياه، وثقي أنكِ لن تقوي على ذلك، هيا تناولي ولو سندويتش واحد، اتفقنا؟

هزت رأسها بالإيجاب فظهرت على شفتيه ابتسامة ودودة، ثم انطلق يكمل طريقه للمجهول بالنسبة لليالي.

ما إن رحلت ليالي حتى صعدت عائشة إلى الأعلى لتتصل بزياد وتخبره عما فعله والديه في ليالي، ولكن هاتفه كان مغلقًا لفترة طويلة، ظلت تحاول الاتصال به دون كلل، وخصوصًا بعدما مرت ساعتان أو أكثر وليالي لم تتصل بها لتطمئنها، ورقم ليالي كان قد مسح من هاتفها بالخطأ مما زاد من إصرارها على التحدث إلى

زوجها، وبينما كاد اليأس يتملكها إذ أخيرًا رن هاتفه، قفزت على قدميها فرحًا حين أتاها صوته يقول بقلق:

- ما الأمر يا عائشة هل أنتم بخير؟

بكت على الفور وهي تقول بحزن:

- لا يا زياد، لقد اتصلت بك مئات المرات وهاتفك كان مغلقًا، لقد قام والديك بطرد ليالي من البيت في منتصف الليل وحدها؛ أنا قلقة عليها للغاية، فهي أخبرتني أنها ستذهب إلى خطيبها، ولكنها لم تتصل بي كما طلبت منها.

اشتعل زياد غضبًا وقال لها مطمئنًا إياها:

- حسنًا لا تقلقي، سأتصل بها الآن وسأعاود الاتصال بكِ.

رن هاتف ليالي ولكنها كانت قد ذهبت في سبات عميق؛ نظر الرجل إلى ليالي فوجدها نائمة ففتح حقيبتها فوجد المتصل يحمل اسم حياتي؛ رفض المكالمة ثم جعل وضع الهاتف صامت لكي لا يوقظها من نومها، كان زياد يفترسه القلق على أخته بشدة، وظل عقله يفكر في سيناريوهات عدة لها، ففتاة وحدها في منتصف الليل بمنطقة شبه خالية فأسوء ما قد يفكر فيه قد يكون أرحم مما هي فيه الآن، ظل يتصل ويتصل وبالأخير وجد هاتفها قد أغلق تمامًا ولم يعد بإمكانه الاتصال بها ثانية، أراد الاتصال بإبراهيم ليطمئن عليها ولكنه خشى أن تكون قد ذهبت عند واحدة من صديقاتها، فلم يكن يريد أن يشوه صورة أهلها أمامه فما بينهم لا يجب أن يشعر به زوج أخته لكي لا يعيرها بهم يوم ما، فبدل ثيابه على عَجل وغادر عمله وتوجه على الفور إلى البيت؛ طرق على باب والديه بقوة شديدة حتى كاد الباب يسقط تحت قبضته، فتحت أخته الباب على عَجل وهي وجلة وسألته بقلق:

- أخي! ما الأمر هل حدث شيء ما؟

لم يرد عليها وصاح بها:

- أين أبي وأمي؟

أتاه صوت والدته تقول بسرعة:

- أنا هنا يا ولدي، ما الأمر تكلم هل حدث شيء لزوجتك؟

صرخ بها:

- بل حدث لأختي يا أمي؟

فزعت المرأة ونظرت لابنتها وصاحت بها:

- ما الذي حدث لأختك وسام؟

زادت كلماتها من حنقه فصاح بلا شعور:

- بل أختي ليالي، دائمًا ما تنسين أنني لي ثلاث أخوات إناث يا أمي.

قالت بغضب:

- هل أحدثت كل تلك الفوضى والإزعاج لأجل تلك الفتاة؟

صرخ بها، فلم يعد يحتمل ظلمها ولامبالاتها:

- تلك الفتاة هي أختي، أنا أعلم أنكِ لا تحبينها، ولكن هذا لا يعطيكِ الحق لتطرديها في الشارع بعد منتصف الليل؛ أنتِ لديكِ بنات كيف أمكنك فعل هذا؟ ألا تخشين من عقاب الله؟ ألا تعلمين أنه كما تدين تدان، وما تفعلينه بالآخرين سيفعل في بناتك يومًا ما!

كانت كلماته قاسية ولكن صحيحة في الوقت ذاته، أتاه صوت والده يقول بصرامة:

- كيف تتكلم مع والدتك هكذا يا ولد؟

قال زياد بأسى:

- والدتي ماتت يا أبي، ربما لم أرها كثيرًا ولكن أنت من حرمني منها، أتظن أنني لا أعرف كيف كنت تعاملها! ربما كنت صغيرًا ولكنني أتذكر جيدًا كيف كان وجه أمي تسيل منه الدماء، وعندما تراني تبتسم في وجهي لكي لا أفزع من منظرها الدامي، وعندما قررت أن تطلب الطلاق منك أخذتني منها وهربت بعيدًا، ولم أرها بعد ذلك سوى بالجريدة حين نشرت أخبار الحادثة التي وقعت لها هي وأسرتها، وحين نجت أختي قررت أن أعوض حرماني من أمي

فـي الحفاظ على ليالي، التذكار المتبقي ليمن والدتي وها أنت الآن تحرمني منها مرة ثانية؛ سامحك الله يا أبي، سامحك الله.

بـدأت عينيـه تدمع فأدار وجهه وصعد إلى شـقته، كانت والدته قد تملكهـا الإحراج وشـعرت بالندم لما فعلته بليالـي، أما والده فلقد دخل إلـى غرفتـه وأغلق البـاب عليه؛ طرق زياد باب شـقته ففتحت له عائشـة وصدمـت لرؤيتـه، فقد كان حزينًـا مكتئبًا؛ ما إن رآهـا حتى انهمرت الدمـوع مـن عينيـه، نظرت له بإشـفاق ولم تعلق بشـيء، بـل أخذته بين ذراعيهـا فارتمـى فـي حضنها وأخـذ يبكـي كالأطفال؛ لـم تحاول أن تهدئـه، بل تركته يفرغ كل مشـاعره في البـكاء، كانت تربت على ظهـره بحنان، كان يبكـي في حضنها مثل الطفـل الصغير في حضن أمه؛ بعد فترة طويلة بدأ يهدأ ثم أخذها هي بين ذراعيه وهو يهمس قائلًا:

- شـكرًا لكِ يا عائشـة، لقد ارتحت كثيرًا وأنا بين أحضانك، شعرت وكأنني في حضن أمي.

حاولت أن تخفف من آلامه وتجعله يبتسم وقالت مازحة:

- ألا تعلـم أننـي ذات شـخصيات متعـددة! الآن أمـك ثـم بعد قليل أختك، والأهم أكون زوجتك النكدية أو حماتك المفترية.

مسح دموعه بيديه وهو يبتسم قائلًا:

- أي شيء منك جميل عدا الأخيرة لن أحتملها.

لم تستطع أن تكبح قلقها لذا سألته وقالت:

- هل يوجد أخبار عن ليالي؟ هل اتصلت بها؟

عاوده الهم ثانية وزفر بأسى وهو يقول:

- اتصلـت بهـا كثيـرًا، كان الجرس يـرن في البدايـة، ثم أغلق الهاتف فجأة.

قالت تطمئنه وهي تحاول طمأنة نفسها هي الأخرى:

- ربمـا تكـون بطاريـة الهاتف قد فرغـت، فهو دائمًـا يفعل معها هكذا، إن شاء الله ستتصل بي قريبًا.

تململت ليالي في جلستها واستيقظت على صوت الرجل يقول بهدوء:

- آنسة ليالي، هيا استيقظي، لقد وصلنا بحمد الله.

نظرت للخارج فلاحظت أنه دخل إلى منطقة كلها عبارة عن فيلات، كانت المنطقة راقية للغاية ويبدو أن كل سكانها من الأثرياء فقط، اعتدلت في مجلسها وأخذت تتفقد حجابها ثم قالت بإحراج:

- أعتذر منك، لقد غلبني النعاس لا أدري كيف!

قال لها بود:

- لا داعي لكل هذا الإحراج ولا للاعتذار الأمر بسيط يا آنسة ليالي؛ أوه لقد نسيت إخبارك، لقد رن هاتفك وأنت نائمة فكرهت أن أوقظكِ فأغلقت الهاتف حتى لا يقلق نومك، كان اسم المتصل.

نحنح بإحراج ثم قال:

- اسمه حياتي.

تهلل وجهها وهي تقول:

- أخي زياد، سأتصل به في الحال.

أخرجت الهاتف لتتصل بشقيقها.

ما إن قالت عائشة لزياد أن ليالي بالتأكيد ستتصل إلا ورن هاتف زياد، فنظرت عائشة لترى من المتصل فاتسعت عينيها بدهشة وصاحت بفرح:

- زياد إنها ليالي.

قفز من مكانه والتقط الهاتف بسرعة البرق وقال لها بلهفة:

- ليالي حبيبتي، أين أنتِ كيف حالكِ؟ لقد ظللت أتصل بكِ طوال الليل!

أجابته بسعادة:

- أعتذر يا زياد، القصة طويلة للغاية.

قال لها بسرعة:

- أين أنتِ الآن؟ أنا قادم لكي أجلبكِ وستعيشين معي بشقتي،

لن أتركك أبدًا.

دمعت عينيها وهي تشعر بصدق خوف شقيقها عليها وقالت:

- أنا بعيدة عنك الآن يا زياد ، أنا بالقاهرة.

صُعق حين سمعها وقال بدهشة:

- القاهرة! وماذا تفعلين هناك؟

قالت له وقد شعرت بالإحراج لأن الرجل دخل بسيارته إلى إحدى تلك الفلل؛ وقف خارج السيارة منتظرًا إياها حتى تنتهي من حديثها فقالت لأخيها على عَجل:

- زياد أنا أعلم أنك قَلق عليّ الآن، ولكن اطمئن إنني في أمان، أنا في طريقي للقاء عمي، عندما أنتهي سأعاود الاتصال بك، أحبك كثيرًا يا أخي، وداعًا.

قال لها وقد هدأ قلقه وشعر بالارتياح حين سمعها:

- حسنًا يا ليالي، ولكن لا تتركيني كثيرًا ، وداعًا.

أغلقت الهاتف ونزلت من السيارة وهي تقول معتذرة:

- آسفة لقد جعلتك تنتظر.

أشار لها أن تتبعه وهو يقول مازحًا:

- هل أنتِ هكذا دائمًا؟ دائمة الاعتذار!

لم تجِبه بشيء وظلت تتبعه، كانت تنظر حولها بانبهار، صحيح أن فيلا إبراهيم كانت واسعة، ولكن تلك كانت شاسعة؛ بعد دقائق وصلت السيارة إلى بوابة القصر الداخلية، نزل هو وانتظرها لتنزل هي الأخرى، لم تنتبه ليالي على وجود درجة سلم فتعثرت وكادت تسقط، فأسرع هو وأمسك بيديها، قبل أن تسقط اعتدلت على الفور وسحبت يديها منه سريعًا؛ تذكرت حين سقطت في المكتبة وإبراهيم حملها بين ذراعيه، كانت لمسته مختلفة تمامًا عن لمسة ذلك الرجل، أسرع الرجل يسألها بقلق:

- آنسة ليالي، هل أصابك شيء؟

قالت بهدوء:

- أنا بخير، لا تقلق.

نظر لها طويلًا ثم قال:

- أريد أن أخبركِ بشيء، عمك يحتاج إلى إجراء عملية ضروري، ولكنه يرفض إجرائها فهو قد سئم الحياة ويعاقب نفسه على ما فعله بكِ، أتمنى أن تكوني قد فهمتِ ما أقصده، والآن هيا تعالي فعمك في انتظارك.

لم يستطع إبراهيم النوم تلك الليلة، فقد ظل في صراع بين قلبه وعقله، فقلبه يخبره أنها بريئة، بينما عقله يؤكد له أنها فتاة لعوب تجيد فن التمثيل، مثلها مثل باقي جنسها؛ نظرة الاحتقار التي رمقته بها كانت مثل السيف الذي يخترق قلبه كلما تذكرها، تساءل لمَ لم تدافع عن نفسها إن كانت بريئة من تلك التهم! خرج من غرفته ونزل إلى المكتبة، ارتمى على مقعده وأسند رأسه إلى الخلف، وبينما يجول بنظره بالغرفة، وقع بصره على المكان الذي التقطها فيه وهي تسقط بين ذراعيه، تذكر خجلها وتلك الحمرة التي كانت تعلو وجهها، كم كان يعشق تلك النظرات البريئة التي كانت ترمقه بها حين يصيبها الإحراج؛ ضرب سطح مكتبه وهو يسب بكلمات إسبانية، وخرج إلى الحديقة ليستنشق بعض الهواء، فلمح بركة المياه فنظر لـ يديه وبدا له وكأنه يشعر بها الآن وهي بين ذراعيه كالفرخ الصغير، تذكر كم كانت خائفة، وكم كانت رقيقة للغاية، لازال دفء جسدها وهي متعلقة بعنقه خائفة من المياه، لازال يشعر به وبحرارة جسدها؛ تذكر خصلات شعرها التي سقطت على وجهها فزادت من جمالها، أعاد النظر إلى يديه وهو يتمتم بتعاسة:

- كانت بين يدي، والآن ها هي قد ضاعت مني.

ثم جال بنظره في الأرجاء وهو يكمل:

- كل مكان هنا، كل سنتيمتر يذكرني بكِ يا ليالي، حتى الهواء الذي أتنفسه.

ركل المزهرية التي بجانبه بقوة وهو يصرخ:

- يا إلهي، أكاد أجن! رحماك يا ربي.

جلس ووضع وجهه بين كفيه ولم يشعر باقتراب والدته التي وضعت يديها برقة على كتفه، فرفع بصره إليها؛ رأت على الفور عمق حزنه وتعاسته، فأخذته بين ذراعيها وهي تقول بخفوت:

- ما بك يا حبيبي؟ هيا أخبرني لعلي أحل لك مشكلتك، هيا يا بني لا تكتم بنفسك هكذا وبُح لي بما يجول بصدرك.

قال لها بحزن:

- الأمر كبير جدًا يا أمي، ليس بمقدور أي أحد أن يحله الآن، لقد انتهى يا أمي.

مسحت على شعره وهي تقول بإيمان:

- لو مشكلتك كبيرة يا ولدي تذكر أن الله أكبر، ولا يوجد شيء لا حل له، فقط ينتهي الأمر إذا استسلمت أنت، والآن هيا احكي لي كل شيء وثق تمامًا أنني بفضل الله سأجد الحل المناسب لمشكلتك، هيا.

كانت كلمات والدته مثل الدواء الذي يداوي الجروح، فأخذ نفسًا عميقًا ثم بدأ يروي لوالدته كل شيء من البداية، وكانت عينيها تتسع وتتسع وهو يكمل قصته، ولم يترك منها شيء.

وقفت ليالي أمام باب إحدى الغرف مترددة في طرقها، نظرت خلفها لتجد الشاب واقفًا يشجعها على الدخول، وأخيرًا حسمت أمرها وطرقت الباب؛ انتظرت لتسمع صوت عمها ليأذن لها بالدخول، ولكنها لم تسمع شيئًا فطرقت ثانية، فأتاها صوته واهنًا من الداخل، ففتحت الباب ودلفت ثم أغلقته خلفها واستدارت ليفاجئها منظر عمها بسريره، كان محاطاً بأجهزة عدة، وجسده لا يكاد يرى من الأسلاك المتصلة به؛ أشار لها بالاقتراب، اقتربت منه وهي تشعر بالإشفاق الشديد عليه، فلم تكن تتخيل أنه بتلك الحالة! جلست على المقعد المجاور له، مد يديه ليصافحها ولكنها سقطت بجانبه، فلم

يقوَ على رفعها ، فأسرعت هي لتلتقطها وهي تقول بابتسامة :

- كيف حالك يا عمي؟ أنا سعيدة لرؤيتك ثانية.

بكى وبكى ثم قال بأنفاس متقطعة :

- سامحيني يا ليالي، سامحيني يا ابنتي، لقد ارتكبت خطأً فادحًا في حقك، لم أسامح نفسي من وقتها.

شعرت بأن نبضه قد بدأ يتسارع فقالت تهون عليه :

- عمي، سنجلس ونتحدث ونتعاتب لا تقلق، لن أتركك حتى تشرح لي كل شيء، ولكن الآن فلتفكر بصحتك جيدًا ، وبعدها يأتي أي شيء، اتفقنا؟

أتاها صوت الرجل من خلفها وهو يقول بحزن :

- ولكنه يرفض أي دواء قد يحسن من مرضه ويقول إنه لا يستحق العيش لما فعله معكِ، ويتمنى الموت لأنه لا يعرف أين أنتِ؛ يقول إنه لن يسامح نفسه أبدًا.

قالت له بمرح :

- حسنًا وأنا هنا الآن، لذا لا داعي أبدًا لرفضك للعلاج يا عمي، لقد تيتمت مرة فلا تجعلني أمر بتلك التجربة ثانية، فأنت الآن يقع على عاتقك إكمال تربيتي، أم أنك لا تريدني أن أحيا معك؟

تهلل وجهه وقال بسعادة :

- أحقًا يا ليالي ستقبلين بالعيش معي هنا؟ لا أصدق!

أومأت برأسها قائلة :

- أجل سأجلس على أنفاسك هنا ، ولن أجعلك تتهرب من مسئوليتي ثانية ، ولهذا يا عمي إذا كنت تريد مني مسامحتك عليك أن تأخذ العلاج المقرر لك، إن لم يكن من أجل أولادك فمن أجلي، ما هو ردك؟

هز رأسه وهو ينظر إلى الرجل ويقول بغبطة :

- وأخيرًا يا بني سيرتاح قلبي، أين إخوتك؟ لِم لَم يستقبلوا ليالي!

ثم التفت إلى ليالي وقال :

- لابـد أنـكِ تعرفتِ عليه يا ليالي، إنه ابني الأكبر خالد، أستاذ جامعي ويدير أملاكِ وشركاتِ أيضًا.

نظرت له ليالي متعجبة؛ لم لم يخبرها أنه ابن عمها! وقالت:

- لم يسعني الوقت للتعرف عليه يا عمى، أهلًا بكِ يا أستاذ خالد.

رد بابتسامة ودودة وقال بأدب:

- أهلا بكِ يا آنسة ليالي، أسعدنا للغاية وجودكِ معنا.

قال عمها وقد أضاء وجهه بسعادة:

- هل أخبرت أختك مها أن تجهز لها الغرفة الجنوبية كما أمرتك؟

أجاب خالد:

- أجـل يا أبي اطمئن، والآن سـآخذها لغرفتها لتسـتريح من عناء السفر، بعد إذنك يا والدي.

هز رأسه بالإيجاب وقال سريعًا:

- أجل يا بني معك حق.

ثم التفت لها وقال بحماس:

- هيـا يا ابنتي اصعـدي لغرفتك لترتاحي، ولو احتجتِ لأي شـيء فأخبري خالد على الفور ولا تترددي.

تـرددت ليالـي قليلًا ثم طبعـت قبلة على وجنة عمها وشـكرته ثم رحلت سريعًا، نظر خالد مسرورًا لوالده الذي تتابعت عبارته بسعادة، ثم تبع ليالي للخارج وأغلق الباب خلفه وهو يقول لها:

- شـكرًا لكِ يا ليالي، لم أرَ والدي يبتسم هكذا منذ زمن، والآن هيا اتبعيني سأريكِ عرفتك.

تبعته وهي تنظر لما يحيط بها من أثاث، كان كل شيء يبدو في غاية الأناقة والجمال وينم عن ذوق راق؛ صعد بها إلى الأعلى ثم توقف عند باب إحدى الغرف وفتح لها الباب وهو يقول:

- تفضلـي هـذه هـي غرفتـك، سـتجدين كل مـا تحتاجينـه في الداخل، بعد قليل ستصعد لكِ مدبرة المنزل بالفطور.

أسرعت قائلة:

- لا داعي للفطور لست جائعة، السندويتشات التي أكلتها بالسيارة لازالت سارية المفعول.

ضحك لقولها ثم قال وهو يغادر:

- حسنًا كما تردين، بعد قليل ستأتيلكِ مدبرة المنزل لتساعدك، والآن سأتركك لترتاحي.

دلفت ليالي إلى غرفتها الجديدة وأغلقت الباب خلفها، دهشت من حجم الغرفة، لقد كانت كبيرة للغاية وبها غرفة جلوس، أسرعت إلى الشرفة، وما أن فتحت بابها حتى صاحت بدهشة:

- يا للجمال!

كانت الشرفة تطل على بركة سباحة لم ترَ ليالي مثل جمالها من قبل، محاطة بمشاتل زهور بديعة المنظر، منسقة ببراعة، أضفت جمالًا خلابًا على بركة السباحة؛ وقفت قليلًا وهي تستمع بالمنظر ولم تنتبه على وجود ذلك الشاب في الشرفة المجاورة لها، والذي صفر بإعجاب فاستدارت بحدة لتسمعه يقول:

- لم أكن أعلم أن لدينا زوارًا، وليسوا بأي زوار بل خارقي الجمال، تشرفنا يا حلوتي من أنتِ؟

لم تعجبها طريقة حديثه فأسرعت لتدخل لـ غرفتها وهي تغلق باب الغرفة سريعًا، ثم سمعت صوت طرقات على الباب فأذنت للطارق ففتح الباب وظهر على عتبته امرأة في العقد الخامس من العمر ترتدي ملابس رسمية، أغلقت الباب وهي تقول ببرود وبوجه خالٍ من التعابير:

- مرحبًا بكِ يا آنسة ليالي، أنا السيدة وداد مدبرة المنزل هنا.

مدت ليالي يديها لتصافحها قائلة بابتسامة رقيقة:

- أهلًا وسهلًا بكِ سيدتي، تشرفت بلقائكِ.

نظرت لها المرأة مليا ثم ما لبثت أن افتغر ثغرها عن ابتسامة جميلة وهي تمد يدها قائلة:

- يبدو أنكِ فتاة طيبة وخلوقة يا ليالي، ناديني العمة وداد ، الجميع ينادونني هكذا هنا.

أومأت ليالي رأسها بالإيجاب، فأكملت السيدة وداد حديثها وقالت وهي تفتح خزانة الملابس:

- تلك الملابس هي ملكك، لقد جلبها الأستاذ خالد لكِ منذ عدة أيام وابتاع لكِ كل شيء.

تعجبت ليالي بشدة عندما رأت الملابس، كانت كلها على ذوقها تمامًا ، أخرجت إحداها وزادت دهشتها حين وجدتها على قياسها أيضًا ، استدارت لتسأل السيدة وداد وكيف علم خالد بهذا ، ولكنها شعرت بالإحراج فأعادت الملابس مكانها ثم شكرت السيدة وداد والتي استأذنت منها لتغادر وقالت لها ألا تتردد في طلب مساعدتها لو احتاجت لشيء، أرادت أن تسألها عمن يكون ذلك الشاب الذي بالغرفة الأخرى، ولكنها تراجعت وانتظرت لتطلب من خالد أن يغير لها تلك الغرفة، فهي لن ترتاح بوجود شاب بالغرفة المجاورة لها.

ساد صمت رهيب بعدما انتهى إبراهيم من حديثه، كانت نظرات أمه تشعره بالإحراج والخجل من نفسه، وأخيرًا نطقت وقالت بعتاب:

- كيف أمكنك أن تفعل بليالي هكذا؟ كيف صدقت بها مثل تلك الأكاذيب يا بني؟سأسألك سؤالاً وأنت أجب عليّ، ما رأيك بجاسمين تلك، هل هي أفضل من ليالي؟

أسرع يقول:

- بالطبع ليالي أفضل منها ، فلا مجال للمقارنة يا أمي بينهما.

نظرت له باشمئزاز ووقفت وهي تقول بغضب:

- إذا كنت تعلم ذلك، لم صدقت تلك الفتاة اللعوب؟

قال لها مدافعًا عن نفسه:

- لقد كان معها دليل يا أمي

هزت رأسها متعجبة وقالت:

- دليـل؟ أي دليل؟ كلهـا واضح للغاية أنها افتـراءات يا إبراهيم، وأنـت صدقتهـا بسـبب جراحـك القديمـة يا بنـي، لقد ظلمـت ليالي وأخذتها بذنب هي لم تفعله.

وقف على قدميه وقال بحدة:

- لا داعي بأن تتحدثي حول شـيء من الماضي يا أمي، لقد نسيت تلك القصة تمامًا؟

قالت بسخرية مريرة:

- نسيت؟ يبدو واضح جدًا على حدتك التي تتحدث بها معي الآن.

أسرع يعتذر عن خطئه:

- أعتذر يا أمي، ولكن أنا فعلًا نسيت.

قالت له بصرامة:

- اسـمعني جيدًا يـا إبراهيم، بنت عمك تلك التـي قمت بخطبتها أنـت وخانتـك وتخلـت عنك ورحلت ليسـت ليالي، فشـتان بيـن ليالي الفتـاة البريئة الطاهرة ذات الأخلاق الرائعة، وبين فتاة لا تعرف معنى كلمـة أخلاق ولو كنت تتذكر كلماتي لك قبل أن تقوم بخطبتها، أخبرتك أنها فتاة سـيئة ولا تصلح بأن تكون زوجة تأتمنها على بيتك ونفسـك ومـن قبلهـم أولادك، ولكنك ضربت برأيي عـرض الحائط وتبعـت هـواك، وأحمد الله أنها ظهرت علـى حقيقتها قبل الزواج وإلا كنت تزوجتها وعشت أسوأ أيامك لو فعلتها.

التقطت أنفاسها ثم قالت وقد هدأت حدتها:

- ليالي، كان عليك أن تحميها من تلك الفتاة الحقيرة جاسمين، فهي بالتأكيد قد حاكت لكما خطة لتوقعكم بها، وأنت ما شـاء الله قـد ابتلعت الطعم بكل سـهولة؛ كان يجب عليك أن تدافع عنها وتقول من قلبك أنك لا تصدق أي شيء عن ليالي وأنك تثق بها تمامًا.

قاطع أمه قائلًا:

- يا أمي لقد سألتها وقلت لها دافعي عن نفسك ولكنها رفضت!

صاحت بوجهه قائلة بانفعال:

- وحق لها الرفض لأنك شككت بها من البداية، وهذا قد دمر الثقة بينكما، فشكك بها قد كسرها، كانت تنتظر منك أن تقول لها إنك تثق بها ولا تصدق ما يقال عنها، وأنك تريدها أن تبرر لهم هم فقط لكي تظهر الحقيقة أمامهم، ولكنك اتهمتها وليس اتهامًا بسيطًا، لا أتهمتها أنها تذهب لرجل بفندق! كيف أمكنك أن تفعل بها ذلك يا إبراهيم؟ كيف ترمها بتلك التهمة الشنيعة وتقول هي لم تدافع! بالطبع لن تدافع عن نفسها لأن كبريائها سيمنعها من ذلك، يا بني ابحث أنت عن دليل براءتها واذهب به إليها واطلب عفوها وترجاها أن تسامحك، فلو ضاعت ليالي من بين يديك صدقني يا بني ستندم طوال حياتك.

كان يستمع إلى والدته بانتباه شديد، وكانت كلماتها تنزل عليه كالصواعق؛ لقد أزالت الغشاوة التي تعمي عينيه وقلبه، وأظهرت له الحقيقة التي لا يريد هو أن يصدقها، بل ينكرها؛ وضعت أمه يديها على كتفيه برقة وقالت بحنان:

- أنت ابني يا إبراهيم وأعرفك أكثر من نفسك، وأعلم أنك تحب ليالي بشدة، فأسرع وأظهر براءتها وعد لي بها، لا تجعلها تضيع من بين يديك، هيا يا بني هيا.

وقف إبراهيم وقبّل رأس والدته وهو يقول بابتسامة:

- أنتِ أعظم نعمة حباني الله بها، فليحفظك الله لي دائمًا يا أمي.

ابتسمت في وجهه وراقبته وهو يسرع الخطى وقد عاد له حماسه وشغفه.

استيقظت ليالي على صوت هاتفها وهو يرن فأسرعت تلتقطه لتجيب، فأتاها صوت سلوى تصيح بقلق:

- ليالي الحمد لله، ما هذا الذي يحدث يا ليالي؟ هل فعلتِ ذلك؟ أنا لا أصدقهم أبدًا.

وقبل أن تجيب ليالي أتاها صوت هيثم يقول بانفعال:

- ليالي أين أنتِ الآن؟ أنا أريد أن أتحدث معكِ بموضوع مهم.

قالت له وقد هرب النوم من عينيها:

- خير يا هيثم؟ لقد أقلقتموني، هل حدث شيء؟

صاح بحدة:

- تلك المعتوهة جاسمين كانت تريد أن تنشر في الجامعة أنك طردتِ من عملك لأنك سرقتِ مستندات الشركة وبعتها لشركة منافسة، وأنك ضبطي مع....

بتر عبارته خجلًا فلم يستطع أن يكملها ثم أكمل يقول:

- ولكني نهرتها وأخبرتها أنها لو فعلت سأجعلها تندم على ذلك طوال حياتها، والآن أين أنتِ؟ لِم لِم تأتِ إلى الجامعة اليوم؟

سمعت صوت طرقات على الباب فقالت له:

- سأتحدث معك فيما بعد يا هيثم، ولكن ثق تمامًا أن ما تفوهت به تلك الفتاة لم يحدث منه شيء.

قال لها بثقة:

- لستِ بحاجة لكي تبرئي نفسك أمامي يا ليالي، فأنا أثق بكِ وأعلم من أنتِ تمامًا.

تجمعت الدموع في عينيها وأغلقت الخط، تمنت لو سمعت مثل تلك الكلمات من إبراهيم لو رأت في عينيه أنه يصدقها؛ تمنت لو شعرت في نبرة صوته بثقته بها، ولكنه اتهمها وشكك بها، عاد الطارق يطرق ثانية فقالت وهي تمسح دموعها:

- تفضل.

دلفت فتاة يبدو عليها أنها في السابعة عشر أو الثامنة عشر على وجهها ابتسامة خلابة وهي تقول بترحاب:

- كيف حال ابنة عمي العزيزة، والجميلة أيضًا؟

نهضت ليالي من السرير وهي ترد عليها ببشاشة:

- بخير حال بفضل الله، لابد وأنكِ مها؛ أليس كذلك؟

أجابتها قائلة:

- أجل، لقد سمعت عنكِ الكثير يا ليالي، أحببتك قبل أن أراكِ.

تعجبت ليالي وقالت:

- سمعتِ عني! مِن مَن؟

أجابت:

- أبـي وأخي لا ينفكان يتحدثان عنـكِ، والآن هيا لنتناول الغداء فأخي ينتظرنا بالأسفل.

هـزت كتفيهـا دهشـة ثم مـا لبثت أن بدلـت ثيابها ونزلـت لتناول الطعـام، بعدما انتهوا اسـتأذنت مها في الخروج وتبقـت ليالي وخالد بمفردهما، تنحنحت ليالي قبل أن تقول بخجل:

- أستاذ خالد، لدي رجاء بعد إذنك؟

وضع خالد الشوكة من يديه وهو يقول:

- تفضلي يا ليالي، رجاءاتك أوامر بالنسبة لي.

شكرته ثم قالت:

- أريد أن أبدل غرفتي إذا سمحت؟

زوى حاجبيه دهشة وهو يتساءل:

- ولم؟ هل حدث شيء لم تعجبكِ؟

أسرعت تقول:

- بل هي رائعة للغاية لكن...

بترت عباراتها فجأة، انتظـر أن تكمل حديثها وحانت منه التفاتة ثم قال بهدوء:

- الآن فهمت لم تريدين أن تتركِ غرفتك.

ثم صاح بصوت عال وهو يقول:

- سليم، تعال إلى هنا لحظة.

استدارت لترى من القادم والذي لم يكن سوى الشاب الذي رأته في الشرفة، أقبل وعلى وجهه ابتسامة كبيرة وهو يقول بمرح:

- أخي لم تخبرنا أننا لدينا ضيوف!

قال خالد يقدمها إليه:

- يا سليم إنها ليست ضيفة، إنها ابنة عمنا الآنسة ليالي.

أطلق سليم صفيرًا طويلًا قبل أن يقول:

- وأخيرًا تقابلنا بابنة عمنا المشهورة! أنا سليم، أسعدني لقاؤكِ، للحق الصور لم تعطِكِ حقكِ!

ردت تحيته ثم تساءلت:

- أي صور تتحدث عنها؟

أجاب خالد تلك المرة وهو يقول:

- لقد أخبرنا والدنا عن قصته معك وظل لسنوات يبحث عنكِ، ولكنكِ كنتِ قد انتقلتِ إلى الإسكندرية عند أخيكِ، وبالصدفة حين أرادت مها أن تدخل الجامعة اختارت جامعتك، ورأيناكِ في منشورات تلك الجامعة، ومن هنا عرفت طريقكِ ثم بدأت...

أكملت عنه مازحة:

- وبدأت في مطاردتي وإصابتي بالقلق.

أسرع قائلًا:

- لم أتبعكِ سوى مرتين، ثم عينت من يتبعكِ كظلك.

ردت ببطء:

- لهذا عرفت أمر إبراهيم ووالدة زياد، أليس كذلك؟

أومأ برأسه ثم التفتت لأخيه وهو يقول بصرامة:

- سليم، لقد طلبت منك أختك ألا تعبث بغرفتها من قبل، لم كنت بغرفتها اليوم؟

أسرع سليم يقول:

- لقد كنت أبحث عن كاميرتي بغرفتها ولكنني لم أجدها من أول مرة، تلك الفتاة كانت تخبئها جيدًا.

فقال خالد منهيا الحديث:

- حسنًا ولكن تلك آخر مرة، فالجناح الجنوبي هو للفتيات

فقط، ليالي أيضًا هناك، لذا لا تضايقهما بوجودك هناك، وإلا نقلت غرفتك إلى البيت المنفصل الذي في الحديقة.

رفع سليم يديه بمرح وقال:

- حسنًا يا سيدي، أعدك ألا أقترب من حقل الألغام، أقصد عنبر السيدات هذا أبدًا.

حياهم ثم رحل، فالتفت خالد إلى ليالي وهو يقول:

- ذلك الفتى لن يكبر أبدًا، والآن يا ليالي بالنسبة لجامعتك سأعين لكِ سيارة خاصة بالسائق ستكون تحت تصرفك تتنقلين بها.

فتحت فمها لتعترض ولكنه وقف وهو يهم بالمغادرة قائلًا بنبرة لا تحتمل المعارضة:

- لا مجال للرفض يا آنستي، والآن اعذريني لدي بعض الأعمال العالقة، وداعًا.

مر يومان، كان إبراهيم وفريد يجتمعان في غرفة مكتب الأول وهما يشاهدان تسجيلات الكاميرا، كان إبراهيم قد بلغ منه التعب والجهد مبلغه إذ أصبح غائر العينين لا يدخل جوفه شيء سوى القهوة، قال له فريد بشفقة:

- يا إبراهيم، هون عليك يا رجل، هيا عد إلى بيتك وأنا سأتابع البحث.

هز إبراهيم رأسه نفيًا وهو يقول دون أن يرفع عينيه من على الشاشة:

- لن أهدأ أو أرتاح حتى أجد الدليل يا فريد، لقد طعن....

بتر عبارته فجأة وهو يقول للشاب الجالس أمامه:

- أعد ثانية تلك اللقطة.

فعل الشاب ما طلبه منه إبراهيم الذي تهللت أساريره وهو يصيح بسعادة:

- وجدت الدليل يا فريد، وجدته أخيرًا.

أسرع فريد نحوهم وهو يقول بفرح:

- حقًا؟ أين؟

أعاد إبراهيم اللقطة والتي يظهر فيها نبيل وهو يصور المستندات.

صاح فريد بدهشة:

- إنـه جريء للغاية، هكذا يفعلها في وضح النهار وبدون حتى أن يخفي وجهه!

فرد إبراهيم بسخرية:

- لا، لقـد كان يظـن أن كاميـرات المراقبـة لازالـت معطلة، لقد أصلحتها قبل يومين من الواقعة، ولم يكن هناك أحد يعلم بذلك.

ثم أراح ظهره للخلف وهو يشبك يديه خلف رأسه قائلًا:

- حللنا أول جزء، تبقى الجزء الأهم.

ثم اعتدل في جلسته وقد التمعت عينيه ببريق غامض وهو يكمل:

- وأظـن أنني عرفت كيف أعلم حقيقة الأمر الآخر، هيا يا فريد تعال معي.

توجـه إبراهيم إلى غرفة جاسـمين، طرق البـاب ثم دخلا، وما أن رأتهم حتى نهضت مسرعة من خلف مكتبها وقالت بسعادة:

- إبراهيم! يالسعادتي.

صافحها ثم جلس وأشـار لها أن تجلس هي الأخرى، جلسـت وهي تقول بمرح:

- أي رياح أرسلتك إلى هنا اليوم؟

علق فريد قائلًا:

- رياح الخماسين يا عزيزتي، فانتبهي جيدًا.

اضطربت وهي تحاول الابتسام:

- ماذا؟ أنت ومزاحك يا فريد! م..ماذا تشربون؟

نظر لها إبراهيم ثم مال إلى الأمام وهو يقول بصرامة:

- لسـنا هنا لنتضايف بشركتي يا جاسمين، سأسألك أسئلة وما عليكِ سوى الإجابة فقط، موافقة؟

أومأت برأسها وبدأ قلبها يضطرب من الخوف بسبب النظرة التي في عيني إبراهيم الذي عاد يستند بظهره إلى الكرسي وهو يقول:

- أين كنتِ تقفين حين رأيتِ ليالي بسيارة الكندي!

ازدردت ريقها وهي تقول بخفوت:

- أنت تعلم أنه أمام الفندق عمودين حجريين يمين ويسار الفندق، أنا كنت موجودة خلف الذي في جهة اليمين.

مط شفتيه وهو يقول بنبرة غامضة:

- أنتِ بالتأكيد تعلمين أن ساحة الفندق لديكم مقسمة لدخول أي سيارة من جانب لتلف وتخرج من الجانب المقابل بشكل دائري، بمعنى أن أي سيارة ستقف أمام الفندق سيكون وجهها تجاه المخرج، أليس كذلك؟

أسرعت تقول:

- أجل صحيح.

أكمل قائلًا:

- أذن فلتشرحي وأنتِ من خلال موقعك الذي يقبع خلف السيارة كيف رأيتها مع الرجل بالسيارة، وأنتِ تعلمين أن سيارته ليموزين يعني ذات زجاج داكن لا يرى أي شيء بداخلها؟

فكرت قليلًا كيف ستخرج من هذا الموقف، ثم ما لبثت أن تهللت أساريرها وهي تقول:

- لقد شاهدتهم من نافذة السيارة التي لم تكن مغلقة وقتها.

ضاقت حدقتاه وهو يقول ببطء:

- كيف رأيتهما وأنت خلف السيارة يا جاسمين؟ من موقعك لن تري سوى قائد السيارة!

أسرعت تقول مدافعة:

- لقد كانا يجلسان في المقعد الذي خلف السائق مباشرة، ورأيت وجهها بوضوح.

لم تفهم معنى ذلك البريق الذي التمع بعيني إبراهيم وهو يقول

متسائلًا:

- وكانت ليالي تضحك معه وهو يداعبها كما قلتِ وهما يجلسان في المقعد الذي يكون عكس اتجاه سير السيارة، أليس كذلك؟

تعجبت منه لم يدقق على تلك النقطة! ولكنها هزت كتفيها بالإيجاب:

- أجل بالضبط، كما قلت أنت.

أخرج زفرة حارة من صدره وهو ينظر إلى فريد والذي تهل وجهه هو الآخر، وسمِعت إبراهيم يقول بارتياح:

- الحمد لله، لقد اطمئن قلبي الآن.

وافقه فريد وهو يقول بلهفة:

- هيا اذهب إليها الآن وزف لها البشارة، لابد وأن الأيام السابقة كانت رهيبة عليها.

أجابه إبراهيم قائلًا:

- معك حق، سأذهب إليها الآن.

استوقفته جاسمين وهي تقول بغضب:

- من هي التي ستذهب إليها؟ هل ستسامحها بعد كل ما فعلته بكِ!

قال لها إبراهيم باقتضاب:

- بل سأطلب منها هي أن تسامحني.

ثم رحل فأسرعت لتلحق به، ولكن فريد أمسكها من ذراعها بعنف وهو يقول بغضب:

- أنت أحقر إنسانة رأيتها في حياتي، والآن هيا اجمعي أغراضك وارحلي على الفور من هنا.

صاحت به غضب:

- من تظن نفسك لتطردني! ألا تعرف أنا ابنة من؟ أبي هو شريك هنا بالشركة، وسأطلب منه أن يطردك أنت في الشارع أفهمت؟

شد فريد على ذراعيها وفي عينيه نظرة أرسلت الرعب في عظامها وهو يقول:

- نصيحتي لكِ أن تسرعي وتهربي قبل أن يأتي إبراهيم، لقد انكشفت لعبتك القذرة وأنت من أثبت براءة ليالي، فما لا تعرفينه أن ليالي تصاب بدوار السيارة إذا ما جلست عكس اتجاه سير السيارة يا عزيزتي، وبالنسبة لوالدك فلو أراد إبراهيم لمحى شركة واسم والدك هذا في غضون ليلة واحدة، ليلة واحدة فقط وتنتهي حياة الرفاهية تلك؛ هيا فلتذهبي إلى الجحيم فهناك ستجدين من هم على شاكلتك، شياطين مثلك.

لم تصدق جاسمين ما تسمعه، فلم تكن تتخيل أن خطتها المحكمة ستنهار لأجل سبب بسيط كهذا! فأسرعت تغادر الشركة وكأن شياطين العالم تتبعها.

أوقف إبراهيم سيارته أمام منزل ليالي وترجل من سيارته ليضغط على جرس الباب، فخرج له شقيقها زياد الذي قطب حاجبيه حين رآه وقال له:

- ما الذي تريده؟

فهم إبراهيم على الفور أن ليالي قصت على أخيها ما حدث، فقال له راجيًا:

- أين ليالي؟ أريد رؤيتها على الفور.

قال له زياد:

- ليالي قد رحلت، فلم تعد هنا بعد الآن.

فأسقط في يديه وعلم أن ليالي قد ضاعت من بين يديه.

❖ ❖ ❖

الفصل الثالث عشر

«جحيم الغيرة»

لقد رحلت ليالي فلم تعد هنا

بتلك الكلمات أنهى زياد حديثه، فأسقط بين يدي إبراهيم الذي تساءل بلوعة وقال:

- كيف؟ ماذا تقصد؟ هل حدث لها شيء؟ أخبرني.

نظرة الجزع والخوف التي رآها زياد في عيني إبراهيم جعلته يتساءل هل حقًا يحبها أوهل ما قصته عليه أخته ليالي حدث فعلًا! وقال:

- لم يحدث لها شيء هي بخير، ولكنها لم تعد في الإسكندرية!

تعجب إبراهيم وقال:

- إذن أين هي؟

لم يجبها زياد، بل بادره متسائلًا:

- لماذا تريد أن تعرف؟ بعدما فعلت معها ما فعلت ماذا تريد منها؟

قال له إبراهيم موضحًا:

- زياد، هيا تعال معي لنجلس في مكان ما ونتحدث، فالمكان هنا لا يصلح لما سأقول.

كان زياد يعلم أن أخته تتعذب بداخلها، حتى وإن كانت تنكر ذلك، لذا تبع إبراهيم لعله يستطيع أن يعيدهما ثانية لبعضهما البعض.

وضع إبراهيم فنجان القهوة أمامه وهو يقول:

- هذا هو ما حدث يا زياد من البداية إلى أن قابلتك منذ ساعتين.

نظر له زياد معاتبًا:

- ولكنك أخطأت يا إبراهيم في تصديقك لتلك الفتاة الحقيرة.

هز إبراهيم رأسه بالنفي قائلًا:

- لم أصدقها يا زياد، أقسم لك، أنا فقط شعرت بالغيرة؛ أنا أحب ليالي بشدة يا زياد، وشعرت بالغيرة حين علمت أن الرجل يطمع بها، وكما أخبرتك أنني مررت بتجربة خيانة مروعة سببت لي فقد الثقة في الآخرين، لذا أرجوك يا زياد ساعدني في التقرب إلى ليالي ثانية.

حك زياد ذقنه وهو يقول مستسلمًا:

- لقد أخبرتني أنها ستذهب إلى حفلة زفاف إحدى صديقاتها وأخيها زميلًا لها بالجامعة، يوم الغد.

عبس إبراهيم قائلًا:

- أتقصد ذلك الهيثم؟

ضحك زياد على غيرة إبراهيم الواضحة وهو يقول بشماتة:

- أجل ذلك الهيثم يا إبراهيم، أجدها فرصة مناسبة لك لتقابلها وتتحدث معها.

طرقت ليالي باب غرفة مكتب خالد وانتظرت قليلًا، فأتاها صوته يقول:

- تفضل.

دخلت وقالت وهي لا تزال واقفة عند الباب:

- أستاذ خالد، هل لي بكلمة من فضلك؟

ترك ما بيديه وقال لها على الفور:

- تفضلي يا ليالي، ما الأمر؟

جلست أمامه وهي تقول:

- أردت أن أطلب منك معروفًا.

قال لها معاتبًا:

- ليالي أنتِ ببيتك وبين عائلتك، أتمنى أن تعتادي على ذلك سريعًا.

شكرته ثم قالت بخجل:

- غـدًا حفـل زفـاف صديقـة لـي وهـي أخـت زميـل لـي بالجامعة أيضًا ،فهـل يمكننـي الذهاب؟ أريـد رؤية صديقاتي، أشـعر أنني لم أرهم منذ قرون.

قال لها متسائلًا:

- تقصدين ابنة فؤاد الإسماعيلي.

تعجبت وقالت بدهشة:

- أجل إنه والدها ، كيف علمت؟

قال لها باسمًا:

- لأن والدهـا صديق وشـريك لنا في إحدى الشـركات، ولقد تم إرسال دعوة لي لحضور ذلك الحفل.

فقالت:

- إذن سنذهب معًا غدًا.

فأجاب:

- بإذن اللّه.

اتصـل زيـاد بليالي وأخبرها بـأن إبراهيم قد اكتشـف الحقيقة ، وأنـه قـد أتى لبيتـه ظنًا منـه أنهـا هناك؛شـعرت بالفرحـة بداخلها ، ولكنها أسرعت تقول متصنعة البرود:

- إياك يا زياد أن تكون أخبرته بمكاني، أنا لا أريد رؤيته.

قال زياد بخبث:

- كنت أعلم أنكِ ستقولين لي ذلك ،لذا لم أخبره بشيء لا تقلقي.

كان يعلـم أنهـا ستشـعر بخيبة الأمل حيـن يخبرهـا بذلك، فهي أختـه التـي يعرف عنها كل شـيء ويشـعر بحزنها ، قبل أن تشـعر به هـي ويعلم بفرحها قبل أن يدخـل قلبها ؛ بعدما أغلقت الخط مع أخيها قامت لتحضر ما ستلبسه للحفل محاولة تجنب التفكير في إبراهيم ، ولكن هيهات، وكيف لها أن تبعد الشخص الذي اقتحم حياتها على حين غرة وسـلب منها قلبهـا وعقلها ؛ نفضت تلك الأفـكار من عقلها

وأسـرعت لتصلـي ثم أطفئت الأضـواء لتحاول النـوم، ولكنه أبى أن يأتي إليها تلك الليلة.

في المساء التالي نظرت ليالي لنفسها لآخر مرة في المرآة قبل أن تنزل إلى حيث خالد ينتظرها بجوار السيارة، وما إن رآها حتى أسرع بإغـلاق المكالمـة، وقال لها وقد ظهر في عينيـه الإعجاب وقال لها مازحًا:

- يبدو أنكِ دقيقة في مواعيدك دائمًا ياليالي.

أسرعت تقول:

- أعتذر عن التأخير.

مد يديه بحقيبة صغيرة قائلًا:

- أنـا أمزح لـم تتأخري، خذي تلك الحقيبة إنهـا هديتك للعروس، أتمنى أن يعجبك ذوقي.

شكرته ثم تناولت الحقيبة منه وصعدت إلى السيارة التي لم تأخذ وقتًـا طويلًا فـي الطريق، نزل خالد ثم فتح لها البـاب، وما إن لمحها هيثم حتى ترك من كان يقف معهم وأسرع إليها قائلًا بسعادة:

- ليالـي، أنا سـعيد للغاية لمجيئك، كيف حالك؟ لقد اشـتقت.. أقصد اشتقنا لكِ جميعًا في الجامعة.

قالت بإحراج:

- لقد تغيبت عدة أيام فقط، دعني أقدم لك ابن عمي أستاذ خالد المغربي.

صافحـه هيثـم وهو يتفـرس بوجهه بطريقة فهـم خالد مقصدها، فقال في هدوء:

- مرحبًا يا هيثم، تشرفت بلقائك.

حياه هيثم بقلق ثم التفتت إلى ليالي وهو يقول بحماس:

- هيـا تعالـي فوالـدي ينتظر مجيئك مـن فترة، ووالدتـي تريد أن تلقاكِ.

قاطعه خالد وقال بنفس الابتسامة المستفزة:

- أنـا أيضًا ذاهـب إلى والدك، تفضل أنت واعتنى بضيوفك ونحن سنذهب إليهم.

وافـق هيثم علـى مضض ثم تركهم ورحل، أمـا خالد وليالي فقد توجها إلى السيد فؤاد وزوجته، والذي تهلل وجهه حين رأى ليالي وقال بترحاب:

- ليالـي مرحبًا يا ابنتي كيف حالك؟ يا زوجتي العزيزة، هذه هي ليالي التي حدثتكِ عنها.

عانقتها السيدة وقالت ببشاشة:

- مرحبًـا يـا ابنتي، إن سـهام وهيثـم ووالدهما لا يتحدثون سـوى عنـكِ، حتى اشـتقت لرؤيتـكِ، وبعدما رأيتك علمـت أن معهم حق في كل ما تحدثوا به عنكِ.

تنحنح خالد وهو يقول:

- كيف حالك يا فؤاد بك؟ لم أرك منذ فترة!

دُهش السيد فؤاد من رؤيته لخالد وقالت باستغراب:

- خالد المغربي! ياللغرابة! لم أتخيل أنك ستقبل دعوتي تلك المرة وقلت إنك ستعتذر مثل كل المناسبات الماضية.

قال له خالد بهدوء:

- لم يكن يمكنني ترك ابنة عمي تأتي وحدها.

رفع الرجل حاجبيه وقال بتعجب:

- ليالي تكون ابنة عمك! ياللمصادفة!

مر حوالي نصف السـاعة على وصول ليالي، حتى سـمعت سـلوى تقول بدهشة:

- انظري من أتى، إنها جاسمين، يا لها من فتاة وقحة عديمة الكرامة!

قالت لها ليالي دون أن تلتفت:

- دعكِ منها يا سلوى، أنا واثقة في عدالة اللّه عز وجل.

قالت سلوى:

- ونعم باللّه، معكِ حق.

همـت ليالـي أن تصعد للعـروس وحانت منها التفاتـه لتجده يدخل أمامها من الباب؛ كان يبحث بعينيه في الأرجاء، ظنت أنه يبحث عن فـؤاد أو ابنه هيثم، ولكنها كانـت مخطئة تمامًا، لقد كان يبحث عنها هي بالتحديد؛ شعرت بعينيه تقترب من مكانها، فبعدت نظرها بعيدًا؛ نظرت لها سلوى وسألتها بقلق:

- هل أنت بخير؟ لفد تغير وجهك!

قالت بتوتر:

- أنا بخير تمامًا لا تقلقي.

قالت سلوى:

- وجهك شاحب، سأجلب لكِ كوبًا من العصير.

ذهبت سـلوى علـى الفور؛كانت تعلم أنه قـادم خلفها تمامًا فجف حلقها، ممـا زاد من اصفـرار وجهها؛اقترب منها خالـد حين لمح تغير وجهها من بعيد وقال بتوتر:

- ليالي، إن وجهك يزاد شحوبًا هيا بنا.

وهنـا كان إبراهيم قد اقترب وهو يرمق خالد بطرف عينيه بحدة لاقترابه منها بتلك الدرجة، وقال لها بدون مقدمات:

- ليالي، أريد أن أتحدث معكِ على انفراد هيا.

نظرت له باستغراب وقالت:

- لا يوجد حديث بيننا، دعني لا أعطلك!

صر على أسنانه وهو يقول:

- لا تختبري صبري يا ليالي، تحركِ أمامي.

ثم التفت إبراهيم إلى خالد وقال بحدة:

- حسنًا يمكنك الرحيل.

اطمئـن خالـد حين أدرك سـبب قلقها، رفع خالد كـوب العصير

ليرتشف منه وهو يقول ببرود:

- لا أريد الرحيل، الطقس هنا يعجبني.

قال له إبراهيم وقد زاد غضبه:

- هل أخبرك أحد من قبل أنك خفيف الظل؟

رد خالد بابتسامة عريضة:

- أجل كثيرين، آخرهم ليالي، إنها تضحك على نكاتي بشدة، أليس كذلك يا عزيزتي؟

دُهشت ليالي من كلمات خالد، فهي لم تقل هذا أبدًا، ونظرت متعجبة فوجدته يغمز لها بعينه بخفة، فتبسمت على الرغم منها مما جعل إبراهيم يكاد ينفجر، فأمسك ليالي من ذراعيها بقوة وقد أعمى الغضب عينيه قائلًا:

- هيا أمامي قبل أن أقوم بمصيبة هنا يا ليالي.

قبل أن تجيب ليالي أمسك خالد بيديه وأبعدها عن ليالي وهو يقول بهدوء غاضب:

- تمهل يا صديقي، الأفعال الصبيانية تلك لن تنفعك بشيء، توقف ولا تثير فضيحة ليس لها داعي؛ يكفي الفتاة ما أصابها من تحت رأسك.

ثم قال لليالي بصرامة:

- هيا بنا يا ليالي، اذهبي وودعي العروس واعتذري منها على رحيلك المفاجئ، وأنا سأذهب لوالدها.

رحلت ليالي على الفور وانتزع إبراهيم يديه من يد خالد بعنف ورحل وهو يرمقه بنظرات كاللهب، تابعه خالد وهو يتمتم:

- آه يا ليالي آه، شابين لأول مرة أراهم ومع ذلك أشعر وكأنهم يريدون تمزيقي إربًا بالسكين.

كانت ليالي تجلس بصمت بالسيارة، فقطع خالد هذا الصمت قائلًا:

- لِم لَم تستمعي إليه يا ليالي؟

بغتت ليالي بالسؤال فقالت متلعثمة:

- من تقصد؟

ضحك قبل أن يقول:

- ومن سيكون غير ذلك الذي كاد أن يفتك بي قبل حتى أن يتحدث معي بكلمة!

قالت بإحراج:

- أعتذر عما بدر منه، وإجابتي على سؤالك هو كما أخبرته أنا، لا يوجد شيء لنتحدث عنه، لقد اقتلع هو أي محاولة للتحدث.

أخرج زفرة قبل أن يتابع طريقه في صمت، وبينما هو كان ينظر في المرآة الأمامية لمحها والحزن بادٍ على وجهها، فنظر أمامه وهو يتذكر نظرة إبراهيم لهما وهما يغادران الحفل.

في الصباح التالي فوجئ إبراهيم بجاسمين تقتحم غرفته وهي تقول بثورة:

- إبراهيم، ماذا يعني إنهاؤك للشراكة التي بينك وبين والدي؟

قال لها ببرود دون أن ينظر إليها:

- تعني أنني استغنيت عن خدماتكم، ولم يعد لي حاجة لوالدك ولا لرؤيتك ثانية، لذا غادري الشركة الآن بغير رجعة.

توسلت قائلة:

- إبراهيم أرجوك، هكذا سيفلس والدي!

رفع بصره لها وقال بغضب:

- كان يجب أن تفكري في ذلك قبل أن تغضبيني، وأظن أن هذا سيكون ذو فائدة لوالدك، إذ سيتفرغ لكِ ويعيد تربيتك من جديد.

اندفعت فجأة لتقول وهي تتعلق بآخر حبال النجاة:

- لم يكن هذا من تدبيري، إنه عمر، لقد أراد أن يبعد ليالي عنك لأنه كان يريدها لنفسه واستغلني لذلك.

اقتربت منه وهي تبكي:

- لقد كان يعلم أني أحبك واستغل نقطة ضعفي تلك.

ابتعد عنها وقال بقسوة:

- امسحي دموع الأفاعي تلك فهي لن تؤثر في، وبالنسبة لعمر فسوف يأخذ جزاؤه مثلك تمامًا، وأيضا لقد طردت نبيل من العمل، لا تقلقي الجميع عندي سيأخذ عقابه.

فجأة تخلت عن دور الفتاة المسكينة لتعود إلى حقيقتها وقالت بشراسة:

- كل هذا لأجل تلك الحثالة! ماالذي يعجبك بها؟ فهي فتاة بائسة لا تملك شيئًا مما أملكه أنا ،لا عائلة ولا مكانة اجتماعية، لا تعرف معنى كلمة أناقة، انظر إلى ثيابها، حتى الجمال أنا أفضل منها بكل شيء، لم أخترتها هي وأنا أمامك؟

نهض إبراهيم من مقعده ونظر لها باشمئزاز وأفحمها قائلًا:

- ليالي هي أفضل فتاة قابلتها في حياتي، لو كنت أبحث عن فتاة عصرية لن أنظر إليكِ، بل كنت تزوجت فتاة إسبانية، أو من أي بلد حطيت بها حول العالم، ولكنها أسرتني بأخلاقها.

ثم نظر لها ساخرًا وأكمل:

- وبجمالها أيضًا، أنتِ لا تتميزين عنها في أي شيء ولا حتى في المكانة الاجتماعية يا عزيزتي.

لم تفهم مقصده، فلم تكن تعلم بعد بأمر عم ليالي، وبينما هي بحيرتها دخل فريد وهو يرمقها بازدراء قائلًا:

- مرحبًا يا إبراهيم.

رد عليه قائلًا وهو يتناول الأوراق من يديه:

- مرحبًا فريد، جئت بوقتك، هيا خذ تلك الفتاة ورافقها إلى خارج الشركة.

نهضت وهي تتوعده قائلة بحقد:

- ثق تمامًا أنك ستندم على ذلك يا إبراهيم.

نظـر لها سـاخرًا وتابعها وهي تغادر المـكان كالإعصار، جلس على مقعده يفكر كيف سيعيد ليالي ليه ويجعلها تسامحه.

فـي اليوم التالـي ذهبت ليالي إلـى جامعتها، أغلقت باب السـيارة وهي تشـعر بالخجـل، فهي لم تعتد على تلك الرفاهية بعد، أسـرعت سلوى إليها وعلى وجهها ابتسامة مشرقة وهي تقول بسعادة:

- مرحبًا ليالي، أنا سعيدة لأجلك، أنتِ تستحقين أكثر من هذا.

تبسمت ليالي واحتضنتها وهي تقول:

- شكرًا لكِ يا سلوى، أنتِ أفضل صديقة.

فجـأة أتى صوت شـهقة قوية تأتي من خلفهما، فالتفتتا لتشـاهدا جاسـمين وهـي تنظر لهما ببلاهـة وتقلب بصرها بين ليالي والسـيارة الفارهة، ثم عقدت ساعديها أمام صدرها لتقول باستهزاء حاقد:

- يالجرأتك يا ليالي! تأتين هكذا أمامنا دون خجل؟ يبدو أن ذلك الكندي قد...

قاطعتها سلوى وهي تقول بشماتة:

- تلك السيارة تعود لعائلة ليالي يا جاسمين.

ضحكت جاسمين بصوت عالٍ لتقول:

- عائلة ليالي؟ لم تحسـني اختيار كذبتك يا سـلوى، الجميع يعلم أنها يتيمة.

ثم زاد صوتها حقدًا وهي تقول:

- أجل يتيمة، حقيرة، فقيرة.

وهنا أغلق باب سـيارة ليالي بقوة ليدوي بعنف، فالتفتت جاسـمين لتصعـق من رؤيـة ذلك الرجل الوسـيم الأنيق؛ دار خالد حول السـيارة ليقف قبالة جاسمين وقال بتعالٍ وهو يخلع نظارته الشمسية ببطء:

- ليالي، أظن أنني سـمعت صوتًا كصوت الحمار مزعجًا للغاية، هل تحبين أن أسكته أم ماذا؟

فغرت جاسمين فاهها وقلبت بصرها بينهم ببلاهة، ثم التفتت إلى ليالي وهي تكاد تنفجر من الغيظ:

- من هذا أيضًا؟ يا لكِ من..

قاطعها خالد وهو يقول بهدوء:

- أنا خالد المغربي، رئيس مجموعة المغربي، وأيضًا ابن عم ليالي.

صاحت غير مصدقة:

- المغربي! ابن عمها؟

كاد يغشى عليها من هول المفاجأة، ثم رمقت ليالي بحقد وهي تمتم قائلة:

- أقسم أن أجعلك تتذوقين طعم غضبي يا ليالي، فقط انتظري.

التفتت ليالي إلى خالد قائلة:

- شكرًا يا أستاذ خالد.

قال لها مازحًا:

- يبدو أنني سأعتاد على إنقاذك.

تذكرت كلمات إبراهيم حين قال لها «يبدو أنني سأعتاد على وقوعك بين يدي» كادت تتجمع الدموع في عينيها ولكنها أشاحت عنه بوجهها وهي تقول:

- شكرًا لك، سأغادر الآن، هيا يا سلوى.

لم تجبها سلوى على الفور، فأعادت ليالي كلماتها قائلة:

- سلوى، هيا بنا.

تنبهت سلوى على صوت ليالي، فأسرعت تقول وقد علا وجهها حمرة الخجل:

- أ.. أجل يا ليالي حسنًا.

راقبهما خالد وهما ترحلان ثم عاد إلى سيارته وانطلق بها، لم يكن يدري أن هناك من يراقبه ونار الغيرة تشتعل في قلبه، فقد كان إبراهيم يجلس في سيارته ينتظر قدوم ليالي ليتحدث معها،

ولكنه لم يكن يتخيل أنها ستأتي في سيارة ابن عمها وصاح بغضب:

- كيف تركب معه السيارة وحدها!

هدأ فريد من غضب إبراهيم وهو يقول:

- لم تكن وحدها يا إبراهيم، فالسائق كان معهما.

ضرب إبراهيم مقود السيارة بعنف وهو يقول بأسى:

- أنا أشعر بالغضب الشديد يا فريد، انظر للرجل فهو وسيم وناجح بعمله، أخشى أن تعجب به، والأدهى لو أعجب بها هو! ماذا سأفعل لو تقدم لها لخطبتها.

كان فريد يشعر بالشفقة على صديقه، فهو يعلم أن قلب إبراهيم يشتعل الآن من الغيرة، فقال له راجيًا مشفقًا:

- حسنًا يا إبراهيم هيا لنعد الآن، فوالدتك قلقة عليك، فأنت لم تعد للبيت منذ يومين، وأنت تعلم أنها مريضة ولن تحتمل القلق.

فجأة أمسك إبراهيم بكتفي فريد وهو يقول بغبطة:

- شكرًا لك يا صديقي، لقد ألهمتني بفكرة عظيمة شكرًا لك.

دهش فريد لذلك التحول السريع، من الغضب للسعادة!وسأله قائلًا:

- ماذا تقصد؟ لم أفهم!

أخرج إبراهيم هاتفه وضغط أزراره قائلًا بغموض:

- ستفهم قريبًا.. ألو زياد، أحتاجك في شيء!

عادت ليالي في المساء إلى البيت، ودهشت حين رأت عمها ينتظرها هو وزوجته؛أسرعت إليه وقبلته من جبهته وهي تقول بسعادة:

- مرحبًا عمي، ما شاء الله أراك بصحة أفضل اليوم، أنا سعيدة لأجلك.

احتضنها وهو يقول بفرح:

- شكرًا لكِ يا ابنتي، لقد شعرت ببعض القوة فقلت أخرج قليلًا

من السجن، أقصد تلك الغرفة، كثيرًا ما أشعر أنها سجن!

ربتت ليالي على كتفيه بحنان وقالت زوجته:

- منذ مجيئك يا ليالي وحالته تزاد تحسن يومًا بعد يوم، سلمتِ يا ابنتي.

قالت لها ليالي مسرعة:

- شكرًا لكِ يا عمة، بل هو من فضل الله.

أجابتها قائلة:

- ونعم بالله.

سمعا صياح مها، فالتفتت لتجدها واقفة بين أخويها، راقبتها وهي تحتضن والدها قائلة:

- أبى! يالسعادتي! أنا لا أصدق عيني!

ضحك والدها بسعادة وقال:

- أنا نفسي لا أصدق يا ابنتي!

صاح سليم وقال:

- لنقيم حفل بتلك المناسبة، ما رأيكم؟

قال خالد موافقًا:

- أوافق، سأذهب لأتصل بمتجر الحلويات ليقوم باللازم.

كانت ليالي تشعر بالسعادة، فهي لم تشعر بتلك الأجواء العائلية منذ زمن بعيد؛ كانت تراقب الجميع بسرور، ولكنها كانت تشعر بداخلها أنه هناك شيء مهم ينقصها.

رن هاتف جاسمين، أجابت بعصبية قائلة:

- ماذا تريد الآن ياعمر؟ أرأيت نهاية خطتك الغبية؟ لقد خسرنا كل شيء.

أجابها بغضب هادر:

- خطتي؟ لو كنتِ اتبعت خطتي بحق ما كان حدث ما حدث، هل طلبت منك أن تخبري إبراهيم عن لقاء ليالي بالرجل! أنا أخبرتك أن

تجعلي نبيل هذا يسرق مفتاح مكتب ليالي ثم ترسلي شخص غريب ليسرق المستندات، أنتِ ماذا فعلتِ؟ طلبتِ من ذلك الغبي أن يفعلها ليذهب ويفعلها بوضح النهار، كيف نسيتِ أمر كاميرات المراقبة؟ لم أكن أعلم أنني أعمل مع بعض الأغبياء.

قالت وقد أخذتها العزة:

- لا فائدة الآن من العتاب، حدث ما حدث وانتهى الأمر.

قال لها بغموض:

- لا لم ينتهِ بعد!

أسرعت تسأله بحماس:

- ماذا تقصد؟أخبرني.

قال بهدوء:

- بعد أسبوع سيتم بيع فندق مهم بسبب إفلاس صاحبه، والمرشح الوحيد له هو إبراهيم، فلا أحد يمكنه الوقوف أمامه في هذا المجال.

قالت بدهشة:

- وما دخلنا نحن بذلك؟

زفر متضايقًا من غباءها وشرح لها قائلًا:

- تلك البيعة سترسو علينا نحن، سنجعل إبراهيم يتنازل لنا عنه وعن طيب خاطر منه.

بدأ يتضح لها الأمر وقالت متسائلة:

- وكيف سيحدث هذا؟ فأنت تعلم إبراهيم لا يردعه شيء.

قال بمكر:

- بل هناك شيء سيجعله يتنازل عن كل شيء يا عزيزتي جاسمين.

ثم استدرج قائلًا بحقد:

- إنها ليالي، هي نقطة ضعفه الآن، لو اختطفناها وهددناه بها سيفعل أي شيء نطلبه منه.

تساءلت بقلق:

- ولكن يا عمر أليست تلك مخاطرة؟

قال لها بغرور:

- لن تكون كذلك إذا كان أنا من يدير العملية، سأباشرها بنفسي، ما قولك؟

أجابته والكراهية تسابق أنفاسها:

- بالتأكيد معك، كم أتمنى رؤية تلك الحقيرة وهي مهانة.

أنهى المكالمة قائلًا:

- اتفقنا، حين يحين وقت البدء في الخطة سأخبرك.

أغلق الهاتف وهو يقول باستخفاف:

- اعذريني يا جاسمين، يجب أن يكون هناك كبش فداء.

ثم قهقه قائلًا:

- ولن أجد أفضل من والدك السمين لذلك، فأنا لن أتنازل عن تلك الصفقة لأحد، ولا حتى عن جزء منها.

أخذت ليالي تتجول في حديقة المنزل تلك الليلة، فمنذ اتصال أخيها زياد وهي لم تستطع النوم؛ جلست على الأرض وتلمست بأناملها الحشائش، تتحسس قطرات الندى عليها، تنهدت بغضب ثم رقدت على ظهرها تنظر إلى نجوم السماء وصاحت بنفسها معاتبة:

- ما بكِ يا ليالي؟ متى أصبحتِ قاسية القلب؟ لقد أخبركِ أخيك أنها مريضة وتريد رؤيتك!

ردت على نفسها مدافعة:

- أنا أحب السيدة هويدا للغاية، ولكنني أخشى من الذهاب، لا أريد رؤيته!

فأجابت قائلة:

- زياد أخبركِ أنه سيأتي معكِ ولن يتركك بمفردك أبدًا، فما الداعي للخوف! هيا المرأة وابنتها يحبانك.. وابنهما أيضًا كما

تعلمين، اتسعت عينها غضبًا فأسرعت تقول:

- أمزح، والآن ما ردك؟ عيب عليكِ أن ترفضي دعوتها.. هذا قولي الأخير ولن أتحدث ثانية.

فضحكت وهي تقول مازحة:

- لم أعهدك كاذبة يا ليالي.

عادت بنظرها إلى السماء تراقب النجوم وقد ارتاح قلبها بعد وصولها للقرار الأخير.

تجمعت العائلة على مائدة الإفطار وكان عمها منبينهم، كانت فرحة أبناؤه وزوجته بوجوده بينهما لا يسعها شيء، وقالت خالد بحبور:

- ما شاء الله يا أبي، أراك في خير حال، أدام الله عليك الصحة والعافية.

رد عليه والده وقال:

- اللهم آمين يا ولدي.

ثم التفت إلى ليالي وقال بامتنان:

- منذ مجيءليالي وأنا أشعر أن ذلك الهم الثقيل الجاسم على صدري قد ذهب إلى غير رجعة.

بعد انتهاء الجميع من الإفطار لحقت ليالي بابن عمها خالد، فوقف ينتظرها وهو يقول بفضول:

- خير يا ليالي، هل هناك شيء؟

قالت له بتوتر:

- كنت أريد أن أستأذنك في المغادرة، سوف أعود إلى الإسكندرية اليوم!

تجهم وجهه وعبس قائلًا:

- لم تريدين المغادرة؟ هل أزعجكِ شيء؟ هل ضايقكِ أحد؟ أخبريني

أسرعت تقول:

- لا أبـدًا على العكـس تمامًا، الجميع لطفـاء للغاية معي، الأمر وما فيه أنى أريد رؤية أخي زياد، لقد اشتقت إليه وهو كذلك، ولقد هاتفني بالأمس يريد مني زيارته.

هز خالد رأسه متفهمًا وقال لها:

- حسنًا كما تريدين، متى ستغادرين؟

أجابت:

- سأغادر في قطار الثانية عشرة..

قاطعها بصرامة:

- لا قطار ولا غيره، لديك سيارة تحت تصرفك يا ليالي.

لم تعترض، فالسيارة بالتأكيد ستكون أفضل فقالت تشكره:

- شكرًا لك.

ناولها شيئًا وهو يقول:

- تفضلي هذه بطاقتك الائتمانية، معذرة تأخرت في استخراجها لكِ.

قالت له بإحراج:

- شـكرًا لك، ولكن يا أستاذ خالد لا داعي لذلك أبدًا فأنتم لم تجعلوني أحتاج لشيء أبدًا.

زفر متظاهرًا بالضيق قائلًا:

- متى يا ليالي ستتعلمين عدم مناقشتي بشيء؟ كما تعلمين أنا لا أتراجع عن قراراتي أليس كذلك!

ابتسـمت ثـم تناولتهـا منه وأسـرعت عائـدة إلى غرفتهـا لتحضر حقيبتهـا لتغـادر إلـى الإسـكندرية.... ولكنهـا لـم تكن تعلـم أنها ستكون رحلة بلا عودة.

❖ ❖ ❖

الفصل الرابع عشر

«رحلة المخاطر»

بـدأت رحلـة ليالي وبدأ معهـا خفقان قلبها ، وظلت طـوال الطريق تتسـاءل لمـا سـيؤول إليـه الأمر فـي النهايـة! وبينمـا هـي غارقة في أفكارها رنَّ هاتفها ، فأجابت لتجدها شذى والتي صاحت بها بفرحة :

- ليالي، متى ستصلين؟ نحن ننتظرك على أحر من الجمر يا عزيزتي.

فرحـت ليالي باتصال شـذى، فهـي لم تتحدث معهـا منذ غادرت الإسكندرية وقالت لها بسرور :

- أمامي القليل بإذن اللّه.

قالت شذى بلهفة :

- لقد جهزت لكِ غرفتك، أنا سعيدة للغاية لعودتك يا ليالي.

قالت ليالي بحرج:

- ولكن...

قاطعتها شذى قائلة بسرعة :

- اسـمعي، طلبـت أمـي مـن نعيمـة أن تحضـر لـكِ طعامـكِ المفضل، الجميع هنا ينتظركِ بسعادة يا ليالي.

كانـت ليالـي قد قـررت أن تنزل في أحـد الفنادق، فهي لا تريد أن تتحدث مع والدة زياد ، ولا تريد رؤية إبراهيم، ولكنها شعرت بالإحراج من شذى، لذا لم تخبرها في الهاتف وقررت أن تخبر السيدة هويدا حين تقابلها ؛ لاحظت ليالي أن السائق يتصرف بغرابة فسألته بتوتر قائلة :

- ما الأمر؟ هل هناك شيء ما؟

أسرع قائلًا باقتضاب :

- لا شيء سيدتي.

ولكنه كان يراقب بقلق، تلك السيارة التي تتبعه منذ خرج من القاهرة، لم يخبرها لكي لا يشعرها بالخوف، ولكنه ظل متيقظًا طوال الطريق يراقب تلك السيارة وهو متحفز لأي ردة فعل تصدر عنهم؛انتهت الرحلة بسلام وتوقفت السيارة أمام منزل شقيقها زياد الذي كان في انتظارها أسفل البيت، نزلت من السيارة مسرعة، عانقها وهو يقول بشوق:

- اشتقت لكِ أيتها المشاكسة، كيف حالك يا ليالي؟

قالت له بسعادة:

- في خير حال، كيف حالك أنت وعائشة والجميع؟

أجابها بخبث:

- سأقبل بسؤلك عن عائشة، إنما الجميع تلك لا أستسيغها، ليست من قلبك.

أجابته بصدق:

- لم تقول ذلك! على العكس يا زياد، أنا أحبهم وليس معنى أننا نختلف أحيانا أن أكرههم.

ربت على كتفها وهو يقول:

- والآن هيا لتستريحي من عناء السفر.

قالت ممتنة:

- شكرًا لك يا أخي، ولكنني حجزت غرفة بفندق قريب سأقيم فيه طوال مدة وجودي هنا.

حاول أن يثنيها، ولكنها أقنعته، بالأخير وافق على مضض وشكرته لتفهمه، وقالت وهي تصعد ثانية إلى السيارة:

- سأغادر الآن وسآتي إليك لنذهب إلى السيدة هويدا في تمام الثامنة اتفقنا؟

هز كتفيه باستسلام قائلًا:

- حسنًا اتفقنا.

تحركت السيارة فقالت ليالي للسائق:

- أريد أن أذهب للتسوق، لذا فلنعرج على المجمع التجاري في طريقنا.

قال لها بآلية:

- حسنًا يا سيدتي.

كان السائق يراقب المرآة، وشعر بالراحة قليلًا حين اختفت تلك السيارة التي كانت تتبعه؛ وصلا إلى وجهتها، وأخذت تشتري الهدايا للجميع، نظرت إلى بطاقة الائتمان بتعجب وقالت بخشوع:

- الحمد لله، سبحان الله من يغير الحال إلى حال.

وصلت إلى الفندق وتوجهت إلى الاستقبال؛ أعطاها موظف الاستقبال مفتاح غرفتها وأخبرها أن حقابها ستتبعها مباشرة، وبالفعل ما إن دلفت إلى حجرتها حتى سمعت طرقات على الباب، فتحت لتجد حقائبها والحمال يستأذنها في وضعهما بالداخل، شكرته قائلة:

- شكرًا لك لا داعي، أنا سأقوم بذلك.

اعترض قائلًا:

- لا يا سيدتي هذا عملي، سأدخلهم بنفسي.

كانت طريقته في انتزاع الحقائب من يديها غير مريحة، عبست قائلة:

- قلت لك اتركهم، يمكنك الانصراف الآن.

نظر لها بطريقة أقلقتها، وضع يديه في جيبه كأنه سيخرج شيء وهو يتقدم نحوها، تسرب الخوف إلى قلبها فنظرات الرجل إليها لم تكن مريحة على الإطلاق، وفجأة ظهر حمال آخر يتبعه نزيل إلى حجرته فأعاد يديه بجانبه ثانية ورحل على عَجل، أخذت حقيبتها ودخلت إلى حجرتها وأغلقت الباب وهي تشعر بالاضطراب الشديد، في المساء توجهت إلى أخيها، رنت على هاتفه فلم يجب، اتصلت على عائشة فوجدت هاتفها مغلق؛ شعرت بالقلق وبعد صراع قصير بينها وبين نفسها قررت أن تترجل من السيارة وتصعد إليه، كانت تدعوا

اللّه ألا تقابل والدة زياد أو ابنتيها، ولكنها فوجئت بباب الشقة يفتح لتقف وجها لوجه أمام المرأة التي ما أن رأتها حتى صاحت بها بحقد:

- لم أتيت؟ لو ظننتِ أنكِ قادمة لأجل إغاظتنا فأنت واهمة، وغدًا ستطردين أيضًا من بيت عمكِ وستعودين إلينا ذليلة كما كنتِ دائمًا.

كان حقد المرأة وحده كفيل بجعل ليالي تترفع عن الرد عليها بكلمة واحدة، بل صعدت إلى أخيها وطرقت الباب، وبعد قليل فتحت عائشة التي صرخت بفرحة غير مصدقة وقالت:

- ليالي! ما هذه المفاجأة السعيدة! ما شاء اللّه، ما شاء اللّه، أخشى أن أحسدكِ يا فتاتي.

ضحكت ليالي وهي تقول:

- أحسدي كما تشائين، لن ألقى سوى قدري، والآن أين زوجك لكي أقوم بعضه لما تسبب لي من مشاكل.

فهمت عائشة ما ترمى إليه ليالي، فأدخلتها وهي تغلق الباب خلفها قائلة:

- هل قابلتِ أحد منهم؟

قالت لها بلامبالاة:

- الرأس الكبيرة.

ضحكت عائشة قائلة:

- وكفى بها مقابلة، مرة واحدة منها ستكفيكِ لعشر سنواتٍ إلى الأمام.

خرج زياد على أصوات ضحكاتهم وقال:

- يا ترى على من تجتمعن؟ كان اللّه في عونه!

قالت ليالي وهي تلتقط حقيبتها لتستعد للمغادرة:

- على فضيلتك، وأسرع قبل أن نفعل بك ما اتفقنا عليه.

فتح باب الشقة وهو يقول مازحًا:

- من بعدكِ يا سيدتي الجميلة.

كانت تشعر أن سهام من اللهيب تخترق رأسها من الخلف وهي تصعد إلى السيارة، لم تمضِ عشرة دقائق حتى كانت السيارة تقف أمام فيلا إبراهيم، ترددت قليلًا، وضع زياد يده على كفها بحنان وهو يطمئنها قائلًا:

- لا تقلقي فأنا معكِ.

ابتسمت في وجهه وفتحت الباب ونزلت من السيارة وهي تمتم تدعوا الله أن تمر الأمور على خير، دقت جرس الباب ففتحت لها السيدة نعيمة الباب والتي ابتسمت في وجهها ببشاشة وقالت:

- ليالي، حمدًا لله على سلامتك يا ابنتي، اشتقت لكِ.

عانقتها ليالي وهي تقول بابتسامة:

- وأنتِ أيضًا والله.

قالت لها وهي ترمق زياد بفضول:

- تفضلي، السيدة هويدا وابنتها ينتظراك في غرفة المعيشة.

ظنت ليالي أنها ستقابل السيدة في غرفتها؛ تبعت نعيمة وهي مشغولة البال بشيء آخر، فدخلت وهي تتلفت حولها تخشى من مقابلة إبراهيم، ولكن ظهر الارتياح على وجهها حين وجدت السيدة هويدا وشذى وحدهما بالغرفة، فتحت السيدة هويدا ذراعيها لتحتضن ليالي وهي تقول معاتبة:

- أهكذا ترحلين دون حتى وداعي؟ لم أكن أعلم أنني لا قيمة لي عندك لتلك الدرجة!

تعجبت ليالي، فالسيدة هويدا تبدو في صحة جيدة، ولكنها أسرعت ليالي قائلة:

- أنتِ قيمتكِ عندي لا تقدر بثمن، الله يعلم كم كنت أفتقدك طوال تلك الفترة.

أبعدتها عنها برفق لتنظر إلى عينها وتقول بأسى:

- لو كنتِ كذلك فعلًا لما رحلتي وتركتينا.

شعرت بالإحراج ولم تجد ما تقوله فأنقذتها شذى وهي تقول:

- أنا متأكدة أن هناك سوء فهم بالأمر يا أمي، وأن المياه ستعود بالتأكيد إلى مجاريها الطبيعية، والآن حان دوري في معانقتك أيتها الجاحدة.

ابتسمت ليالي وهي تعانق شذى التي همست في أذنيها قائلة:

- اشتقت لكِ يا ليالي، لن أتركك ترحلين ثانية.

تنحنح زياد بإحراج وقال:

- حسنًا يا ليالي سأنتظرك أنا في الخارج، سأجلس على الشاطئ قليلًا.

رمقته السيدة هويدا بفضول غاضب، وتبعته بنظرها إلى أن خرج، ثم التفتت إلى ليالي لتسألها:

- ومن يكون هذا؟

إجابتها:

- إنه أخي زياد، كنت قد حدثتكم عنه من قبل.

لانت ملامح المرأة، ولم تكن شذى بأقل من والدتها ارتياحًا، أشارت لها السيدة هويدا أن تجلس بجانبها وتحدثها عن كل شيء منذ رحلت.

خرج زياد إلى حديقة الشاطئ، وما إن خطا خطوتين حتى مدت يد وجذبته إليها، تجهز زياد ليلكم الفاعل، ولكن يديه توقفت على بعد إنش واحد من وجه الفاعل، والذي لم يكن سوى إبراهيم الذي أوقف يدي زياد وهو يقول:

- توقف إنه أنا!

قال له زياد بتعجب:

- ولم حركات قطاع الطرق تلك!

قال إبراهيم بلهفة متجاهلًا كلمات زياد:

- هل جاءت معك؟

أجابه زياد ساخرًا:

- وهل تظن أنني أتيت لزيارة والدتك وحدي مثلًا!

تجاهله إبراهيم للمرة الثانية وهو يقول:

- حسنًا، هكذا جيد، بعدما تتحدث معها أمي تجلبها أنت لي هنا.

قال له زياد متهكمًا:

- أتعلم يا إبراهيم! ينقصك عرق من عروقك.

نظر له إبراهيم متعجبًا، فأكمل زياد:

- أجل، ينقصك عرق مصري، تريد مني أن أجلب لك أختي! ما شاء الله، على أساس أنني ماذا بالنسبة لك!

قال إبراهيم بنفاد صبر:

- تجلبها إلى هنا لكي أستطيع أن أتحدث معها بعدما تقنعها والدتي، وأنت بالتأكيد ستكون موجود، انظر يا أذكى إخوتك حضرت طاولتين ستكون بجانبنا، أفهمت؟

قال له زياد باستفزاز:

- أنا أفهمك منذ البداية يا عزيزي.

ضغط إبراهيم على أسنانه بغيظ ووقف ينتظر خروج ليالي بفارغ الصبر.

مسحت ليالي دمعة تساقطت من عينيها وهي تقول بحزن:

- هذا هو كل ما حدث يا أمي، لم أخفِ عنكِ شيئًا واحدًا.

ربتت شذى على كتف ليالي وهي تنظر إلى والدتها وكأنها تقول:

- أرأيتِ تسرع أخي في الحكم عليها!

أمسكت السيدة هويدا كف ليالي بين يديها وقالت لها برزانة:

- لقد أخبرني إبراهيم بكل ما حدث يا ابنتي.

نظرت لها بتعجب، فأكملت قائلة بنفس الهدوء:

- أجل أخبرني بكل شيء، وبعدما انتهى سألته وقلت «هل أنت تصدق كل ما حدث مع وجود الأدلة التي قلت عليها؟»، أتدري بما أجاب؟

ظهر التساؤل في عيني ليالي، فقالت السيدة هويدا بابتسامة:

- قال لي لا، لا أصدق أي شيء مما قالته جاسمين.

أرادت ليالي أن تعترض، ولكن السيدة هويدا استوقفتها قائلة:

- أعلم أنكِ ستقولين ولم إذن فعل ما فعل؟ سأخبرك بشيء يا ابنتي ليس دفاعًا عن ابني، بل يعلم الله أنني عاتبته وقلت له كلمات قاسية لم أقلها في حياتي مطلقًا، ولكني أخبرك بها لكي تعلمي ما كان يجول في صدره وتلتمسين له العذر، إبراهيم ابني كان قد خطب ابنة عمه حين كنا في إسبانيا.

خفضت شذى يديها من على كتف ليالي وظهر الأسى على وجهها، فشعرت ليالي بالفضول الشديد وعادت بنظرها إلى السيدة هويدا تستمع إلى باقي القصة، تنهدت السيدة هويدا وقالت بأسى:

- أجل يا ابنتي، كان قد خطب ابنة عمه وكان يحبها، كانت فتاة جميلة ومثقفة، ولكن كانت متحررة أكثر من اللازم، لم أكن مرتاحة لتلك الزيجة، ولكن سعادة ابني جعلتني أوافق على مضض، ولكنني أخبرته أنني لا أوافق عليها، بل لأجل أنه هو يريدها وبيوم عقد قرانهما اكتشف أنها كانت على علاقة بشاب، كانت قد تعرفت عليه أثناء سفرها لأمريكا وأنهما يتقابلان حتى بعد أن تمت خطبتها له، لكِ يا ابنتي أن تتخيلي مقدار صدمته وهو ببدلة عرسه يكتشف مثل تلك الأمور! لن أخبرك عن تلك الليلة المشؤومة وما حدث بها من كوارث، ومن يومها لم ينظر إبراهيم إلى أية فتاة أبدًا، وهكذا كون فكرة عن النساء أنهن غانيات لا يبحثن سوى عن المال، إلى أن قابلكِ أنتِ يا ابنتي صدقيني إنه يحبك بشدة، لطالما كنت أنا واخته نعرض عليه العديد والعديد من الفتيات، ولكنه كان يأبى الزواج، بل كان يقول إنه لن يتزوج أبدًا إلى أن قابلكِ وبدأ بالتغير.

بدأت الأمور تتضح أمام ليالي وتذكرت لقائهما الأول، وكيف كان يهاجمها ويعاملها على أنها لاهثة خلف المال، وبدأت تفهم لمَكان يتصرف تجاهها بتلك الطريقة في بداية علاقتهما؛ كانت السيدة هويدا تتفرس في وجهه ليالي وشعرت أن كلماتها قد لاقت

قبولًا لديها فقالت لها:

- كما أخبرتك يا ابنتي لن تجدي أحد يحبك مثل إبراهيم، التمسي له العذر يا ابنتي، الأمر قد سبب له عقدة نفسية، ولكن بفضلك أنتِ قد ذهبت تلك المشاعر السلبية التي بداخله ولم يتبق منها شيء، أنتِ كنتِ ممرضة وبالتأكيد تعرضت لثورات بعض المرضى، وأنا واثقة بأنكِ كنتِ تسامحيهم لعلمك أنهم لا يتصرفون بطبيعتهم بسبب مرضهم، وابني مريض يا ليالي، وأنتِ لستِ مجرد ممرضة، أنتِ طبيبته يعنى أنه واجب عليكِ أنتِ تتحمليه حتى تخرجي به إلى بر الأمان.

ثم قالت بغموض:

- بمناسبة أنك طبيبة، أنا نسيت دوائي في الحديقة الخلفية على الشاطئ، هلا تكرمتِ وأتيتني به يا ابنتي! لقد حان موعد الدواء.

وقفت شذى وقالت وهي تهم بالذهاب:

- انتظري أنتِ يا ليالي، سأذهب أنا.

جذبتها أمها من ردائها بعنف وهي تقول بحسم:

- اجلسي أنتِ، ليالي تعرف الدواء جيدًا، هيا يا ابنتي فلتأتين بالدواء ليرتاح قلبي.

نظرت ليالي إلى شذى بتعجب، والتي لم تكن بأقل تعجبًا من ليالي، قامت تلك الأخيرة وتوجهت إلى حديقة الشاطئ وفتحت الباب لتجد إبراهيم واقفًا أمامها؛ همت بأن تعود للداخل، ولكن زياد وقف خلفها وهو يقول مازحًا:

- الجو هنا جميل، هيا لنستنشق بعض الطحالب هيا.

أجلسها وهو يهمس في أذنها قائلًا:

- خمس دقائق ستريح الجميع يا ليلتي، أنا أمامك هنا لن أرحل.

جلست وهي تشعر بدماء الخجل تكاد تنفجر من رأسها، جلس إبراهيم أمامها وقال:

- أظن أن والدتي قد شرحت لكِ كل شيء.

ضاقت حدقتاها ورفعت رأسها إليه بعنف، فقال لها مبتسمًا:

- أجل اتفقنا أنا ووالدتي على ذلك، وهذا الأخ الجالس بجوارنا مثل الشوكة في الحلق.

ثم قال بجدية:

- ليالي، ما مررت به أنا لم يكن هينًا صدقيني، ابنة عمي تلك لم تكن الوحيدة التي صدمت بها، بل كان هناك العديد من النساء، حتى المتزوجات منهن النقود كانت تعمى أعينهن، لا يهمهن شيء سوى المال، لن تصدقيني إذا قلت لكِ أن هناك بعض الرجال هم من كانوا يرسلون لي زوجاتهم طالما الأمر سيعود عليهم بالنفع.

شعرت بالغثيان لحديثه وتعجبت قائلة:

- أهناك تلك الأصناف من البشر حقًا!

هز رأسه بأسى قائلًا:

- بل يوجد الأسوأ، لهذا حين قابلتك شعرت أنكِ مختلفة، لستِ كمن عرفتهن أبدًا، وحين علمت أنني بدأت أكن لكِ المشاعر خفت أن أمر بتلك التجربة ثانية فحاربت نفسي قبل محاربتك، عينتك في الشركة لكي أخرجكِ من حياتي، خشيت أن أصدم بكِ أنتِ أيضًا، أقسم لكِ إنني...

قاطعهما زياد وهو يرتشف العصير ويقول:

- لقد انتهت الخمس دقائق يا شباب.

نظر له إبراهيم بغيظ، بينما كتمت ليالي ابتسامتها وسمعت إبراهيم يقول:

- ممكن مدة ثانية لو سمحت؟

نظر له زياد وهو يقول بابتسامة مستفزة:

- ممكن طبعًا، ممكن لما ليس ممكنا! بالتأكيد ممكن..

قاطعه إبراهيم بنظرة غاضبة، فأعاد زياد بصره إلى الشاطئ وهو

يضحك بصوت عال، عاد إبراهيم ينظر إلى ليالي وفتح فمه ليتحدث ثم قال مفكرًا:

- ماذا كنت أقول؟ لقد نسيت.

كتمت ليالي ضحكة كادت تفلت منها رغمًا عنها، فقال لها إبراهيم برقة:

- لا داعي إذن لكي أكمل، يكفيني رؤيتكِ وأنت تبتسمين هكذا، والآن يا ليالي هلا سامحتني! أرجوك، أنا أعلم أنني مخطئ، لهذا أستحق أي عقاب توقعينه بي، لكن لا تتركيني، هذا ما لم أحتمله أبدًا.

اختلست نظرها إلى شقيقها الذي قال له محركًا شفتيه بدون صوت:

- مسكين يحتاج للعطف اعطفِ.

وضعت يديها على فمها لتخفي ابتسامتها، فتهلل وجه إبراهيم وقال بغبطة:

- إذن لقد سامحتني، أنا سعيد للغاية يا ليالي.

ذهلت وأرادت الاعتراض، ولكن أخيها لم يمهلها، بل قام واحتضن إبراهيم وهو يقول مازحًا:

- مرحبًا بك يا صهري العزيز الغالي الغني الوسيم الأحمق.

احتضنه إبراهيم باسمًا وهو يقول:

- شكرًا لك، أنا لا شيء بجوار حماقتك يا أخي.

قالت ليالي معترضة:

- لم تهنئون بعضكم البعض هكذا؟ أنا لم أوافق ولم أعطِ رأيي بشيء.

أجابها زياد متهكمًا:

- صدق المثل القائل «يتمنعن وهن الراغبات».

حدقت فيه بعتاب، ولكن إبراهيم قال لها بحنان:

- وأنا أنتظر ردك، أرجوكِ وافقي وسامحني واجعليني أسعد رجل بهذا العالم، وأعدك أن أجعلكِ أسعد امرأة في هذا العالم يا ليلتي.

كاد قلبها يقفز من صدرها بسبب خفقانه من السعادة واشتعلت وجنتاها بحرارة الخجل، فربت زياد على كتف إبراهيم وقال بجدية:

- مبارك لك يا إبراهيم، فلتحافظ عليها فهي أثمن كنز لدي.

هنا دخلت السيدة هويدا وهي تقول ببشاشة:

- تأخرتِ عليّ في جلب الدواء، فقلت آتى أنا وآخذه بنفسي.

قبّل إبراهيم يد والدته وهو يقول بامتنان:

- لقد وافقت ليالي يا أمي وسامحتني، شكرًا لكِ يا أفضل أم في هذا الكون بأكمله.

ضحكت بسعادة وقالت وهي تنظر إلى ليالي:

- حمدًا لله، هذا هو أفضل دواء لقلبي يا ابنتي، شكرًا لكِ.

مرت الليلة كالحلم بالنسبة لليالي، فهي لم تصدق أنها ستعود إلى إبراهيم يومًا ما، وظنت أن قصتهما قد انتهت عند هذا الحد، كانت تجلس بجوار أخيها والسعادة بادية على وجهها قال زياد مازحًا:

- من يراكِ الآن لا يصدق أنكِ نفس الشخص الذي كان معي ونحن قادمان.

لكزته بمرفقها فقال متظاهرًا بالألم:

- ما هذا! هل لديك حديد بدلًا من العظام، أما زلتِ مصرة على المبيت في الفندق؟

قالت له معتذرة:

- أعذرني يا زياد، لكن لن يمكنني الذهاب معك، فوالدتك وأختيك لن يمرروها مرور الكرام، وستحدث مشاكل وفي الحقيقة أنا بمزاج جيد ولا أريدهم أن ينكدون على سعادتي.

قال لها باستسلام:

- حسنًا لكِ هذا، ولكن لو كان الفندق بعيدًا ما كنت وافقت.

وقفت ينظر إلى السيارة وهي ترحل حتى اختفت عن الأنظار فصعد إلى شقته، ففتحت له عائشة الباب قبل أن يطرقه، فتفاجئ

من فعلتها ولكنه فهم الأمر حين سألته بلهفة:

- ما هي الأخبار؟ أكاد أموت من الفضول والقلق!

ضحك وقال لها:

- أدخليني أولًا ثم اسألي ما بدا لكِ.

أغلق الباب ثم جلس يسرد عليها ما حدث ووجهها يتهلل من السعادة، وصلت ليالي إلى الفندق فأخذت مفتاحها وصعدت إلى غرفتها، ألقت بنفسها على الفراش وهي تبتسم بسعادة، نهضت لتبدل ثيابها ثم اتصلت بسلوى التي أتى صوتها ناعسًا وهي تقول:

- ليالي خيرًا! هل حدث لكِ شيء؟

قالت ليالي بسعادة:

- بل قولي أشياء، انهضي وأفيقي عقلك يا فتاتي لتسمعي ما هو آتٍ!

جلست سلوى على فراشها وعينيها تتسع غير مصدقة، وصاحت بها بفرح:

- أحقًا يا ليالي! لا أصدق والله، السيدة هويدا تلك ليست سهلة على الإطلاق، يمكنها أن تصبح رئيسة عصابة.

ضحكت ليالي وقالت بسعادة:

- لو رأيتها ستحبينها جدًا هي امرأة رائعة.

هتفت سلوى قائلة:

- معكِ حق، من حديثك عنها أحببتها للغاية، ربنا يرزقني بحماة مثلها.

قالت ليالي بخبث:

- اطمئني، حماتك طيبة جدًا أنا أعرفها.

تلعثمت سلوى وهي تقول بحرج:

- ماذا تقصدين؟ وكيف تعرفينها وأنا لست مرتبطة بأحد! لغز هذا أم ماذا؟

قالت لها ليالي:

- سلوى، أنا أجل كنت في عالم آخر وقتها، لكن أيضًا كنت باتصال بعالمنا هذا، ورأيت كيف كانت نظرتكِ له يا آنستي.

قالت سلوى متظاهرة بالغضب:

- من له هذا! إلام تلمحين أنا لا أفهمك؟

ردت ليالي بمكر:

- أقصد خالد ابن عمي، من أوقعكِ فقط من مرتين رأيته فيهما.

حاولت سلوى الإنكار لكن ليالي قاطعتها قائلة:

- سلوى لما الحرج؟ أن تحبي شخصًا هو شيء ليس بحرام ولا بعيب، طالما لم تغضبي الله، قلبكِ ليس بيدكِ...

وفجأة سمعت ليالي طرق على الباب، نظرت في الساعة فوجدتها الثانية بعد منتصف الليلة، فشعرت بالقلق وهي تتساءل:

- من سيطرق بابي الآن؟

سألتها سلوى وقد تسلل القلق إليها هي الأخرى:

- أنتِ طلبتِ طعام أو أي شيء آخر؟

أجابت نافية:

- لا أبدًا لم أطلب شيء!

قالت سلوى:

- إذا فلتجيبي الطارق، وأنا معكِ على الهاتف.

اقتربت ليالي من الباب وهي تقول بقلق:

- من؟ من الطارق؟

أتاها صوت امرأة تقول بضراعة:

- أنا نزيلة بالغرفة المجاورة لكِ، أرجوكِ لو عندكِ ثلج أو مياه مثلجة آتي بها، ابنتي لديها حمى ولا أحد يجبني من الأسفل.

شعرت ليالي بالاطمئنان وأخبرت سلوى بالخبر التي قالت لها:

- حسنًا لك لا تغلقي الخط، أعطيها ما تريد وأنا معكِ على الهاتف...

وبالفعل فتحت ليالي لتعطى السيدة الثلج وهي تقول:

- تفضلي وأسأل الله أن..

فجأة بترت عبارتها وصرخت برعب؛ كان أمامها رجلين ضخام الجثة، كممها أحدهما أما الآخر حملها من قدميها، وأسرع الاثنان يهربان، رآهما موظف الاستقبال، ولكنه غض الطرف عنهم، فالأموال التي منحوه إياها تجعله يفعل أكثر من هذا، كانت سلوى تصرخ في الهاتف تنادي على ليالي، فقد اختلج قلبها رعبًا حين سمعت صوت صراخ ليالي، ولم تسمع أي شيء بعدها سوى الصمت المطبق، لم تدرِ كذلك ماذا تفعل، فأعادت الاتصال بها ولكن كان رنين بلا إجابة، أخذت تفكر فيمن تتصل! فكرت في أخيها أول شيء، ولكنها لا تعلم رقم هاتفه، وفجأة تذكرت أن ليالي قد اتصلت بها من هاتف ابن عمها خالد من قبل، فأسرعت تتصل به فرد وهو يقول بقلق:

- ألو، مَن؟

صاحت به منهارة:

- أنا سلوى صديقة ليالي.

تذكرها على الفور فقال لها مهدئ إياها:

- أجل أعرفكِ يا سلوى، اهدأي ما بك؟

قالت وهي تبكي:

- كنت أتحدث مع ليالي في الهاتف، وفجأة طرق أحدهم الباب ثم سمعت صراخها وانقطع صوتها تمامًا، حاولت الاتصال بها لكن ما من مجيب!

قفز من فراشه وهو يقول لها بسرعة:

- حسنًا شكرًا لكِ، أغلقي الهاتف الآن أنا سأتصرف.

اتصل على السائق فأجابه بقلق:

- مرحبًا خالد بك.

قاطعه بصرامة:

- أين أنت الآن؟

قال الرجل بقلق:

- أنا بغرفتي في الفندق الذي تنزل فيه الآنسة ليالي.

قال له آمرًا:

- هيا اذهب إلى غرفتها حالاً وتفقد الأمر، بملابس نومك، أسرع.

أسرع الرجل على عَجل إلى غرفة ليالي، وصعق حين رأى باب غرفتها مفتوح وهاتفها ملقى على الأرض، صاح به خالد بغضب وقال:

- أخبرني هل وجدتها؟

قال الرجل بخفوت:

- ليست في غرفتها ،وهاتفها ملقى على الأرض يا سيدي

قال له بصرامة:

- الآن توجه إلى قسم الشرطة وأخبرهم أنك سائقي، وقدم بلاغ باختفائها، هيا على الفور.

أغلق الرجل الهاتف ثم أسرع لينفذ ما أمر به، اتصل خالد على الفور بإبراهيم الذي أجاب وهو نصف نائم:

- مرحبًا!

رد عليه خالد قائلًا:

- أنا خالد ابن عم ليالي.

شعر إبراهيم بالضيق وكاد يقول له هل ترى كم الوقت الآن! لكن خالد أكمل قائلًا بنفس الجدية:

- لقد تم اختطاف ليالي منذ خمس دقائق.

اعتدل إبراهيم وبرقت عينيه غير مصدق، وصاح به قائلًا:

- ماذا؟ ماذا تقول أنت؟

زفر خالد بنفاد صبر وقال بغضب:

- كما سمعت، أحدهم اختطفها، أنا أبلغت السائق أن يذهب لقسم الشرطة ليقدم بلاغًا، والآن فلتذهب أنت وتلحق به، فبوجودك

سينجز الأمر سريعًا.

لم يدرِ إبراهيم كيف ارتدى ملابسه، ولا كيف وصل إلى قسم الشرطة، قدم بلاغًا وطلب أن تتحرك القوات في البحث عنها، وبينما هو ينتظر بالقسم إذ دخل عليه زياد والقلق والخوف باديان على وجهه وقال:

- هل حقًا خُطفت ليالي يا إبراهيم؟

لم يجب إبراهيم وظل صامتًا، سقط زياد على المقعد وقال بحزن:

- أنا السبب، لم يكن يجب عليّ أن أوافقها وأجعلها تبيت وحدها في الفندق، أنا السبب.

خرج معاون المباحث وهو يقول لإبراهيم:

- هيا معنا، سنتوجه الآن إلى الفندق لنجري التحقيق.

قاطعه إبراهيم قائلًا بحنق:

- تحقيق ماذا! لقد قلت لك إنها خطفت؛ لم سنتوجه إلى الفندق؟ عليكم أن تبحثوا عنها، لا أن تحققوا.

كان الضابط يعلم بمدى قلقه على خطيبته، لذا عذره في انفعاله وقال يطمئنه:

- يجب أن نجري التحقيق لنصل إلى الفاعل، فهناك هو أول الخيط يا سيد إبراهيم، ولا تقلق إن شاء الله سنعيدها لكما سالمة.

رد الاثنان في وقت واحد:

- آمين.

كانت ليالي تشعر بالرعب، فلقد وضع الرجلين عصبة على عينيها وكمما فمها وكبلاها من يديها ورجليها وألقوا بها في حقيبة السيارة، أخذت تردد دعاء سيدنا أيوب ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾، بعد فترة طويلة وهي بداخل السيارة شعرت بأن السيارة تنحرف وبدأ الطريق يصبح أكثر وعورة، إذ كانت ترتطم

في جوانب السيارة بسبب ذلك، ومع توقفها شعرت بالآلام في جميع أنحاء جسدها؛ فتح أحدهم باب السيارة ليخرجها بعنف، فصرخت بألم بصوت مكتوم لم يبالِ بها وساقها أمامه وهي تتعثر، لا تدري إلى أين تذهب، وأخيرًا دفعها أمامه لتسقط على فراش ملقى على الأرض، اقترب منها أحدهم وسمعته يقول لها بصوت أجش:

- لو أردتِ ألا يمسك أحد بأذى حكمي عقلك ولا تتصرفي أي تصرف طائش.

هزت رأسها بالإيجاب وكانت تدعو الله في سرها أن ينجدها مما هي فيه؛ في تلك الأثناء تجمع كل من زياد وإبراهيم وخالد الذي أتى في طائرة على الفور، كان خالد يراقب مجريات التحقيق والاستماع لموظفي الفندق؛ مال على إبراهيم وهو يقول بخفوت:

- أنا لست مرتاحًا لموظف الاستقبال ذاك.

وافقه إبراهيم قائلًا:

- معك حق، أنا أيضا لست مرتاحًا له ولا لتلك المرأة.

أشار لـ عاملة نظافة يبدو عليها الارتباك والقلق، فقال له خالد وهو يقف:

- لندع الشرطة تقوم بعملها، ولنقم نحن بعملنا.

اقترب إبراهيم من المرأة وهو يقول لها بلهجة آمرة:

- تعالي معي، خالد بك يريد استجوابك.

انتفضت المرأة بخوف وقالت وقد جف حلقها:

- لقد استجوبتموني منذ قليل.

صرخ بها قائلًا:

- أنتِ تنفذين ما تؤمرين به فقط، هيا تعالي معي.

تبعته المرأة باستسلام وهي ترتجف، ساقها إلى غرفة السائق، أدخلها وأغلق الباب خلفها وتجمع الاثنان عليها حتى انهارت المرأة واعترفت أن موظف الاستقبال هو من طلب منها أن تفعل ذلك؛تطرق

الباب وتقول بضع كلمات ثم ترحل مسرعة، فأخذاها إلى معاون المباحث، فقصت عليه الأمر ليستدعي موظف الاستقبال الذي أنكر في البداية ثم اعترف بالأخير أنه وجد رسالة موضوعة في صندوق بريد بيته فيها شيك بمبلغ كبير ومعها رسالة مكتوب فيها أن يغض الطرف عما سيحدث بالفندق تلك الليلة، ولأنه يمر بضائقة مالية وافق؛ سأله الضابط عن هوية المرسل وهل كان هناك عنوانًا أم لا، فأخبره أنه لا يعرف من أرسل تلك الرسالة، فلم يكن عليها عنوان أو أي شيء آخر، وأنه لم ير وجوه القادمين لأنهم كانوا يلبسون قبعات ومعاطف ذات ياقات كبيرة ويضعن نظارات شمسية قد أخفت وجوههم بالكامل، أسقط في يدي الجميع فها هم يعودون إلى نقطة البداية من جديد.

مر يوم كاملًا وليالي لا تزال معصوبة العينين، ولكنهم قد حرروا قدميها وأزالوا كمامة فمها، كانوا صاخبين للغاية، كانت الدقيقة تمر عليها كأنها دهرًا من الزمن، لم تكن خائفة من القلق بقدر ما كانت خائفة من أن يقترب منها أحد منهم، ومما زاد من رعبها أن المكان كان ممتلئ برائحة الدخان، كانت تسعل بشدة فقال أحدهم ساخرًا:

- ليفتح أحدكم النافذة قبل أن تموت تلك العصفورة.

قال أحد المجرمين بضجر:

- أين هو الدخان هذا! لو كنت أملك نقودًا كنت ابتعت لفائف دخان محشوة، ولكن للأسف.

رن جرس ما في المكان، وسمعت ليالي أحدهم يفتح بابًا ما، كانت تشعر بخطوات القادم على الأرض، ثم سمعته يقول بصوت غليظ:

- من أخبركم أن تضعوها هنا؟ ألم أخبركم أن تضعونها بالغرفة الداخلية؟ ثم ما هذا!

وأشار إلى لفائف الدخان، وعندما لم يجبه أحدهم، سمعت ليالي صوت خطواته ثم صوت صفعة قوية يتبعها صوت ارتطام مصاحب

لآهة مكتومة؛ جفلت ليالي وشعرت بالخوف حين شعرت به يقترب منها؛ جذبها إليه لتقف، صرخت برعب فزاد من ضغط قبضته على ساعدها وهو يقول بصوته الغليظ مرسلًا الرعب في أوصالها:

- صرخة أخرى وأجعلك تتمنين الموت، فهمتِ؟

هزت رأسها برعب فقال وهو يدفعها أمامه:

- جيد، والآن تحركِ أمامي.

سارت ليالي أمامه على غير هدى، لا ترى شيء بسبب العصابة التي على عينيها، فتح باب وفك وثاق يديها ثم دفعها إلى الداخل سقطت على قدميها وسمعته يقول لها:

- بعدما أغلق هذا الباب يمكنكِ أن ترفعي تلك العصابة التي على عينيكِ، ولو أردتِ شيئًا اطرقي على الباب سيأتيكِ أحدهم، وأحذرك لو طرقتِ الباب لسبب تافه فالعواقب ستكون وخيمة.

نظر لها طويلًا ثم أغلق الباب بعنف فقفزت مكانها رعبًا، ظلت متحجرة في مكانها لبرهة تخشى أن يكون لازال واقفًا، وبعد دقائق أزالت عصبة العين بيد مرتعشة، تلفتت حولها كانت تمكث بغرفة مليئة بقطع غيار سيارات قديمة ومعدات زراعية وماكينات لم تدرِ ماهيتها، وعلى ما يبدوأنهم أزاحوا بعضًا من تلك الأشياء ليفسحوا مكان ليضعوا لها فيه سرير، تحاملت على نفسها وارتمت عليه من التعب والإرهاق، وعلى عكس ما توقعت ذهبت في سبات عميق.

لم يذق إبراهيم طعم النوم، كان عقله يفكر بمصير ليالي أين هي؟ ماذا تفعل؟ هل هي مجروحة؟ هل أذاها خاطفيها؟ كان كالأسد الحبيس، أخذ يذرع غرفته جيئًا وذهابًا، دخلت عليه والدته اقتربت منه وهي تقول بأسى:

- هل هناك أي خبر عنها يا ولدي؟

هز رأسه نفيًا وهو يقول بقهر:

- لا يا والدتي، لا يوجد أي أخبار عنها.

كان صوته حزينًا تعيسًا، فربتت والدته على كتفه وهي تقول له:

- اطمئن يا ولدي، إن شاء الله ستكون بخير، ليالي فتاة ملتزمة وطيبة وأنا مؤمنة بأن الله لن يضيعها، فلتدعوا لها الله واستبشر خير ولدي.

قال لها متمتمًا:

- إن شاء الله يا أمي، يا إلهي فلتعيدها إليّ سالمة، أنا لا أريد أي شيء من الحياة غيرها.

شعرت والدته بالشفقة عليه فتركته وخرجت، دموعها قد انسابت على خدّها، أغلقت الباب خلفها ثم رفعت يديها إلى السماء وقالت:

- يارب لو حدث لها شيء، فأنا لن أفقد ابنتي وحدها، بل ابني سيموت معها، حتى وإن كان حي بيننا؛ اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيرًا منها.

كان زياد يجلس واجمًا، اقتربت منه عائشة ومعها كوب من العصير، ناولته إياه قائلة برجاء:

- زياد، تناول حتى هذا العصير، فأنت لم تذق أي شيء منذ يومين، سينهار جسدك هكذا.

نظر لها بعينين ذابلتين وقال بخفوت:

- من أين لي الشهية لفعل ذلك يا عائشة؟

جلست بجانبه وقالت وهي تغتصب ابتسامة:

- أنا لم أعطك طعامًا لتقول شهية، إنما هو مجرد كوبًا من العصير لتتقوى به حتى يمكنك البحث عنها، هكذا لن يكون لديك أي جهد.

وبينما هي تتحدث معه دخلت عليه زوجة أبيه، فلما رأته على تلك الحالة قالت ساخرة:

- من يراك هكذا يظن أن أباك قد مات، أتعلم! أنا واثقة أنها فعلت كل هذا لكي يعود لها ذلك الرجل الغني و....

لم يكن زياد ليتحمل أي من تلك الكلمات، وقبل أن يتحدث هو

قالت لها عائشة بصرامة:

- يا عمة، تلك الكلمات لا داعي لها الآن، زياد غير مستعد لكي يدخل معكِ في أي نقاش.

قالتها ثم عاونت زوجها على النهوض وهي تقول باقتضاب:

- أستمحكِ عذرًا، سندخل لكي نرتاح قليلًا، البيت بيتك.

صدمت المرأة من حديث عائشة وطريقتها في الكلام، فخرجت مسرعة وهي غاضبة وصفعت الباب خلفها بعنف.

لم تدرِ ليالي كم مر عليها من الوقت وهي نائمة، فتحت عينيها ببطء ثم جلست على الفراش، شعرت بالألم في رقبتها فأخذت تحركها يمينًا ويسارًا، وفجأة سمعت صوتًا خلف الجدار المقابل لها، ألصقت أذنيها بالجدار فسمعت صوت شباب يتضاحكون ويبدو من لغتهم أنه من البدو، وبينما هي تحاول أن تسمع شيء شعرت بالباب يفتح، فأسرعت نحو الفراش وتظاهرت بأنها لا تزال نائمة؛ اقترب هذا الشخص منها، وللحظة شعرت ليالي بالصدمة، فالرائحة التي تسللت إلى أنفها كانت رائحة مميزة، وسمعت صوتًا أنثويًا يقول باستهزاء:

- تمثيلك فاشل يا عزيزتي، يمكنني معرفة أنكِ مستيقظة، صدرك يعلو ويهبط وكأنكِ في المارثون.

جلست ليالي على طرف السرير وقالت وهي غير مصدقة:

- أنتِ خلف كل هذا؟ أنتِ يا جاسمين!!

الفصل الخامس عشر والأخير

«وأصبحتِ ملكِ»

«ألم يتصل بكما أي شخص لطلب فدية أو أي شيء آخر؟»

سأل الضابط إبراهيم وخالد هذا السؤال، وكان رد كلًا منهما النفي التام، زفر الضابط بضيق، فقد كان يأمل أن لديهم خيط ما ليبدأ منه؛سأل إبراهيم بتوتر:

- وأنت إلى أي توصلت في تحرياتك؟

نظر لهم برهة ثم قال بأسى:

- لا أفشيكم سرًا لم نصل لأي شيء، فالمجرمون لم يتركوا أي بصماتِ خلفهم، وللأسف الفندق كان غير مزود بكاميراتِ مراقبة ولم تسفر التحقيقات مع العاملة وموظف الاستقبال عن شيء، فهم لم يروا أحدًا أو يسمعوا أحد كما أخبرونا من قبل.

قفز إبراهيم من مكانه وهو يقول بغضب:

- وماذا بعد؟ هل سنقف هكذا مكتوفي الأيدي، وننتظر اتصال قد لا يحدث من الأساس!

ثم أردف قائلًا:

- لابد وأن هناك حل.

صعقت ليالي حين وجدت جاسمين تقف أمامها وهي تنظر لها بشماتة، وقالت بغطرستها المعهودة:

- مرحبًا بكِ يا ليالي، لا أظن أنكِ مستاءة من وجودك في تلك الغرفة القذرة...

ثم مالت عليها وأكملت بحقد:

- لأنك معتادة على مثل تلك الأماكن القذرة، أليس كذلك؟

لم تجبها ليالي، ولكنها سألتها بغضب:

- ما الذي تسعين إليه يا جاسمين؟ بماذا سيعود عليكِ خطفي لم أفهم؟

اعتدلت بوقفتها ودفعت شعرها للخلف وهي تقول بغرور:

- ولن تفهمي يا عزيزتي، لقد جئت فقط لكي أخبركِ أنك ستجلسين معنا هنا عدة أيام.

ثم قالت بكراهية:

- ولا تقلقي، ستكون هناك مكافأة لكِ على حسن سلوكك.

قالت ذلك وهي تنظر إلى الرجال الواقفين بخبث؛ شعرت ليالي بالرجفة والرعب، فالموت أرحم بكثير مما تفكر فيه تلك الشيطانة بأن تفعله بها، وقررت ليالي على الفور أنها يجب عليها أن تهرب من هنا، لن تنتظر أن ينقذها أحد، ولكن كيف ستفعلها!!

ترك الشاب المعول من يديه وجلس بجانب صديقه ليرتاح قليلًا رفع الزجاجة على فيه وأخذ يرتشف منها ليروي ظمأه، ثم وضعها جانبًا وهو يقول لصديقيه:

- أتعلم؟ يبدو أنهم سيبيعون تلك الفيلا المجاورة لنا، فمنذ يومين أو ثلاثة وهناك سيارات تأتي إليها، وأشخاص يبدو عليهم أنهم من أهل الغِنى.

قال له الآخر:

- أجل رأيتهم، لكن أتعلم لم أرتح لهم أبدًا، أشعر وكأنهم يحيكون مكيدة ما.

ضحك الاثنان على حديثه وقال أحدهم:

- لِم لَم تدخل كلية الشرطة بدلًا من التجارة أيها المحقق البارع؟ باللّه عليكِ أهذا منظر محاسب!

رد عليه الشاب بسخرية مريرة:

- وليس أي محاسب، الأول على دفعته طوال سنوات الجامعة.

قال له الرجل مواسيًا:

- لا تقلق يا أخي، فلا تدري أين يكون رزقك، ولا تدري ماذا يخبئ لك الله من نِعم.

نهض الشاب وهو يتناول معوله ليبدأ عمله من جديد وهو يقول بإيمان:

- معك حق يا صديقي، ونِعم بالله.

مرّ على رحيل ليالي أربعة أيام متواصلة، كاد إبراهيم فيها أن يجن، قال له فريد بغضب:

- وماذا بعد يا إبراهيم؟ لا طعام ولا نوم، هل تحاول الانتحار يا رجل؟

قال له إبراهيم بتعاسة:

- لا يمكنني النوم يا فريد، كلما أغمضت عيني تنتابني الكوابيس، أصبحت أخشى من النوم يا فريد.

قال فريد وقد هدأت حدة صوته:

- خذ قرصًا مهدئًا ونام ولا تقلق ستنام على الفور، ولكن تناول هذه السندويتشات قبها حتى لا يحدث لك مضاعفات، هيا يا صديقي لكي تتقوى حتى على التفكير بشيء.

تناول قضمه واحدة ثم أخذ منه القرص وهو يقول له:

- سأنام بغرفتك يا فريد، لا أريد العودة إلى البيت، فكل شيء فيه يذكرني بها.

ساقه فريد إلى غرفته وقال وهو يطفئ الأضواء:

- لو احتجت شيء في الليل أيقظني، اتفقنا؟

قال له إبراهيم وقد بدأ النوم يتسلل إلى عينيه:

- حسنًا سأفعل....

أغلق فريد الباب خلفه وهو يشعر بالأسى على صديقه.

فُتح الباب على ليالي فجأة، ووجدت رجلين يقتحمان الغرفة وفي عينيهما نظرة شيطانية خبيثة، اقترب منها الأول وهو يقول بأنفاس كريهة:

- مرحبًا يا حلوتي كيف حالك؟ قلنا إنكِ يمكن أن تكوني

تشعرين بالملل فجئنا لكي نسليكِ قليلًا.

مسح الآخر على شعرها متمتمًا:

- يا له من شعر حرير رائع.

ثم أمسكها من يديها وجذبها إليه بقوة وهو يقول بشهوانية:

- تعالي يا جميلتي.

صرخت ليالي برعب وأخذت تصيح وتصيح وهي تستنجد بأي أحد:

- إبراهيم.. إبراهيم.

قفز إبراهيم في سريره وهو يصرخ مناديًا باسم ليالي، وسمع فريد يقول له بتوتر:

- اهدأ، إنه مجرد كابوس اهدأ.

رفع إبراهيم عينيه وقد تحجرت فيهما الدموع وهو يقول بخوف:

- لقد رأيتها ورجلين يحاولان..

لم يستطع أن يكمل، ولم يستطع أيضًا أن يكتم عَبراته، فأطلق العنان لدموعه التي نزلت حارة على خديه، ربت فريد على كتف صديقه وهو يقول مواسيًا:

- لن يحدث لها هذا بإذن الله، اطمئن وثق بالله يا أخي، رحمته عظيمة وكبيرة، لا تفقد الأمل وإن شاء الله سيصلنا خبر عنها قريبًا وسيكون خيرًا.

كانت كلماته الأخير قد خرجت مهزوزة وغير واثقة، لكن لم ينتبه لها إبراهيم، فهو قد كان كله أمل بأنها ستعود إليه سالمة.

كانت ليالي تفكر كيف ستهرب، فالباب موصود من الخارج وقفل من الحديد ولا يمكنها الخروج، ولو أرادت أن تهرب من نافذة الحمام فالنافذة قد سدت بألواح خشبية، وفجأة سمعت صوت احتكاك في الجدار المقابل لها وقفت واقتربت من الباب وأخذت تستمع، هل يوجد أحد ما قريب منها، وعندما تأكدت من هدوء المكان توجهت إلى الجدار وبالفعل سمعت أصواتًا من السابقة، ولكنها كانت أكثر

وضوحًا تلك المرة، فقد كانوا متكئين على الجدار هم أيضًا؛ كادت أن تتحدث معهم، ولكنها توقفت فصوتها بالتأكيد سيسمعه المجرمون من خارج الغرفة، وهكذا ستخسر وسيلتها الوحيدة في الفرار، وقفزت في رأسها فكرة وشرعت في فعلها على الفور.

رن هاتف أحد المجرمين، فأجاب على الفور وهو يقول باحترام:

- مرحبًا يا عمر بك.

نهره عمر قائلًا بغضب:

- ألم أخبرك مائة مرة ألا تتفوه باسمي أيها الأحمق؟

أسرع الرجل يقول بارتباك:

- لا يوجد أحد معي يا سيدي، أعتذر.

تجاهل عمر اعتذار الرجل وقال متسائلًا:

- هل قابلت ليالي جاسمين؟

قال الرجل بسرعة:

- أجل يا سيدي كما أمرت بالضبط، جعلتها تدخل إليها وتتحدث معها، وكان معها رجلين رأتهما أيضًا.

قال له عمر بسرور:

- جيد جدًا، الخطة تسير كما خططت لها تمامًا، فلتنتبه جيدًا باقي أمامنا يومين فقط، لا أريد أي مفاجأة أسمعتني؟

أجاب الرجل قائلًا:

- أجل يا سيدي كما تأمر.

أغلق عمر هاتفه وعلى وجهه ملامح الانتصار، ثم أعاد الاتصال ثانيةوهو ينظر إلى هاتفه بسخرية.

«تنازل عن تلك الصفقة نعيد لك امرأتك ثانية»

أعاد إبراهيم تلك الكلمات على مسامع زياد وخالد وفريد الذي قطب حاجبيه يفكر وهو يقول:

- وهل تشك بأحد من المنافسين يكون هو من فعلها!

قال إبراهيم بحسم:

- المنافسون لن يستفيدوا من هذا بشيء، إنه بالتأكيد فعل كيدي، شخص يريد الانتقام!

قال خالد بغضب:

- ومن تظنه فعلها؟

قال إبراهيم بكراهية:

- لا أحد غيرهما، جاسمين وعمر.

فرك فريد يديه بقلق وهو يتساءل قائلًا:

- وماذا ستفعل الآن؟

قال على الفور:

- سأنفذ ما يطلبونه بالتأكيد، لا يمكنني أن أضحي بليالي أبدًا.

ظهر الارتياح على وجه خالد وزياد، وعلى العكس منهم قال فريد بتوتر:

- ماذا تقول؟ سنخسر ملايين الجنيهات هكذا، ثم ما الذي يضمن لك أنهم سيعيدونها ثانية؟

رمقه الجميع بغضب، فاستدرج قائلًا يوضح مقصده:

- أقصد أننا يجب أن نتخذ خطوة أخرى لنعرف مكانها بدلًا من أن نجلس هكذا.

كانت أصابع ليالي قد أدميت تمامًا بسبب تلك القطعة الحديدية التي كانت تحفر بها الحائط، كانت تريد أن تصنع فتحة صغيرة تمكنها من التحدث مع هؤلاء الأشخاص لكي يساعدونها على الهرب، ظلت طوال الليل تعمل بلا توقف، كانت تخشى أن يدخل أحدهم ويرى يديها الدامية ويكتشفوا أمرها؛ كادت ليالي تيأس، ولكن مع ظهور أول خيوط الفجر بدأت تحدث ثقبًا في الجدار معطيًا إياها الأمل والدفعة القوية لكي تكمل عملها، وبالفعل كانت قد نجحت في صنع ثقب يمكنها من الحديث معهم؛ شعرت باقتراب أحدهم من الباب فأسرعت وأخفت مكان الثقب وهرعت إلى فراشها وأخذت نفسًا عميقًا جدًا ثم أخرجته

ببطء، فبفضل جاسمين تمكنت من خداع الرجل الذي ألقى عليها نظرة من بعيد ثم أغلق الباب ثانية؛ تنهدت بارتياح، فقد كانت تخشى اقترابه منها، وظلت جالسة في فراشها منتظرة مجيئ أملها الوحيد في النجاة.

تناهى إلى مسامع ليالي اقتراب هؤلاء الأشخاص فنهضت على الفور ونظرت من الثقب فشاهدت ثلاثة شباب يبدو أنهم يبنون شيئًا ما؛ وضعت فمها على الثقب وهي تقول:

- أنتم؛ أنتم هل تسمعونني، أرجوكم.

نظر الثلاثة لبعضهم البعض ثم ألقى الشاب ما بيديه واقترب منها وهو يقول بتوتر:

- أجل نسمعكِ، ما بكِ؟

قالت على الفور:

- أرجوك أنا هنا مخطوفة، أرجوك ساعدني وأبلغ الشرطة أرجوك، فهم سيقتلوني لو مكثت معهم أكثر من ذلك، أرجوك.

صعق الشاب وتيقن من إحساسه وقال لها:

- خاطفيكِ يبدو عليهم أنهم من ذوي النفوذ، وأخشى أن نبلغ الشرطة يكون لهم رجال هناك، نحن بمنطقة نائية.

أسرعت تقول بخوف:

- أرجوك لا تتركني، أنا أيضًا ابن عميمن الأغنياء، إنه خالد المغربي..

قال لها مطمئنًا:

- لم أقل إنني سأتركك، بل سأخرجكِ من هنا بإذن اللّه لا تقلقي.

توجه الشاب إلى صديقيه تكلم معهم قليلًا ورأته وهو ينظر إلى الجدار وبدأ في نقاش مع أصدقائه، وفجأة تفرق الثلاثة وابتعدوا عن الجدار وفقدت هي آخر أمل.

توجه أحد الشباب الثلاثة إلى الفيلا المحتجز فيها ليالي؛ طرق الباب وانتظر قليلًا حتى فتح له الباب رجل ضخم الجثة يسأله بعنف قائلًا:

- ماذا تريد؟

ابتلع الشاب ريقه بخوف ثم قال متلعثمًا:

- نحن عمال بالفيلا المجاورة لكم، وجئت لكي أعتذر لكم لأننا سنقوم باستخدام ماكينة الكسر لأن هناك بعض الصخور التي تحتاج للإزالة، لن نأخذ وقتًا طويلًا يا سيدي.

أغلق الرجل الباب بوجه الشاب وهو يقول:

- افعل ما بدا لك فهذا لا يخصنا.

عاد الشاب إلى صديقه وهو يرتجف قائلًا:

- لقد فعلت ما طلبته مني يا فتحي، يا إلهي! منظر الرجل كان مخيفًا، كان الله في عون تلك الفتاة المسكينة.

قال فتحي بارتياح:

- الحمد لله، والآن انتهينا من أول خطوة، والآن دورك يا مسعد فلتجلب السيارة إلى هنا لكي نضعها بها ونرحل على الفور.

رحل الشاب على عَجل لينفذ ما طلبه منه صديقه، أما فتحي فقد أخذ نفسًا عميقًا ثم اقترب من الجدار ليخرج منه ليالي.

صاح أحد المجرمين يقول بغضب:

- ما هذه الأصوات المزعجة؟

رد عليه الآخر قائلًا:

- إنهم عمال في الفيلا المجاورة، جاءنا أحدهم وأخبرني أنهم سيكسرون بعض الصخور.

قال الرجل بغضب:

- لولا أن نهينا عن الخروج من هذا المكان كنت ذهبت إليهم ودققت عنقهم على الفور.

أجاب الرجل الآخر:

- لقد أخبرني أنهم لن يأخذوا وقتًا طويلًا، دقائق قليلة بعد وسيتوقفون.

مط الرجل شفتيه بغضب؛ أما ليالي فقد كادت تطير من السعادة

وهـي تـرى الثقـب بالحائـط يكبـر ويكبر حتـى أصبـح بإمكانها العبور، وضع الشاب المثقاب من يديه وقال لها بلهفة:

- والآن هيا بنا، أسرعي.

قفـزت ليالـي علـى الفور بخفـة وهي لا تصـدق أنهـا أصبحت حرة أخيرًا، جالت ببصرها في الأرجاء واكتشفت أنها كانت محتجزة في فيلا بقرية سـياحية تحت الإنشـاء، وبعد دقيقتين كان الشاب المدعو مسـعد قد جاء بالسـيارة مسرعًا؛ دخلت ليالي السـيارة وصعد الشباب الثلاثة على متنها وانطلقوا في رحلة العودة.

سألت ليالي الشاب الذي أنقذها قائلة:

- إلى أين نحن ذاهبون الآن؟

قال لها وهو ينظر بقلق في مرآة السيارة:

- أنتِ من عليكِ إرشادنا إلى أين نذهب يا سيدتي، من أين أنتِ؟

قالت له:

- أنا من الإسكندرية، لكن لدي أقارب هنا بالقاهرة.

نظر الشباب لبعضهم البعض وقال أحدهم:

- يا سيدتي نحن لسنا في القاهرة، نحن بالساحل الشمالي.

فقالت متسائلة:

- أهذا يعني أن طريق العودة طويل؟

أجابها قائلًا بأسف:

- أجل.

فقالت بحرج:

- حسنًا هل يمكنني استعارة هاتفك؟ أريد أن أطمئن عائلتي.

ناولها هاتفه وهو يقول بأدب:

- تفضلي.

أخذت منه الهاتف بلهفة وضغطت أزاره بشوق.

جلس الرجال الأربعة في حديقة الفيلا، لم يستطع أيًا منهم أن ينام،

كان الوقت باكرًا والجو رائع من حولهم، ولكن أيًا منهم لم يكن يفكر في جمال ما حوله، بل كان فكرهم كله في ليالي؛ كان الشخص واحد، ولكن الجميع كان يحمل لها مشاعرًا مختلفة، وبينما الجميع كأن على رؤوسهم الطير، إذ رن هاتف زياد، لم يكن يريد ان يرد عليه في البداية، ولكن إبراهيم حثه على الرد قائلًا:

- لعله اتصال مهم، فلتجب.

وما إن أجاب زياد حتى أتاه صوت شقيقته ليالي وهي تقول:

- زياد أخي.

نهض زياد على قدميه وهو يصيح بسعادة:

- ليالي حبيبتي، أين أنتِ؟

لم يحتمل المفاجأة فأنهار في البكاء، أخذ إبراهيم الهاتف منه وهو يقول بلهفة:

- ليالي، أين أنتِ؟

أجابته قائلة من بين دموعها:

- لقد هربت من الخاطفين، وأنا الآن في طريقي إليكم.

وبينما هي تتحدث إذ انفجر إطار إحدى العجلات، سمع إبراهيم الصوت فصاح بها متسائلًا:

- ليالي ما الأمر؟ ما الذي حدث؟

قالت له بقلق:

- لقد انفجرت إحدى عجلات السيارة التي هربنا بها.

استوقفته كلمة هربنا تلك، فسألها وقال:

- من أنتم؟

شرحت له ليالي كل شيء، فقال لها بجدية:

- ناولي الهاتف لذلك الشاب.

أخذ الشاب الهاتف من يديها وقال:

- مرحبًا!

أتاه صوت إبراهيم يقول:

- كنت أريد شكرك، ولكني أفضله أن يكون وجهًا لوجه، أين أنتم الآن؟

ووصف له الشاب المكان بدقة، فأسرع إبراهيم يقول:

- ساعة واحدة وستجدني أمامك، اختبؤا جيدًا، فلو اكتشف المجرمين هروب ليالي سيكون الطريق السريع هو أول ما سيبحثون فيه.

أغلق الشاب الهاتف وهو مستغرب، فالطريق يحتاج إلى أكثر من ثلاث ساعات لكي يصل إليهم؛ مط شفتيه ثم توغل هو والباقين بين أشجار التين يدفعون السيارة أمامهم ليختفوا عن الأنظار تمامًا.

ما إن أغلق إبراهيم الهاتف حتى سأله خالد قائلًا:

- أخبرني ما الأمر؟

قال إبراهيم وهو يلتقط علاقة المفاتيح:

- هيا بنا بسرعة وسأخبركم بالطريق، وأنت يا فريد فلتظل هنا لربما نحتاج إليك هنا.

لم تمضِ الساعة حتى كانت سيارة إبراهيم تقف في المكان المحدد يتبعها سيارة خالد ومعها سيارات الشرطة، والتي اتصل بهم إبراهيم وهو بالطريق، ما إن رأت ليالي أخيها زياد ينزل من سيارة خالد حتى خرجت من مخبئها وأسرعت تجري نحوه وتعلقت بعنقه وأجهشت بالبكاء، ولم يكن هو بأفضل منها، إذ أخذ ينتحب هو الآخر ويقول:

- ليالي حبيبتي، لن أتركك تبعدين عني ولو لثانية واحدة.

كان إبراهيم يتمنى لو كان بمقدوره أن يأخذها بين ذراعيه ويضمها إلى قلبه ليعوض كل القلق والخوف والرعب الذي شعر به في الأيام السابقة؛ كان بكاؤها يعذبه، فأشاح ببصره عنهما فوقع بصره على أحد الشباب الثلاثة الواقفين، اقترب منهم وقال باسمًا:

- شكرًا لكم، معروفكم هذا لن ننساه لكم ما حيينا.

قال فتحي بوقار:

- لـم نفعـل شـيء يسـتحق كل هـذا يـا سـيدي، هي كأختنـا تمامًا، وأي شخص كان سيفعل ما فعلناه بالضبط.

أعجب إبراهيم بلباقة الشاب، فهيئته مختلفة تمامًا عن شخصيته؛ سأله إبراهيم قائلًا:

- هل أنت متعلم؟

قال الشاب:

- أجل يا سـيدي، فأنا خريج كلية التجارة قسم محاسبة، كنت الأول على دفعتي بتقدير امتياز طوال الأربع سنوات.

تعجب إبراهيم وقال له:

- إذن أنت معيد بالجامعة؟

ابتسم الفتى بسخرية وهو يقول بمرارة:

- هـذا مـا كان يجـب أن أكـون، ولكـن تـم تعيـن ابن أسـتاذ بالجامعة بدلًا عني، تقديره كان أقل مني!

قال إبراهيم باشمئزاز:

- ياللسخرية! وعلى ما أظن لم تتمكن من العمل بشهادتك !

طأطأ الشـاب رأسـه بإحراج، فأخرج إبراهيم بطاقـة وناوله إياها وقال وهو يهم بالرحيل:

- هـذه البطاقة بهـا رقم هاتفي وعنوان شـركتي، غدًا توجه إلى الشـركة واسـأل عن المهندس فريد وهو سـيعينك بقسم المحاسبة لدينا، واجلب معك الشابين الآخرين وهو سيرى مؤهلاتهما وسيبحث لهما عن عمل يناسبهما.

لم يصدق الشـاب نفسه وتذكر كلمات صديقه حين قال لا تعلم رزقك سيأتيك من أين.

استأذن إبراهيم الشرطة في الرحيل لأن ليالي كانت تبدو مجهدة للغاية، فوافق الضابط على أن يتوجهوا إليه غدًا في مكتبه لإكمال التحقيقـات وأخذ إفادتهـا. أنهى إبراهيم حديثه مع الشـرطي والتفت

ليجد ليالي وزياد قد استقلا سيارة خالد، شعر بالغيظ وصعد إلى سيارته على مضض؛ عاد الجميع إلى حيث فيلا إبراهيم استقبلتهم والدته، وسالت دموعها وهي تأخذ ليالي بين ذراعيها وهي تقول:

- ابنتي حمدًا لله، لقد عدتِ سالمة.

اتصل زياد بزوجته يطمئنها على ليالي، أما خالد فقال لليالي بإحراج:

- ليالي، اتصلي بصديقتك فهي منهارة منذ لحظة اختطافك، كانت تتصل كل دقيقة لتتابع آخر الأحداث.

التقطت منه هاتفه ونهضت من مكانها وقامت بالاتصال بسلوى التي أخذت تبكي غير مصدقة أن ليالي قد عادت وهي بخير. أنهت ليالي مكالمتها ووجدت إبراهيم يقف أمامها والقلق بادٍ على ملامحه:

- هل أنتِ بخير؟ هل أصابكِ مكروه؟

قالت وهي تدفع عبراتها:

- أنا بخير لم يصبني شيء، ولكنني كنت خائفة بشدة، لم يكن يمكنني رؤية شيء.

قبض إبراهيم على يديه بشدة حتى كاد أن يجرح يديه، تنهد ثم قال لها:

- فلتنسي كل شيء أصبح من الماضي، الآن هيا اصعدي إلى غرفتك لتالي قسطًا من الراحة، فوجهكِ ينبئ بأنكِ ستسقطين مغشيًا عليكِ في أي لحظة، وأنا سأخبرهم أنكِ ذهبتِ لترتاحي.

لم يكن بحاجة لكي يقنعها بذلك، فقد وافقت على الفور، فهي كانت متعبة ومجهدة، ولكن ما إن خطت خطوة واحدة حتى وقفت وقالت له بخفوت:

- لم أخبرك بعد من الذي قام بخطفي.

ازدردت ريقها ثم قالت:

- إنها.. جاسمين!

قالتها ثم صعدت إلى الأعلى، تنهد بارتياح، فقد كان يخشى أن

تصـر علـى المغادرة مع أخيها ، أو الأسـوأ مع ابن عمهـا ذاك الذي لم يحبه منذ رآه، ويشعر أن إحساسه متبادل أيضًا.

في الصباح التالي توجهت ليالي مع أخيها زياد في سـيارة إبراهيم يتبعهمـا خالد؛ صعد الجميـع إلى غرفة المحقق ليفاجئـوا بأن الفيلا تلك تعود لوالد جاسمين، واعترف المجرمون على أنه هو من حرضهم على خطف ليالي؛ ضاقت حدقتا إبراهيم وهو يقول بكراهية:

- تلك الفتاة إنها شيطان حقًا، أتلقى اللوم على والدها!

وفجأة سـمع الجميع أصوات وصراخ ولغط يأتي من خارج الغرفة، فنـادى المحقق على الجندي الذي يقف بالخارج، وما إن فتح الجندي الباب ليجِب على المحقق، اقتحمت جاسـمين المكان بعنف، فصرخ بها المحقق وهو يقول بغضب:

- أين تظنين نفسكِ؟ هيا اخرجي حالًا.

قالت بضراعة:

- يا سيدي أرجوك اسمعني أولًا، والدي لم يفعل شيء صدقني.

وهنا تكلم إبراهيم بسخرية:

- أجل والدك لم يفعل، ولكن أنتِ فعلتِ، يا لكِ من وقحة!

لم تكن جاسمين قد انتبهت على وجود إبراهيم وليالي والباقين، وما أن وقع بصرها على ليالي حتى صرخت بحقد:

- أنتِ سبب كل هذا، لو لم تظهري لما حدث أي من هذا.

وكادت تطيـح بليالي، ولكن إبراهيم وقـف أمامها ليبعدها عن ليالي وهو يحذرها قائلًا:

- إياكِ أن تمسيها بسوء، وإلا أقسم أن أجعلكِ تندمين، يكفي ما فعلتيه بها.

صاحت قائلة:

- لم أفعل شيء، أيًا كان ما أخبرتك به فهي كاذبة بالتأكيد.

نظر لها باحتقار وهو يقول لها:

- ليالي ليست مثلك، أنا أثق بها أكثر مما أثق بنفسي شخصيًا أيتها البائسة.

لم تعره اهتماما وتحفزت لتنقض على ليالي، ولكن خالد أوقفها وهو يقول بغضب:

- لا تزيدي من جرائمك جريمة أخرى، لا تجعليني أدمرك تدميرًا كاملًا لا رجعة منه يا سيدتي.

دفاع إبراهيم كان قد أشعل كراهيتها، والآن خالد، فأخرجها هذا عن عقلها وصاحت بهيستريا:

- لم الجميع يدافع عنها هيثم وإبراهيم، والآن أنت؛ يا ليت عمر قام بقتلك بدلًا من خطفك، كنت سأرتاح منكِ للأبد.

جحظت عينيها بعد هذا الاعتراف وحاولت أن تتدارج الحديث وقالت بارتباك:

- لم أقصد... يعني أنني...هو

نظر لها المحقق بصرامة ثم قال:

- يبدو أن لدينا حديث طويل يا آنسة جاسمين.

«تم القبض على عمر وجاسمين، فلقد قدم كل منهما أدلة تدين الآخر وهما الآن محتجزان ويتم التحقيق معهما»

نطق إبراهيم بتلك الكلمات موجهًا حديثه للجالسين؛ كان الجميع يجلس في حديقة المنزل، قالت والدته بارتياح:

- حمدًا لله، يجب أن ينالوا جزائهم العادل على ما فعلوه بنا.

نهض خالد وهو يقول:

- شكرًا لك يا سيد إبراهيم على استضافتنا للأيام الماضية، ولكن يجب علينا العودة، فالعمل بحاجة إليّ الآن.

أسقط بين يدي إبراهيم، فخالد يتحدث بالجمع، يعني أنه يقصد ليالي أيضًا؛ نظر إلى ليالي ففوجئ بها تقول بابتسامة زادت من غيظه:

- أجل معك حق.

نظـر لها يريـد أن يصفعها على مؤخرة عنقهـا ، ولكنه التفت إلى خالد وساقه أمامه حتى ابتعدا قليلًا ثم قال:

- ولكن هناك شيء هام لم أتحدث به معك بعد.

نظر له خالد بابتسامة رقيقة:

- حديثك هذا يكون مع والدي يا إبراهيم وليس معي.

ابتسم إبراهيم وهو يقول بسرور:

- أهذا يعني أنك مبدئيًا موافق؟

قال خالد بخبث:

- أنـا حقيقـة لـم أقرر بعـد ، فهيثم أيضًا شـاب رائع كمـا تعلم، ووالده صديق قديم لوالدي يعني كما يقال زيتنا في دقيقنا.

اكفهر وجه إبراهيم وقال بغضب:

- هيثـم من هذا؟ إذن سـأكون أنـا الفرن الذي يحـرق لكم تلك الكعكة ، لن يأخذها أحد غيري.

قهقه خالد قائلًا:

- يروق لي جرأتك يا إبراهيم، فأنت تعجبني يا صديقي.

ودّعت ليالي الجميع وهمست شذى في أذنيها:

- انتظري زيارتنا قريبًا يا حلوتي.

تخضـب وجههـا بحمـرة الخجل وصعـدت إلى السـيارة وهـي ترمق إبراهيـم بطرف خفي؛ كانت تشـعر بالسـعادة وكانت طـوال الطريق الابتسامة لا تفارق شفتيها ، لاحظ خالد سعادتها تلك فأخذ يتمتم يدعوا لها بالسعادة؛ كان أول من استقبل ليالي هو عمها ، عانقها قائلًا:

- ابنتي، الآن ارتاح قلبي، اشتقت لكِ يا حبيبتي.

قالت بسعادة:

- وأنا أيضًا يا عمي، بل اشتقت لكم جميعًا.

فوجئت ليالي بوجود صديقتها سلوى التي صرخت بفرحة قائلة:

- ليالي حبيبتي لا أصدق عيناي.

قالت ليالي بغبطة:

- ولا أنا أصدقها.

ثم نظرت إلى ابن عمها بخبث، والذي أشاح وجهه عنها بحرج، فهمست في أذنها قائلة:

- يبدو أن هناك ما يجب أن نتحدث عنه يا عزيزتي.

قالت بارتباك:

- ماذا تقصدين؟ لم أفهمك.

قالت وهي تبتسم بمكر:

- من حمرة وجهك يخيل لي أنك تفهمين.

لكزتها سلوى بحرج وهي تقول لها:

- سأرحل الآن، أركِ فيما بعد أيتها السمجة.

جلسوا لساعات يتسامرون ويستمعون لليالي وهي تقص عليهم ما حدث حتى دخل الليل وانتاب الجميع النعاس وتوجه كل منهم إلى حجرته لينام، وحين أرادت ليالي أن تذهب هي الأخرى إلى غرفتها استوقفها خالد وهو يقول:

- ليالي أريد أن أتحدث معكِ بشيء.

قالت بقلق:

- خير يا خالد، هل عمي به شيء؟أخبرني.

قال لها مطمئنًا:

- اطمئني، هو بخير تمامًا، وأبشركِ بأن طبيبه الخاص أخبرني أنه لم يعد بحاجة إلى العملية التي كان مقرر له أن يفعلها والحمد لله، مجيئك يا ليالي قد أسعد قلبه وأزال همه ومرضه.

دمعت عينيها من الفرحة وقالت:

- الحمد لله الحمد لله، عليك أن تخرج صدقة شكر لله على نعمته تلك.

قال لها بإعجاب:

- فكرة رائعة يا ليالي، غدًا سأفعل إن شاء الله.

ثم تنحنح وقال لها:

- كنت أريد أن أسألكِ عن صديقت...

بتر عبارته بإحراج، فهمت من ارتباكه ما يود أن يقوله، فقالت له على الفور:

- هي فتاة رائعة وطيبة القلب، وأنا واثقة من أنها ستكون سعيدة جدًا لو تقدمت لها، فلا تقلق وتشجع وخذ تلك الخطوة.

دهش لفطنتها ثم تنهد براحة قائلًا:

- شكرًا لكِ أرحتِ قلبي، تصبحين على خير.

صعدت إلى غرفتها حتى أسرعت في الاتصال بصديقتها سلوى وهي تقول بمكر:

- سلوى، أتصدقين؟ ابن عمي خالد قرر أن يخطب!

بُهتت سلوى وجف حلقها وهي تقول:

- ح..حقًا! مبارك.

قالت ليالي باستفزاز:

- ألن تسألينني من العروس المحظوظة؟

قالت سلوى بتعاسة:

- أجل من هي تلك.. المحظوظة.

سكتت ليالي برهة ثم قالت ببطء:

- اسمها.... أممم..... س ل و ى.

تساءلت سلوى بحرج:

- م ماذا؟ اسمها على اسمي؟

قالت ليالي متهكمة:

- سلوى، لستِ غبية يا عزيزتي، اسمها على اسمك! بل هي أنتِ يا حمقاء.

لم تصدق سلوى وصاحت بسعادة:

- أحقًا يا ليالي؟ لا أصدق.

قالت ليالي:

- بل صدقي، وأظنه سيأتي قريبًا ليخطبك.

وبعد يومين توجه خالد بصحبة والده ليتقدم إلى والدها، والذي رحب بتلك الخطبة، وقرر الجميع أن تتم الخطبة في نهاية الأسبوع، كانت ليالي سعيدة للغاية لأجل سلوى وخالد، وأصرت سلوى على أن تأتى ليالي معها هي وخالد لشراء شبكتها وفستان الخطبة، وبينما ليالي تنتظر خالد ليصطحبها إلى سلوى لمساعدتها، رن هاتف ليالي فأجابت:

- شذى، مرحبًا كيف حالك يا عزيزتي؟ وكيف حال صغيرتنا الجميلة؟

قالت لها شذى:

- هي بخير والجميع كذلك والحمد لله، لكن أشعر من نبرة صوتك أن هناك شيء يفرحك، ترى ما الأمر؟

وقبل أن تجيبها ليالي سمعت شذى صوت خالد يقول:

- هيا يا ليالي، لقد تحدثت مع مالك محل المجوهرات، يخبرني أنه حضر لنا كل شيء وينتظرنا.

خفق قلب شذى بعنف وقالت بخوف:

- ليالي ما الأمر؟ مجوهرات ماذا؟

قالت ليالي بسعادة:

- سأذهب مع خالد لنختار شبكة الخطوبة و...

قاطعها خالد وقال بنفاد صبر:

- هيا يا ليالي لا يوجد وقت، سنتأخر هكذا.

فقالت ليالي على الفور:

- اعذريني يا شذى، لن يمكنني أن أشرح لكِ الأمر، عندما أعود سأتحدث إليكِ، وداعًا الآن.

أغلقت الهاتف ووضعته في حقيبتها وهي تركض لتلحق بخالد، فسقط الهاتف منها ولم تنتبه عليه، أما شذى فقد أسرعت لتتصل

بأخيها وتبلغه الخبر، وما إن جاء صوته حتى صاحت به:

- ليالي خطبت لخالد يا إبراهيم.

وقف على قدميه صارخًا غير مصدق:

- ماذا؟ أعيدي ثانية!

فقصت عليه الخبر وما سمعته من خالد وليالي، فقال لها بغضب:

- حسنًا فهمت، أغلقي الهاتف الآن.

أغلق معها ثم أعاد الاتصال بليالي، وحين لم يتلقَ رد ضرب على سطح مكتبه بغضب، فسأله فريد بقلق:

- إبراهيم، ما الأمر؟ لم أنت غاضب هكذا؟

التفتت له وقال بذهول:

- ليالي.... ستخطب لابن عمها خالد!

قال فريد بدهشة:

- ماذا! هل أنت جاد؟

فأعاد عليه حديث أخته، وبعدما انتهى سأله فريد متوترًا:

- وماذا ستفعل الآن؟

قال إبراهيم بصرامة:

- سأذهب إليها وليحدث ما يحدث.

عادت ليالي مع خالد ووالدته وهي في قمة السعادة، كانت تتضاحك مع زوجة عمها حتى سمعت صوتًا ميزه نبرة الغضب القاتل فيه يقول:

- مبارك يا عروس، كان يجب عليكِ أن تعزميني على تلك الخطبة المفاجئة!

نظرت له بدهشة وقالت:

- إبراهيم! ماذا تفعل هنا؟

قال لها والدماء تكاد تنفجر في عروقه من الغيظ:

- أنا أنتظرك منذ ساعات، يبدو أن النزهة كانت ممتعة فلم

تشعري بمرور الوقت.

لم تفهم ليالي ما الذي يغضبه إلى تلك الدرجة وقالت له:

- ولِم لَم تتصل قبل مجيئك، كنت أخبرتك أنني لن أكون بالبيت اليوم!

كاد يبطش بها وهي تتحدث هكذا بكل هدوء، وقال من بين أسنانه:

- اتصلت بكِ عشرات المرات، ولكن لأنكِ كنتِ في عالم آخر لم تسمعي رنين الهاتف.

سألته وقالت:

- إبراهيم.. لم أنت غاضب؟

صرخ بها قائلًا:

- لم أنا غاضب! أحقًا تسألين؟

نظرت والدة خالد إليه متسائلة بعينيها، فقالت خالد منهيًا هذا الموقف:

- إبراهيم تفضل معي إلى حجرة مكتبي لنكمل حديثنا هناك.

قال له إبراهيم باشمئزاز:

- أنت ممثل بارع يا عزيزي، لم تظهر رغبتك في خطبتها أمامي على الإطلاق! بالرغم من معرفتك لحقيقة العلاقة التي بيني وبينها، أنت حقًا شخص كريه!

فهمت ليالي على الفور ما يحدث، وقبل أن تشرح لإبراهيم حقيقة الأمر، صاحت والدة خالد وقالت بغضب:

- أي علاقة تلك التي يتحدث عنها هذا الرجل يا خالد؟ما الذي بينه وبين سلوى؟

ارتفع حاجبا إبراهيم دهشة وقال باستغراب:

- سلوى! سلوى من؟

قالت ليالي مسرعة:

- لا يوجد شيء يا عمة، السيد فهم الأمر خطأ، تفضلي أنتِ لترتاحي ولا تشغلي بالك بشيء، سآتي معك لأوصلك لغرفتك، هيا بنا.

لم ترتح المرأة للأمر، ولكن نظرة ابنها جعلتها ترحل على مضض،

وما إن اختفت هي وليالي حتى التفت خالد لإبراهيم وقال:

- والآن هلا شرحت لي ما الأمر، ولم أنت ثائر هكذا؟

شرح له إبراهيم ما دار بينه وبين وأخته، وما أن انتهى حتى انطلق خالد في الضحك، ولم يكف حتى صاح به إبراهيم بغيظ أن يتوقف؛ لم يستطع التوقف، ولكنه قال وهو يغالب ضحكاته:

- لقد فهمت أختك الأمر خطأ، فالشبكة التي اشترياها اليوم كانت شبكتي أنا وسلوى صديقة ليالي في الجامعة، وحفل خطبتنا يوم الجمعة، أي بعد الغد.

زفر إبراهيم بعصبية ثم جلس على أقرب مقعد وهو يقول بحنق:

- آه يا شذى، لقد تسببتِ في إثارة قلقي بدون داعي!

قطب خالد حاجبية وهو يقول:

- والآن هل أنت مرتاح؟ ماذا لو تقدم لها أحد آخر أو لو كان الأمر صحيح، ماذا أنت فاعل حينها؟

ثم أكمل بحدة:

- لم أنت متردد هكذا؟اسمع يا إبراهيم، لا داعي لتلك الألاعيب، إما أن تكون جادًا أو تختفي من حياتها، فهي لا تستحق منك ذلك.

قال إبراهيم بعصبية:

- ومن قال لك إنني متردد أو أتلاعب بها، كل ما في الأمر هو أنني أخشى من مفاتحتها بالأمر، لا أدري هل ستنسى لي ما فعلته بها أم لا.

ربت خالد على كتفه وهو يقول:

- تقدم لها ولا تخشى شيئًا صديقي، فهي تريدك كما أنت تريدها، وخير البر عاجله، أوقظ لك أبي لتخطبها منه الآن؟ وليكن يوم الجمعة خطبتنا معًا ما رأيك؟

ضحك إبراهيم وقال:

- كنت أظن أنني الوحيد المجنون، لكن يبدو أن هناك من هو أجن مني، ولكنني لن أخطب يا صديقي بل سأتزوجها على الفور،

فلم يعد بإمكاني أن أتحمل أن تضيع مني ثانية.

كانت السعادة بادية على وجه السيدة هويدا وهي تقول:

- وأخيرًا رأيتكِ بثوب الزفاف يا حبيبتي!

مسحت ليالي دمعة سقطت من عينيها فقالت لها زوجة عم ليالي:

- لا داعي للبكاء، فهذا اليوم هو ما كنتِ تنتظرينه بفارغ الصبر، أليست تلك خطتك من البداية يا زعيمة العصابة؟

قالت ليالي باستغراب:

- ماذا تقصدين يا عمة بالخطة؟

لكزت السيدة هويدا المرأة وهي تقول:

- لا شيء يا ابنتي، واضح أن زوجة عمك جائعة لهذا تقول كلام غير مفهوم.

ضحكت المرأة فمالت عليها السيدة هويدا وقالت لها معاتبة:

- سأندم لأنني أخبرتك بالأمر.

قالت المرأة وهي تكتم ضحكاتها:

- كنت أمزح لا تغضبي، أعدك لن أتفوه بشيء.

كانت شذى وعائشة ومها يساعدن ليالي، حتى دخلت سلوى على عَجل وهي تقول بسعادة:

- لقد جاء المأذون وهو يجلس بالأسفل.

صاحت الفتيات بفرحة وقالت سلوى بهيام:

- مبارك يا ليالي، ولتدعي لي أن يتعجل خالد ويفعلها هو الآخر.

قالت لها شذى مازحة:

- انظرن للفتاة، خطبت من شهر واحد فقط وتريد الزواج الآن!

أجابتها مها ضاحكة:

- لو رأيتِ أخي لكنتِ التمست لها العذر ودعوتِ لها الله أن يلهمها الصبر حتى الزفاف.

قالت ليالي:

- لا أدر لما القلق! ألم يتحدد الزفاف بعد شهرين من الخطبة؟ يعني باقي شهر واحد فقط يافتاتي.

سمعن الباب يطرق وصوت أخيها يقول:

- ليالي أحتاج إلى توقيعك على قسيمة الزواج يا حبيبتي!

فتحت له عائشة الباب، أرادت أن تأخذ منه الدفتر، ولكنه أبى، فقد كان ثقيلًا نوًعا ما وخشي على حملها وقال لها:

- سأدخله أنا فهو ثقيل عليكِ وأنتِ لازلت في شهورك الأولي من الحمل.

غض طرفه وهو يحيي الجميع ويجلس بجانب أخته التي قالت متهكمة:

- يخشى عليها من حمل دفتر يستطيع رضيع أن يحمله! الحب وأفعاله.

كتم الجميع الضحك، فلكزها على رأسها وهو يقول:

- وقعي هنا يا صاحبة اللسان الطويل.

وما أن انتهت حتى حمل الدفتر وغادر على الفور، شعرت ليالي بقلبها يرقص طربًا فها هي قد تزوجت وأصبحت تحمل اسم الرجل الذي تحب؛ كانت سعادتها لا توصف، جاء بعض الأقرباء القلائل لكلا العائلتين، ولم يحضر من عائلة زياد سوى هو وزوجته فقط، فلقد رفض والده وزوجته وابنتيه الحضور؛ بعدما رحل المدعوون بالأسفل صعد إبراهيم لليالي وطرق الباب قائلًا:

- هيا، لقد رحل الجميع.

سمع صوت والدته تقول:

- ادخل يا بني لا يوجد أحد غريب.

فتح إبراهيم الباب، ولكنه تحجر مكانه، فلم يكن قد رأى ليالي بعد بثوب الزفاف؛ كانت نظراته كلها إعجاب ورغبة جعلت ليالي تشعر بالإحراج الشديد، وخصوصًا أنهما ليسا وحدهما، فمازالت مها وعائشة وسلوى ووالدته وزوجة عمها موجودون بالغرفة، قالت سلوى وقد شعرت بإحراج ليالي:

- هيا بنا يا بنات لنحضربعض الأشياء الناقصة بالأسفل.

سـلم الجميـع عليها ثم خرجوا ، وما إن أغلقت سـلوى الباب خلفهم حتى سألتها مها ببراءة:

- ماذا تريدينا أن نفعل يا سلوى؟

ضحك الجميع وقالت لها والدتها مازحة:

- تعالي يا ابنتي وأنا سأخبركِ.

«تبدين في غاية الجمال يا حبيبتي»

رفعت بصرها إليه على استحياء وقالت بخفوت:

- ش..شكرًا لك، وأنت أيضًا تبدو وسيمًا للغاية.

اقترب منها ووضع يديه على خصرها وهو يقول بابتسامة جذابة:

- أحقًا؟ لم تخبريني من قبل أنني وسيم!

قالت بإحراج:

- ولم سأقول لك ذلك!

اقترب بوجهه منها للغاية ، وقال بتلذذ:

- تقدم رائع، فلم تركليني أو تصفعيني يا عزيزتي.

نظرت له بدلال خجل:

- ولم سأفعل! فأنت الآن زوجي.

فقال هامسا:

- أعجبني ذلك اللقب من بين شفتيك أعيديه ثانية.

وقبل أن تجيب سمعا صوت طرق على الباب وصوت فريد يقول:

- إبراهيم، لقد تم الأمر وكل شيء جاهز يا صديقي.

أجابه إبراهيم قائلًا:

- شكرًا لك يا فريد.

سألته بفضول:

- ماذا يقصد؟

قال لها بمكر:

- لن أخبرك ستعلمين وحدك بعد قليل.

أخذهـا من يديهـا ونزل من البـاب الخلفي المطل على الشـاطئ، فوجئـت ليالي بوجود يخت كبير ينتظرهم، فصاحت بدهشـة فرحة وقالت:

- إبراهيم، هل هذا لنا؟

حملها بين ذراعيه وهو يمشي على اللسان الخشبي المؤدي لليخت وهو يقول لها باسمًا:

- أجل يا حبيبتي، سـنمضي شهر عسلنا على متنه وسنبحر به إلى حيث يأخذنا التيار، ما رأيك في تلك المفاجأة؟

عانقته بسعادة وهي تقول له:

- رائعـة، شـكرًا لـك، لم أكن أتخيـل مطلقًا أننـي قد أمضيت شهر عسلي على متن يخت، وفي عرض المحيط.

قال لها مازحًا:

- أما أنا فلم أكن أتخيل أنني سـأتزوج من الأسـاس، أتعلمين أن فتيـات مـن بلاد عدة حاولن إيقاعي في فـخ زواجهن ولكن لم يفلحن في ذلك وأنتِ من فعلها في النهاية.

قالت مازحة:

- إنجريدو.

ارتفع حاجبيه دهشة وقال:

- كيف عرفتها تلك الكلمة؟

وضعت يديها حول عنقه وقالت بخفوت:

- منذ أول مرة رأيتك بها كانت أول صفة جذبتني إليك غرورك.

فضمها إليه وقال هامسًا في أذنِها:

- وكيف لا أكون مغرور والدنيا باسرها صارت بين يدي.

❖ ❖ ❖

الفهرس

الإهداء ٥
الفصل الأول: «صدفة» ٧
الفصل الثاني: «أدونيس يحتاج إلى صفعة» ٢٠
الفصل الثالث: «الخطة تأتي بثمارها» ٣٣
الفصل الرابع: «لمَ هي....لم هو» ٤٧
الفصل الخامس: «الحب الحقيقي» ٦٧
الفصل السادس: «مفاجآت ومتاعب» ٨١
الفصل السابع: «شيطانان اجتمعا» ٩٩
الفصل الثامن: «وبدأت الحرب» ١١٥
الفصل التاسع: «التحدي» ١٣٤
الفصل العاشر : «اعتراف جنوني» ١٥١
الفصل الحادي عشر: «وسقطت في المصيدة» ١٧٩
الفصل الثاني عشر : «وضاعت» ٢٠٣
الفصل الثالث عشر: «جحيم الغيرة» ٢٢٨
الفصل الرابع عشر : «رحلة المخاطر» ٢٤٥
الفصل الخامس عشر والأخير: «وأصبحتِ ملكِ» ٢٦٧